الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الثقافة والنشر الكردية
سلسلة رقم (١٠٨)

مميي آلان

ملحمة فولكلورية كردية

ترجمة الدكتور عز الدين مصطفى رسول

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الثقافة الكردية
سلسلة رقم (١٠٨)

مَمي آلان

بغداد ١٩٨٤

مَمی آلان

(ملحمة فولكلورية كردية)

مترجمة من النص الذي اعده

الدكتور نور الدين زازا

مع مقدمة منه

قام بالترجمة

الدكتور عز الدين مصطفى رسول

(استاذ)

راجعها

شكور مصطفى

كلمة المترجم

في الاعوام ١٩٥٦ - ١٩٥٨
كنت اعيش في دمشق
وكان لي لقاء دائم ومتواصل مع ابرز
الوجوه الكردية
في تلك الديار وعلى الاخص
الادبية والوطنية منها
وكان التردد على مطبعة كرم في سوق مدحت باشا
جزءاً من التواصل اليومي
مع عالم الطباعة الكردية النادرة ،
لم اطبع شيئا من نتاجي في دفة كتاب ،
ولكنني امتزجت مع عملية
التصحيح والتعقيب والزيارة
لجل من كانوا يطبعون كتباً ولمعظم الكتب المطبوعة
في تلك الفترة .
وتراكمت عندي
ذكريات هي حرية بالتدوين في يوم ما

ان كتاب «مي الان» الملحمة الفولكلورية المعروفة واعداد طبعتها الجديدة على يد الدكتور نور الدين زازا يحتل جزءاً من تلك الذكريات .

كان الدكتور زازا قد عاد منذ زمن قريب من رحلة الدراسة الطويلة في اوروبا، وكان متشعباً في اهتماماته ، جاداً في التوجه الى العمل ، متحمساً لافكاره ، يريد وضع حصيلة الدراسة والاغتراب الطويل في خدمة قضية شعبنا والاسهام باعمال مخلصة في ميادين شتى

وطوال عدة اشهر كان يحمل معه مسودات الكتاب المذكور في حقيبته ، بين الجامعة حيث كان يلقي بعض المحاضرات الفلسفية باللغة الفرنسية ، وبين مقهى كانت ترتاده وجوه ادبية وثقافية وبين داره ومكتب عمله الخاص.وفي كل يوم كنت استمع متتلمذاً الى جزء من النقاش عثمان صبري له رأي معين وجگرخوين يقدم من الجزيرة ويدلي بدلوه بين الدلاء ، والسيدة روشن بدرخان تحكي لنا في دارها او مضيفها قصة ميلاد الطبعة الاولى التي تحمل اسم المستشرق الفرنسي روجيه ليسكو وتشير بود وصراحة الى المساعدة والارشادات القيمة التي قدمها الامير الجليل العالم جلادت بدرخان الى ليسكو ساهراً على ميلاد الطبعة وترجمتها الفرنسية بصورة جيدة

في دار قدري جميل باشا العامرة سرد الدكتور زازا مراحل عمله وهدفه من اعادة الطبع فاشار قدري جان الشاعر على صاحب الدار بوجوب المساعدة وحدد وجهة الدعم ، فهرع الرجل الكبير الذي كان واحداً من اعظم الواهبين انفسهم والعاملين من اجل قضية شعبهم، بحرصه المعهود الى الجزيرة لعدة ايام ليعود بعدها ويجلب معه تسجيلات مختلفة لنصوص الملحمة باصوات مغنين معروفين كانوا يسكنون مدينة قامشلي وقراها ، واود ان اقول ان لم تخني الذاكرة ان نصاً واحداً من تلك النصوص كان بصوت المغني المعروف گرەبيت خجو (وهو ارمني جزري يغني باللغة الكردية وهاجر فيما بعد الى يريفان حيث امتهن الغناء الاذاعي الكردي هناك) .

عكف الدكتور نور الدين زازا على هذه التسجيلات ، و اخذ يدون ويقارن ، وفي كل يوم نستمع الى طرف من النقاش والاراء المختلفة ، ومرة اخرى اقول لقد كنت اتتلمذ على ايدي اطراف النقاش ، وكان ذلك بداية توجهي للاهتمام بتراث احمدي خاني وملحمة (مم وزين). واذا كان علي ان اسجل شيئاً عن شعاب الامر كلها ، قلت لقد كان لي حظ القيام بالتعارف بين الدكتور زازا وزميل لي في الجامعة ، كان رساماً موهوباً ، في مجلة «الجندي» وطالبا في الحقوق في الوقت نفسه كان من سريان الجزيرة ويتقن اللغة الكردية فقام زميلي زكريا برسم لوحات جميلة لشخوص الملحمة ، ولسبب او لاخر ذيلها باسم مستعار هو «زياد». تلك هي قصة الصور التخطيطية التي وجدناها في طبعة الدكتور نور الدين زازا للملحمة

يقترن اسم «مم وزين» دائماً باسم الشاعر والمفكر الرائد احمدي خاني (١٦٥٠ – ١٧٠٧) وتنسب القصة اليه عادة ، غير ان واحداً من جوانب ريادة خاني يكمن في استخدامه الفذ للموروث الشعبي الشفوي في عملية ابداع جديدة عبر فيها عن افكاره الرائدة في مجرى قيم عهده ونقاشات ذلك العهد

يقول خاني وهو يفرز عناصر قصته الشعرية (مم وزين) من حيث التكون الفكري والابداعي انها من الاساطير الشائعة في جزيرة بوتان وشئ من الحجة وشئ من البهتان ، وفي هذا كما سنأتي عليه اشارة واضحة الى قصة مم وزين او (ممي الان) الشائعة في جزيرة بوتان في عهد خاني ، واشارة الى ان تلك القصة واحدة من الركائز الابداعية لملحمة خاني الشعرية «مم وزين» ولكن اي مم وزين واي ممي الان اعتمدها خاني ركيزة في سبكه الجديد للقصة ؟

من طبيعة اي نص فولكلوري ان تكثر رواياته وتتنوع فتلعب العوامل الذاتية عند اشخاص الرواة او المغنين دورها وتلعب مكونات الرواة وثوابتهم من لهجة وفرع لهجة ، ومن درجة الثقافة والاطلاع دورها في التغيير ، كما تلعب هذه العوامل والزمن نفسه ايضاً دوراً فعالاً في عملية اختلاف النص ، فتأتي النصوص متقاربة ومتباعدة ، متقاربة في الاطار العام والسبك القصصي والشخوص الرئيسة وفي اللغة عامة وفي المضمون الاجتماعي ، ومتباعدة في بعض الشخوص والاحداث الفرعية وفي بعض المفردات وفي الصيغ اللهجوية ، دون الابتعاد عن الاطار العام

يمكن القول بعد مقارنة وتدقيق ان نسخة الدكتور نور الدين زازا هي اعادة طبع منقحة لطبعة ليسكو مع وجود فوارق في بعض الابيات متأرجحه بين الزيادة والنقصان ، وقد اشرنا الى بعضها في مواقعها من هذه الترجمة ومع اختلاف في بعض الكلمات اذ نجد عدداً من الكلمات التركية في طبعة ليسكو حل محلها مايقابلها في اللغة الكردية في طبعة زازا دون ان يخل ذلك بالاركان والشروط الشعرية للملحمة ، واغلب الظن ان الدكتور زازا قد عدل هذه الكلمات او استبدل غيرها بها – اعتماداً على الروايات المختلفة للملحمة التي توافرت عنده كما ذكرنا

وهنا تطرح مناقشة مشروعة نفسها ايحق للدكتور زازا اللجوء الى مثل هذه التغييرات في نص فولكلوري ؟

اذا جزمنا بان هذه التغييرات من صنع يد الدكتور نور الدين زازا فان المسالة تختلف عن قيامه بالتبديل اعتماداً على نصوص فولكلورية اخرى وعلى العموم فان كلا النصين المطبوعين لايراعيان الدقة المطلوبة في تثبيت النص الفولكلوري ومقارنته بروايات اخرى للنص ، مما نجده في النصوص المدونة من قبل الفولكلوريين الكرد السوفيت فقلما نجد عند روجيه ليسكو ايضاً اشارة الى اختلاف في رواية النص من قبل غير من ثبت نصه بناء على روايتهم للقصة ، رغم ان النص لايخلو من بعض الاشارات وعلى كل حال فان تبديل بعض الكلمات استنادا الى رواية غير نص ليسكو لايبدل شيئاً من جوهر الموضوع ويستوي الامر عند الترجمة العربية ، فسيان ان تنقل كلمة «هافينگه» الكردية او «yazliyane» التركية الى العربية ، فهما يعنيان المصيف ، وقل ذلك بالنسبة لمعظم الكلمات المستبدل بها وهي ليست كثيرة ، ولايمكننا ان نستبعد قيام المغني الكردي نفسه بالتبديل ، وهذه خاصية فولكلورية ، فاذا لم يكن هناك فرق بين رواية واخرى من الروايات الفولكلورية (الفاظاً ولغة وسبكاً واحداثاً) فما الحاجة اذا الى تدوين روايات مختلفة وتثبيتها ، واذا اعترضنا على الطبيعة الانتقائية لنص زازا استناداً الى روايات القصة امكننا ان نعتبر نصه رواية اخرى من روايات القصة ، الا تختلف اي رواية للنص من قبل شخص جديد عن الروايات السابقة بشئ ؟ قد يكون هذا الجدال تكييفاً قانونياً وتبريراً للنص الذي ثبته الدكتور نور الدين زازا ولكن عدم الاتفاق على مثل هذا التبرير لايعني الادانة ايضاً

فقد قام الدكتور نور الدين زازا بعمل مجيد كان له اثره في ايام اخراجه للطبعة اذ كانت بادرة تعيد النشاط في دمشق انذاك للمطبعة الكردية بعد ركود ، ودافعاً الى تجميع ادبي جديد

واذا كان البعض يرى تطابقاًاو تقارباً بين مقدمتي زازا وليسكو فان الدكتور نور الدين زازا لم يقرن الطبعة او المقدمة باسمه وما اسم «چيروك نڤيس» اي «كاتب قصة» المثبت على الغلاف وفي نهاية المقدمة بأسم مستعار للدكتور زازا او بلقب له كما تشير الى ذلك طبعة المجمع العلمي الكردي ، بل ان تذييله للمقدمة وهي تختلف عن مقدمة ليسكو عموماً رغم وجود اقتباس وتشابه ، ماهو الا خروج من المأزق امام عملية التشابه والاختلاف ، وقد لانجد اليوم تبريراً لذلك ، ولكن مثل هذه الامور كانت تبرر لاسباب عديدة في تلك الايام وفي موقع اخراج الطبعة ، ولم يكن احد يعترض على ذلك في حينه ، ولست بصدد محاكمة للأمر لافصل في الكلام او آتي بمقارنات ومشابهات في تاريخ الطباعة الكردية ، ولكنني اقول لو لم اكن شخصياً على اطلاع في موضوع هذه الطبعة ولم اشر فيما كتبته عن خاني ، ناقلاً اراء الدكتور زازا في المقدمة بأسمه[1]، او لو لم يكن الدكتور ناجي عباس احمد مطلعاً ايضاً على الامر ليذكر حقيقة ان «چيروك نڤيس» هو الدكتور نور الدين زازا[2] رغم عدم ثبته من تاريخ الطبع ، اقول ترى هل كان الدكتور نور الدين زازا تعرض الى بعض الاساءة من وراء عمله المجيد هذا لو لم نكن على اطلاع ونذكر اسمه فيما قنا به ؟

ان الدكتور نور الدين زازا هو واحد من رجالنا الاماجد الذين ومازال يعيش بعيداً عن اهله ووطنه ، مشرداً منذ طفولته ، وقد قدم الشئ الكثير من العمل والتضحية لشعبه ولايمكننا ان نذكره بغير التبجيل

اعود الى هذه الطبعة وقد اضطرني اختيار دار الثقافة والنشر الكردية لها الى ترجمتها هي دون غيرها والى مثل هذه المناقشة حولها

فقد اختارت هذه الدار قصة «مي الان» الفولكلورية لتترجم الى اللغة العربية ، ثم اختارت من بين طبعات النص طبعة المجمع العلمي الكردي لتكون اساساً للترجمة ، وكان للدار تبريراتها في مثل هذا الاختيار ، فهي طبعة اصدرتها مؤسسة كردية في العراق ورغم التزامي عموماً بما اوجبته الدار فقد وجدت نفسي ملزماً بالرجوع الى طبعة دمشق (اي طبعة زازا) وطبعة بيروت (طبعة ليسكو) ايضاً

ويظهر كل ذلك في الهوامش العديدة التي تراها في مواضع على النص المترجم اما طبعةالمجمع العلمي الكردي هذه ، فهي اعادة لطبعة دمشق ، بعد نقل النص المدون من الاحرف اللاتينية الى الاحرف العربية التي تستخدم في الكتابة والطباعة في كردستان العراق ومن قبل اثنين من العاملين في المجمع انذاك ، مذيلاً بمعجم لقسم من المفردات المغلقة او القديمة الصعبة

ليست هذه الطبعات او هذه الروايات في الاصح بالوحيدة في الميدان فمم وزين (ومي الان)اوسع واشهر قصة فولكلورية كردية خرجت باجنحتها من محيط جزيرة بوتان الى كردستان اجمع ، ومن روايتها بالفرع البوتاني من الكرمانجية الشمالية الى سائر لهجات الكردية وفروعها وقد كان سبك خاني للقصة من جديد (بطرزه واسلوبه) الضوء الاخضر الذي منح الملحمة الفولكلورية وسبكها الجديد حق الانتشار والمرور دون جواز وسمة مرور

فامامنا الان روايات عديدة لهذه الصيغة المسبوكة من «ممي الان» كما نرى امامنا صيغاً اخرى تختلف سبكاً ولهجة عن هذه الرواية وهي تحمل اسم «مم وزين» احياناً و «ممي الان» اخرى ، وتتوحد في الاطار العام في نهاية المطاف

لحما الفولكلور دلالات عديدة في حياة الشعوب فهناك ملاحم مشتركة تشترك فيها شعوب الشرق بكلها او جلها ، ويصعب تحديد انتسابها الى واحد من هذه الشعوب ، فاذا دل مؤشر مثل اسماء الشخوص والمواقع الى نسبته الى واحد من هذه الشعوب ، فهناك مؤشرات اخرى توحي بغير ذلك ،ملاحم «ليلى ومجنون»و «شيرين وفرهاد» و «اصلي وكرم» و «كوير اوغلي» ادلة بارزة لذلك كما ان هناك ملاحم تنحصر بين شعب من هذه الشعوب وتحمل بكافة مؤشراتها سمة ذلك الشعب فمنها ماتنحصر بمنطقة او لهجة ومنها ماتطير الى ابعاد الامة كافة ، وقصة مم وزين المنتشرة في كل مكان من كردستان وبكافة اللهجات الرئيسة وفروعها مثل بارز لما يدل عليه الفولكلور من وحدة اللغة والتراث والتكوين السيكولوجي والعادات والتقاليد للشعب الكردي الخ

لقد قام ليسكو بتنظيم جدول يبين الاختلافات الشكلية في النصوص المختلفة لمى الان ومع تثميننا المطلق لذلك الجهد يمكننا القول ان المقارنات لم تشمل جميع

روايات القصة وانحصرت في الشكل دون المضمون كما انحصرت في الروايات الشمالية للنص

من النصوص المدونة البارزة للقصة النص المنشور من قبل هارتمان الذي يختلف من حيث الوزن الشعري او الاطار الشعري عن نص (ممي الان) هذا رغم تشابهه في الاطار الاسطوري العام معه ، وفيه ابيات عديدة تشابه ابيات «مم وزين» خاني المنظومة ، وفي ذلك مادة لدراسة العلاقة المتبادلة بين النص الفولكلوري ونص خاني المنظوم ، والى هذه الظاهرة تنتسب وجوه من نص «مم وزين» المنشور او المعد من قبل الشاعر الكردي السوفيتي البارز جاسمي جليل ، في حين نرى تشابها شكلياً ومضمونياً بين نصنا هذا والنص المنشور من قبل المستشرق الالماني اوسكارمان رغم اختلاف النصين في اللهجة اللغوية

لسنا بصدد مقارنة واسعة وجادة بين نصوص «مم وزين» الفولكلورية المختلفة ، فان ذلك يحتاج الى مجال اوسع وخارج عن صدد تقديم هذه الترجمة. غير ان هناك علاقة متبادلة بين جميع النصوص الفولكلورية والنص المنظوم من قبل الشاعر والمفكر احمدي خاني (١٦٥٠ – ١٧٠٧) وقد فصلت في هذا الامر في كتاب « احمدي خاني شاعراً ومفكراً فيلسوفاً ومتصوفاً «ويمكنني اقتباس بعض السطور مما كتبته تلخيصاً لما فصلته

اذن فان خاني يرى جميع جوانب مم وزين ومظاهرها و عناصرها من نتاجه ويعتز بعدم اقتباسها واستعارتها و سرقتها ، وهي جميعاً حبيبة عنده لانها باكورة بستان قلبه ونتاجه الاول ، بل وطفلته الاولى

غير ان هذا النوع من الاعتزاز لايغير من حقيقة اقتباس خاني لاساس فكرة قصته الشعرية من حادث واقعي او من قصة فولكلورية ، وكما يسجل ذلك بنفسه فانه بذل في سبك القصة جهداً كبيراً وصقل القصة وحولها من قصة فولكلورية الى قصة شعرية تجد لها مكاناً بين القصص الشعرية العالمية المدونة»[٣]

ولكن ماهو التناسب بين قصة خاني هذه والنصوص او الروايات الفولكلورية المختلفة للملحمة ؟

يصنف خاني اجزاء ملحمته قائلاً

جزء من الشائع في بهتان
جزء هو حجة وجزء هو بهتان

ولو أمعنا جيداً في هذا التقسيم لوجدنا تفسير هذه العناصر الثلاثة بصورة يغدو كل عنصر منها مادة لبحث كبير حول مم وزين والتفسير هو

١ – جزء من الشائع في بهتان

اي جزء من الشائع في بلاد او جزيرة – بوتان (بوهتان) – بهتان ومن الواضح ان غرضه هنا هو القصة الفولكلورية –ممي الان– التي كانت تروى في زمانه في بوتان اضافة الى الاقاصيص والاحاديث التي كان اناس يروونها انذاك في بوتان عن مم وزين

٢ – جزء هو حجة

وهو يقصد هنا ما اوضحناه عن بيت سابق له اذ يرى في كتابه مم وزين شرحاً لهموم قلبه وبثها وان قصة مم وزين قد استخدمت لبث تلك الهموم وحدها وان هموم قلبه هي التحدث عن الحياة والتاريخ والعلم والتصوف الذي يشكل في مجموعة فكر خاني وفلسفته مما نقدمه الى القارئ في البحث

٣ – جزء هو بهتان

أي هناك امور مصطنعة او ملفقة في القصة ويقصد بذلك ما اضطر الى إصطناعه لكي يصوغ القصة، وهذه تشكل مادة دراسة الفن القصصي عند خاني في ذلك البحث. وان الجناس التام واضح في استخدامه لكلمة بهتان بمعنى جزيرة بهتان وبمعنى البهتان في العربية تلك الكلمة التي انتقلت الى الكردية ايضـ[٤]

اذن فهناك ارتباط وثيق بين مختلف الروايات الفولكلورية للملحمة وبين مم وزين احمدي خاني. ولا يمكننا فرز نص واحد واعتباره اقرب الى خاني من غيره كليا لسبب بارز هو ان النصوص الفولكلورية المتوفرة لدينا، مسجلة من قبل المستشرقين (ليسكو وهارتمان واوسكارمان) او من قبل الفولكلوريين الكرد (حاجي جندي وجاسمي جليل وغيرهما) او النص المعد من قبل الشاعر المعروف الحاج توفيق بيره ميرد (١٨٦٧ ١٩٥٠) وهو نص ذوسمات مختلفة عن سمات غيره .ان هذه النصوص كلها تنتمي من حيث التثبيت الى القرن العشرين ، وفيها بطبيعتها الفولكلورية بصمات من

القرون المختلفة ولا تعطينا صورة واضحة عن روايات النصوص قبل كتابة خاني لملحمته لنتثبت جزئيا من عملية التفاعل بين هذه النصوص ومنظومة خاني. ومن الواضح ان ابرز ماتراه عند خاني هو الانتقال لهذا السبب او ذاك من الاسطورة الى الواقع، والغاؤه لعناصر اسطورية عديدة في الملحمة الفولكلورية ابرزها صورة اللقاء الاول بين العاشقين اذ يلغي خاني دور الجن ويوصل الاحبة ببعضهم في اول يوم من الربيع، في احتفالات عيد نوروز، ثم ان نص خاني وثيقة فكرية ثبت فيها افكاره كواحد من قمم الفكر في عصره وبلاده

لم تكن كتابة مم وزين عملية كتابة ملحمة شعرية مجردة او مجرد تفاعل شاعري مع قصة حب عريقة في القدم، كثيرة التكرار، بل كانت عملاً هادفاً اراد به الشاعر ابراز وجه شعبه الكردي وخصائصه وقيمه، واظهاره للعالم كواحد من الشعوب العريقة، مبرراً به حقه في الانفلات من الربقة الفارسية والعثمانية وكان خاني صريحاً في دعوته هذه

ان في اختيار خاني لملحمة كردية بحتة وصياغتها من جديد، تعبيراً واضحاً عن طموحات الشاعر، ففي الوقت الذي اختار«فتي طيران»قبله قصته «شيخي صنعان» المشتركة بين شعوب شرقية عديدة، واختار عدد من شعراء الشرق البارزين قصصاً من امثال (ليلى ومجنون) او (شيرين وفرهاد) او (شيرين وخسرو)، وصاغوها صياغات مختلفة، فان خاني ياخذ قصة فولكلورية كردية صرفة ويقتبس اساسها لبناء قصته، مبتغياً ما اوضحه مراراً من هدف والتزام بقضية شعبه وابراز وجهه الحقيقي الصافي وعكس حياته واثبات اصالته الفكرية والادبية ورفع ادبه الى مستوى الاداب الشرقية الاخرى(٥)

ان اعتبار منظومة خاني وثيقة فكرية وفلسفية لاينفي مثل هذا الاعتبار من النصوص الفولكلورية قطعاً فان هذه النصوص تحمل في طياتها كل مايتسم به الادب الفولكلوري من سمات فكرية وفلسفية تضع الفولكلور و (الاسطورة والحكاية فالملحمة) في مكانها التأريخي من مسار نظرية المعرفة عند الانسان وتعطي الاسطورة طابعها الطفولي كنتاج فكري في عهد طفولة البشرية.

ان هذا النص يحمل سمات عصور عديدة، فهي تروي كما يبدو منذ عصور سالفة وتتعرض لعملية التبديل والحذف والاضافة من راوٍ الى آخر، ويضفي كل واحد سماته

الذاتية وسمات عصره على النص المروي، وتلك هي خصلة بارزة من خصال النصوص الفولكلورية تنتمي الى عهد الاسطورة

وحكايات بطولية تنتمي الى عهد البطولة والفروسية فصور حديثة تحكي قصة المحاكم ودوائر الحكومة في القرنين الآخيرين، وقل ذلك عن أسماء الشخوص والتفاصيل الوصفية المتعددة.

ان هذا النص كغيره من النصوص الفولكلورية ونصوص مم وزين بالتحديد تستحق وقفة طويلة من التمعن والدراسة النقدية والفكرية التي تبعدنا عن البغية الاولى وهي تقديم ترجمة للنصّ عنها.

قد تكون لنا عودة الى ذلك والى عالم مم وزين وعالم احمدي خاني، وقد يكون خوضنا في ذلك العالم بداية لما تنبأ به استاذنا الدكتور قنات كوردو (كوردوييف) لدى مناقشة اطروحتي عن «احمدي خاني» ان تكون هذه بداية تأسيس الدراسات الخانية، مثل ماتدرس الامم شعراءها البارزين مثل شكسبير وبوشكين... الخ.

واذا كانت لي كلمة اخيرة حول هذه الترجمة والنص المعتمد علية قلت:

رغم تقديري لما في اعمال المستشرقين من خلال العلم والدقة والتتبع، لايمكنني ان اقر قدرة اي مستشرق»على تملك ناصية لغة غيره وأسرارها كواحد من المتمكنين من ابنائها. فكيف بنا ونحن نتحدث عن الدكتور نور الدين زازا وهو على ما وصفناه من معرفة وحب لشعبه وتفان من اجله.

عند تكليفي بالترجمة كنت اعلم ان اخي وصديقي الاديب المهندس صلاح الدين محمد سعد الله قد قام بترجمة مقدمة الدكتور نور الدين زازا ونشرها في قالب كراس صغير ببغداد عام ١٩٧١، فعدت الى تلك الترجمة وكنت انوي عدم اعادة الترجمة وتكرار المجهود، لكنني اتضح لي بعد القراءة الثانية والمقارنة ان الكراس تلخيص للمقدمة وهوامش من المترجم استفدت منها طبعا، وقد حذف المترجم اجزاءا منها لاسباب مبررة عنده، ووصف الكراس بقوله:

(تعتبر رواية «مي الان» مأثرة الادب الكردي. وقد دونها «چيروك نقيس» وطبعها في مطبعة (كرم) بالحروف اللاتينية ونشرها في دمشق عام ١٩٥٧، مع دراسة نقدية نفيسة كمقدمة لها.

وبانتظار ترجمتها للعربية ونشرها، وددت تعريف القراء بها عن طريق دراستها النقدية وتلخيصها، وتطعيمها بأبيات ضافية مناسبة من «مم وزين»[٦]

اذن فمن المبرر ان اقوم بالترجمة مرة اخرى وان اقر امانة باستفادتي من ترجمة الاخ سعد الله وهوامشه على الترجمة فشكرا له وعرفانا بالجميل.

وكلمة اخيرة:

عرفت بعد إنجازي للترجمة ان هناك ترجمة اخرى للنص واننا قد نخوض سباقا من حيث الاسراع في اخراج احد النصين للنور، فلم يكن امامي خيار غير التخلي عن هذا الجهد المبذول في الترجمة ورد تكليف دار الثقافة والنشر الكردية في وقت لا اعرف شيئا عن طبيعة الترجمة الاخرى وافضلية احدىالترجمتين. فاخترت الاستمرار ولاسيما ان ترجمتي لم تكن منذ البداية ملكا لي. بل قمت بها بتكليف من هذه المؤسسة الكردية. ولي ان اقول لاضير من وجود ترجمتين اوعدة تراجم لنص واحد فكم من المترجمين نقلوا اثار شكسبير او الخيام الى هذه اللغة اوتلك مرات عديدة، ولا اخفي انني لم اكن افضل القيام بترجمة اي نص الى الكردية ومنها مرتين بل افضل بالنسب لنا توفير الجهد لتقديم عمل آخر. ولكن ما الحيلة؟ فان امام القارئ ترجمتين قد تتميز كل واحدة منهما بخاصية معينة من حيث القوة والمآخذ، وقد يكون ذلك درسا في حقل الترجمة، وشافعي في هذا الاعتقاد انني قد درست مادة الترجمة عدة سنوات لطلابي بكلية الاداب في جامعة بغداد.

شكرا لدار الثقافة والنشر الكردية لاتاحتها لي هذه الفرصة الجديدة في العمل.

شكرا لاخي وصديقي الاستاذ شكور مصطفى فلقد كان دوره في اعداد هذه الترجمة اكثر من مراجع وبذل جهودا مضنية لاخراجها. وشكرا للأخ الودود الاستاذ محمد الملا عبد الكريم فقد تحمل اعباء الطباعة واللمسات الاخيرة من تقديم النص في ظروف اجبرتني ضرورات الحياة الى ترك مسكني من بغداد الى مسقط رأسي وموطن أهلي مدينة السليمانية فتركت مسودة النص وابتعدت عن المطابع فله وللأخ شكور شكري وشكر الجميع.

●

(١) ورد ذلك في كتابنا «احمدي خاني شاعراً ومفكراً» بغداد ١٩٧٩

(٢) للحقيقة اقول ان الدكتور نور الدين زازا لم يكن يرغب في نشر نتاجاته باسمه الا نادراً ، وقد قمت بتثبيت اسمه وفاء دون استئذان منه ، حتى في ما نقلته من ابداعاته القصصية المنشورة بمجلة «هاوار» للكتب المدرسية التي اسهمت في تاليفها للمدارس المتوسطة والاعدادية

كما ولم يرد الاستاذ المهندس صلاح الدين سعد الله الافصاح عن اسم الدكتور نور الدين زازا بل نشر ترجمته للمقدمة باسم «جيوك نفيس» رغم اطلاعه على جلية الامر ، وكنت اود ان ينحفنا الاستاذ سعد الله بالمزيد عن تعاون الخالد جلادت بدرخان مع زوجيه ليسكو وهو على اطلاع وافر عليه دون شك

(٣) المرجع المذكور ص ٤٨

(٤) المرجع ذاته ص ٥٢ ، ٥٣

(٥) المرجع ذاته ص ٤٧١

(٦) مي الان دراسة نقدية عامة [illegible] ترجمة المهندس صلاح سعد الله بغداد ، ١٩٧١ ص ٣

من جبال درسيم حتى لورستان، وفي كل مكان بكردستان، تتمتع قصة «مى آلان» بشهرة واسعة. فالصغار والكبار، والشيوخ والكهول، نساءً ورجالاً يجتمعون ساعات طويلة، حول المغنين وبخاصة في ليالي الشتاء، ليستمعوا بكل شوق الى هذه القصة الغنائية الرائعة.

ان هذه القصة الكردية لم توضع لحد الان بشكلها المدون[1]، في يد الكرد، وكان الاوروبيون قد سبقونا في تثمينها، واسرعوا في تقديمها الى قرائهم كنموذج للحب العذري السامي، الذي يعكس السمات البارزة للشعب الكردي.

اهتم عدد من المستشرقين الاوربيين بـ «مى آلان» واولهم. «أ سوتسين» الذي دونها بالالمانية وباللهجة البوتانية[2] في بطر سبرغ (لينينجراد حاليا)، في العام ١٨٩٠ ونشرها في اوربا، ثم قام (أ. لى كوك) العام ١٩٠٣ باصدار طبعة اخرى من مى آلان

وبين الاعوام ١٩٠٦ ١٩٠٩ قام الماني آخر هو اوسكار مان بنشرها وتعريف شعبه بها في برلين باللهجة المكرية[3] والالمانية مع قصص كردية اخرى مثل «خان دمدم».

وفي العام ١٩٢٦ قام احد المهتمين بالدراسات الكردية وهو هوكو ماكاش بتقديمها الى القراء الاوربيين، مرة اخرى.

وفي لينينغراد، وفي العام ١٩٣٦، قام عدد من الارمن الضليعين باللغة الكردية بنشر ترجمة ثلاث روايات مختلفة من مى آلان.

واخيرا قام فرنسي معني بالدراسات الكردية هو روجيه ليسكو، بنشر «مى آلان» باللغة الكردية، مع ترجمتها الفرنسية في بيروت، بعد جهود استغرقت اربع سنوات، وبمساعدة المغفور له الامير جلادت بدرخان. ان هذه الطبعة لم تنتشر بين الكرد، ولكنها تعتبر من احسن الترجمات.

استمع ليسكو، لاجل تدوين هذه القصة، الى اكثر من عشرين مغنيا، لعدم اجادة احدهم روايتها.

فكما يقول ليسكو نفسه، أدى غياب الامراء والاقطاعيين والزعماء الكرد، الى اختفاء المغنين الجيدين من الميدان وبقائه خاليا واذا لم نقم نحن بالاهتمام بعد اليوم بفولكلورنا (بكل فنونه الشعبية) فسيختفي ويزول.

لنأت الآن الى ليسكو: فبعد استماعه الى مغنين كثيرين وتسجيل ما غنوه، اتى بمغنيين آخرين، هما ميشو البرازي وصبري المهاجر في بيروت. وقد اقتنع بهذين المغنيين اكثر من غيرهما فأخذ معظم القصة من ميشو وأكمل بقيتها من صبري والرواة الآخرين.

وهكذا يجب ان يكون «مم آلان» ليسكو ابدع من غيره غير اننا نجد فيه نقصا يكمن في ضعف لغة ميشو، فلغته الكردية كانت تحت تاثير العربية والتركية لدرجة ابتعادها احيانا عن اللغة الكردية وصيرورتها لغة اخرى، وما فعلناه ينحصر في تنقيح لغتها الكردية وتقديمها مع صور الى قرائنا.

ان عملنا كما ترون لم يستغرق سنوات بل انجز في اشهر معدودات، وان ما قمنا به، رغم قيمته المتواضعة، سوف يفيد الشعب كما نعتقد، ونأمل من مثقفينا، وبخاصة من يعيشون منهم بين ابناء الشعب ان يسروا بعملنا هذا، على صغر اهميته وان يثمنوا فولكلورهم الثري وان يدونوا الاغاني والقصص والملاحم والاساطير الخاصة بشعبهم ويحاولوا نشرها في يوم من الايام.

فلنأت الآن الى مم آلان. فان من يمعن النظر في هذه الملحمة يتوقف عند نقاط عديدة ويبحث عن اجوبة عنها.

ان اثرا بديعا مثله، يحتاج الى بحث عميق وطويل كي يتمكن المرء من دراسته وتحليله ونحن نأمل ان يكون لهذه الملحمة وغيرها نصيب من الدراسة والتفسير في مدارسنا وجامعاتنا في المستقبل[٤]

وسنتناول الآن هذه النقاط مااستطعنا الى ذلك سبيلا.

١ – المسألة التاريخية:

من الواضح قبل كل شيء ان هذه القصة قديمة جدا ويرجع اصلها الى عهد السيد المسيح، وقد ظهرت باشكال مختلفة، واتخذت صورا متعددة. وقد اقتبس احمدي خاني بنفسه موضوع مم وزين من قصة مم آلان[٥]، وبدل فيها اشياء كثيرة وصاغها بلغة ادبية راقية جدا غير انه ادخل فيها ويالللاسف مفردات عربية وفارسية كثيرة ولكن الشيخ خاني يعيرنا حين يسجل ان كل شيء في قصة «مم وزين» من بنات افكاره.

ان رائد الشعب الكردي، الشاعر يقول في ديباجة ديوانه

ان لم تكن هذه الكرمة ريانة
فهي كردية، وهذا قدرها ومقدورها
وهذه الطفلة ان لم تكن جميلة
فهي البكر، وهي عندي حبيبة
هذه الفاكهة، ان لم تكن جد لذيذة
فهي طفلة عزيزة عندي كثيرا
المحبوبة واللباس والقيراط
الالفاظ والمعاني والعبارات
الانشاء والمباني والدرايات
الاسلوب والصفات والمعاني والالفاظ
لم نقترض واحدا منها اصلا
هي نتاج الفكر جملة
هي فتاة عروسة باكرة[٦]

اذا استمعنا الى هذه الابيات فسنستنتج ان كل شيء هو من نتاج فكر شاعرنا الفذ، ولم يبرز قبله اثر للقصة والملحمة، ولكن لماذا قال خاني ذلك في حين نرى شاعرا كبيرا اخر هو الملا الجزيري، وهو اقدم من خاني، يتحدث في ديوانه عن مم وزين ويخاطب حبيبته قائلا:

لن ابدل شعرة منك بمائتي زين وشيرين
فماذا لو حسبتني مثل فرهاد او مم.

وموضوع ممي آلان اقدم من الجزيري ايضا اذ يقول المؤرخ الدانماركي الشهير اي. كريستنس المتخصص بالدراسات الايرانية ان قصة شبيهة بـ «ممي آلان» قد انتشرت بين الامم الآرية قبل المسيح بالف عام وقد وضع كاتب يوناني هو جارليس دميتليني (شاريس) قصة مماثلة قبل الميلاد بخمسة قرون.

ينقل كريستنسن قصة شاريس باختصار:

في زمان ما، كان هناك اخوان يسمى كبيرهما «هيستاسبيس» والثاني «زار يادريس» ويقال انهما كانا من ابناء «ادونيس» و «افروديت،»[٧]

كان الاخ الكبير هيستاسبيس يسيطر على بلاد ميديا والمناطق الجنوبية منها، بينما كان (زاريادريس) يحكم من شمال بحر الخزر الى نهر تون[٨] وفي اعلى هذا النهر كانت بلاد «مارتان» (ماراش) وكان ملك هذه البلاد هو (هور مارتيس) وله ابنة جميلة جدا اسمها «اوداتيس»

يروى ان اوداتيس رأت زاريادريس في الحلم واحبته، وحلم زاريادريس باوداتيس وعشقها، ووقع الاثنان في حب عميق واخلصا لغرام حلم الليل. كانت اوداتيس اجمل نساء آسيا وكان زاريادريس مشهورا بوسامته

ارسل زاريادريس رجلا الى هومارتيس والد الفتاة طالبا يدها الا ان ملك ماراتان لم يوافق فلم يكن له وريث للعرش، واراد ان يزوج ابنته من احد افراد عائلته. وذات يوم دعا هومارتيس اقرباءه من الامراء وزعماء البلاد الى اجتماع كبير ولم يشر الى الزواج بشيء، وبعد انتهاء الضيوف من الاكل والشرب نادى الملك ابنته وقال لها: اوداتيس ابنتي نحن نحتفل بزواجك الليلة فانظري الى الضيوف جيدا ثم امسكي كأسا ذهبا واملئيها شرابا وناوليها الشخص الذي تختارينه زوجا لك، وكانت اوداتيس قد اخبرت حبيبها بقرب زواجها فتوجه زاريادريس ومرافقه[٩] بسرعة كبيرة نحو حبيبته بمركبته الحربية وزار بلدانا عديدة وقطع ٨٠٠ فرسخ حتى وصل مدينة اوداتيس فترك عربته مع مرافقه سائق العربة وذهب الى حفلة الزواج حيث رأى اوداتيس واقفة امام الضيوف تملأ الكأس ببطء وتبكي فيقترب ويهمس لها: «اوداتيس، ياحسناتي لقد جئت حسب رغبتك طالبا يدك، انا زاريادريس. وبرؤية هذا الغريب الذي يشبه خيال حلمها تبتسم الفتاة وتقدم له كأس الشراب بسرور عظيم فيأخذ زاريادريس الكأس ويرتشف من شرابها ثم يمسك بذراع الفتاة ويخرجها من القصر ويضعها في عربته ويهزم.

وعندما يسأل هومارتيس عن ابنته الخدم والحشم والجواري الذين كانوا يعلمون بعشقها لم ينبسوا ببنت شفة.

هنا تصل قصة شاريس الى نهايتها. ويقول شاريس ان سكان آسيا الوسطى كانوا

مولعين بهذه القصة وان جدران المعابد والقصور والبيوت كانت مزدانة بحوادثها وان غالبية الملوك والامراء كانوا يطلقون اسم اوداتيس على بناتهم.

يطرح كريستنسن بعض الملاحظات حول رواية شاريس في التاريخ الايراني القديم اذ يظهر ان هيستاسبيس كان (فشتاسبا) وان شاريس استبدل اسمى «زاريفارى» و «زاير» ولدي «لوهراسب» اسم زاريادريس.

ان «لوهراسب» وولديه لم يحكموا في ميديا او في الغرب بل حكموا في شرق ايران. ويعتقد المؤرخ الدانماركي كريستنسن ان هذه القصة كغيرها من القصص والروايات الايرانية، جاءت من الشرق الى الغرب

توجد نقاط متشابهة في القصة الكردية وقصة شاريس اليوناني. فلا فرق بين «مم» و «دريادريس» فاذا كان الاخير ابن «ادونيس» و «افروديت» فان بطلنا قد ولد بمعجزة ايضا وان لحصانه الاشهب العداء[١٠] صفات اسطورية والشبه بين «زين» و«اوداتيس» والامير «أزين» و«هومارتيس» و «بنكين» وقائد عربة «زاريادريس» قريب جدا، وكما يقول شاريس فان هذه القصة انتشرت بين الشعوب الآسيوية القديمة، ولاشك انها انبثقت بين الايرانيين[١١] اولا، الا ان الموضوع الغرامي في جوهره كان واحدا عند تلك الشعوب ولكن الرواية اتخذت شكلا آخر عند الكرد وانمازت بطابع اسلامي كردي محض ويبدو كون القصة اسلامية من تبدل ملك الجان الى سيدنا الخضر وقد تعرضت القصة لتغيير آخر عند تطبعها بالكردية فقبل كل شيء يزداد عدد شخصيات القصة: وهم عما م وخاله، الجان وسيدنا الخضر، «بكو» وابنته «ستى» و «الامير شم» و«الأبيوز» (الافاقون) والتاجر الكبير، والاهم هم الاخوة الجلاليون الثلاثة. وبوضع بكو والجلاليين في القصة اظهر رواة القصة الكردية عبقرية دراماتيكية كبيرة genie dyamarigue وعكسوا الفلسفة الكردية القديمة: حول الصراع بين الخير والشر وانتصار الخير على الشر بجهود الناس الطيبين ولم يبتعدوا بذلك عن فلسفة شعبهم. وسنتعمق في هذه المسألة فيما بعد.

ب – تاريخ شخصيات القصة:

اما مم آلان، فان «مم» اختصار لاسم محمد، لقد قلنا ان هذه القصة قد جاءت من الشرق الى الغرب، واسلمت تدريجيا، ثم انصبت نهائيا في قالب اسلامي، حينما

اعتنق الكرد الاسلام، واتخذ العربي عندهم صورة مقدسة. ولهذا لم يكتفوا بتسمية بطل القصة محمدا، بل نسبوه الى اصل قرشي ايضا وكانت العادة الجارية في كردستان ربط نسب العوائل الكبيرة من الآغوات والشيوخ والامراء بالنبي محمد (ﷺ). فلا غرابة اذن ان يكون الامير النبيل اي «ممي آلان»، وهو على هذه الدرجة من علو المحتد، والجمال والوسامة من اصل قرشي، ولكن الغريب ان يكون «مم» سليل القرشيين وامير مدينة «المغرب» وسلطان الكرد في آن واحد.

يمكننا تحليل ذلك على هذه الصورة:

عندما كان للايرانيين نفوذ، غدت لامبراطوريتهم ثروة طائلة وكان ملوكهم من الفرس احيانا ومن الكرد في احيان اخرى. وكان الكرد قد ربطوا مصيرهم بمصير تلك الامبراطورية، يضعون لها اسس جيشها ويخوضون جميع حروبها. وكان لهم علاوة على ذلك اماراتهم او حتى ملوكهم المستقلون ولكن هؤلاء كانوا قبل كل شيء اباطرة ايرانيين (كردا كانوا ام فرسا)

وقد انهارت عظمة الايرانيين وتشكلت في الغرب دول كبرى غيرها وضعت العالم تحت سيطرتها كاليونان والرومان والبيزنطيين والعرب وصلاح الدين الايوبي والعثمانيين اخيرا.

ويمكننا القول ان هذه الدول (عدا الايوبيين) كانت جميعاً (مناوئة للكرد).

اما في عهد صلاح الدين الايوبي فقد احتل الكرد مراكز بارزة في السلطة والمجتمع، واصبحوا ذوي شأن وسطوة وسمعة عالية. ويذكر التاريخ ان اكثر جنود صلاح الدين كانوا من الكرد، وكان قادة جيشه من زعماء الكرد وامرائهم، وليس من المستبعد ان يكون صلاح الدين سلطان المسلمين وزعيم الكرد قد اخذ محل «ممي آلان» في مخيلة الرواة الكرد. انه مجرد احتمال.

اما اسم الآن فان كثيرا من الشك يحيط به ايضا فيقال ان المغنين قد نطقوا به بعد كتابة احمدي خاني لقصة «مم وزين» لان والد «مم» كان من رجال امير بوتان وكان يرفع رايته في الحروب فانتقل اللقب الى «مم»[١٢] ويخمن ليسكو ان المنطقة الواقعة بين جنوب القفقاس ونهر دجلة كانت تحت سيطرة شعب «آنس – آلين» لفترة من الزمن، وقد حور المؤرخون الشرقيون «آلين» الى «آلان». وفي عصر الساسانيين تحكم الآلينيون في اواسط القفقاس «حتى وصلوا الى جبال زاكروس والسليمانية»[١٣].

وفي الفولكلور الارمني سجلت قصة بين ارداشيس وبنت عم امير «آلين» ويحمل بطن من عشيرة «سويسنان» (منطقة وزنه – سردشت في ايران) اسم«آلان»، ويطلق الكرد بايران اسم «آلان» على المنطقة الواقعة بين السليمانية وبانه، وان اسم النهر الخارج من خليفان قرب رواندوز هو «آلون»[١٤] ويتحدث المؤرخ الروماني بلنه (بلين) عن قوم «آلوني» سكنوا تلك المنطقة ولكن تاريخ كردستان، وسكانها على الاخص لم يدرس بصورة جيدة، ومعلوماتنا في هذا الصدد تستند الى التكهنات وحدها[١٥] اما الامير أزين فشخصية تاريخية هو ام خيالية احلها رواة الحكايات محل شخص آخر؟.

ان اسم امير بوتان في رواية «ميشو» هو ازين ابن الامير تاجدين. وهو عند بعض منشدي الملاحم وفي مم وزين الامير زين ابن الامير افدال وفي شرفنامة اشارة الى اميرين من بوتان باسم افدال، احدهما حفيد خالد بن الوليد. وكان والده قد اقطعه مقاطعة فنك[١٦]، فهو اذن لم يحكم بوتان في يوم ما وليس من الممكن ان يكون الامير زين الدين ابنا له.

اما الامير افدال الآخر، فلا يذكر شرفنامة شيئا مفصلا عنه، بل يذكر فقط ان له ابنا باسم الامير عز الدين او الامير ازدين ويذهب الامير ازدين في العام ١٣٩٣ م الى ماردين ويعلن الطاعة لتيمورلنك ويرجع الى امارته في جزيرة «بوتان» ثم يلجأ اليه كردي كان قد اساء الى تيمورلنك، فيطلب منه تيمور هذا الشخص ولكن الامير ازدين يرفض ذلك فيهاجم المغول «جزير» وينهبونها بعد تدميرها ويفلت الامير من ايديهم الى «اروة» حيث يقضي بقية ايامه متصوفا متعبدا داعيا.

وبعد قرنين يتآمر امير ازدين آخر ويقتل اخاه «شرف» ويستولي على امارة «جزير». ويذكر شرفنامة ان الامير ازدين كان حيا لغاية العام ١٥٩٦ وهي سنة تدوين شرفنامة اي قبل كتابة مم وزين خاني بقرن واحد. ولكن التاريخ الكردي لايذكر شيئا عن امير بوتاني باسم زين الدين او زيدين او زنكين ولهذا فان اسم ازين الذي اطلقه ميشو على امير بوتان اقرب الى الواقع وعندها نتذكر اولا ان ازدين انما هو عدو تيمورلنك ولكن، كما يقول ليسكو، ليست لدينا براهين تاريخية لاثبات هذا الاحتمال ثم ان الامير ازين حسب رواية ميشو ليس ابن الامير افدال، بل هو ابن

الامير تاجين وكما قلنا فان القصة قديمة جدا ويبدو ان الامير ازين قد وضع موضع شخصية اخرى ولكن لماذا وقع ذلك ؟[١٧]

لماذا تبدأ القصة من مدينة «مغرب» وتنتهي في «جزير» ويظهر فيها امير بوتان بدور غير محبب؟ من الجائز، كما يقول المستشرق الروسي فاسيلي نيكيتين، ان اعداء امراء بوتان بدلوا القصة وصبوها في هذا القالب انه احتمال وارد وثمة احتمال آخر

ان من الثابت ان التجارة والصناعة والثروة كانت تتقدم في كردستان ابتداء من القرن التاسع الى دخول الاتراك فيها وكانت هذه عوامل اقتصادية موحدة لكردستان، فبدأت سياسة ضرورة توحيد البلاد تظهر في ما يكتبه الشعراء الكرد فالملا الجزيري يعتبر نفسه في احدى قصائده لاشاعر امارة بوتان حسب، بل شاعر كردستان جمعاء ، فيقول

اناوردة في حديقة ارم بوتان
انا سراج في ليل كردستان.

ويعتبر احمدي خاني هذه «الضرورة» منطلقا لتطلعاته وآماله ولكن كردستان تسير في طريق النجزئة القومية تمزقها الخلافات من الداخل وبطش السيطرة التركية – الفارسية من الخارج.

في القصة سلطان او اميركرديان يمد السلطان يده للامير ويحاول توثيق الصلات بينهما فيرفض الامير التقارب خشية ضياع امارته ووقوعه في يد ملك الكرد. ويلجأ الى الكيد ضده بدلا من الاتحاد معه

لايمكن ان نقول ان كتابنا شعروا باضرار التفرقة فعكسوها في اعمالهم افلا تعكس الآداب والفنون القومية حياة وآمال الشعب[١٨]؟

اما زين فتتركنا تاريخيا، في ظلام دامس، لماذا يسمونها «زينا زيدان»؟ لسنا ندري اننا نامل من باحثينا ازالة الغموض حول هذه النقاط في المستقبل.

جـ – نظرة ادبية:

من الناحية الادبية يمكن ان نعيد القول، ان لغة ميشو فيها من الركاكة الشيْ الكثير وان لغة صبري هي اكثر رصانة رغم انها ليست على درجة عالية من المتانة

والتماسك. وهناك نماذج ، فقطعة الشطرنج تعتبر فريدة في روعتها الادبية وفي اللغة والصورة. وقد روت امرأة من مناطق الحدود هذه القطعة الرائعة للمغفور له الامير جلادت بدرخان فدونها، وبسبب هجرتها المبكرة من الوطن فانها لم تكن تتذكر من ممي آلان بصورة جيدة غير هذه القطعة ان اوزان الابيات ليست متماسكة، ولكنها رغم ذلك درة الفولكلور وقمته. اما القوافي في القصة فليست موحدة ومتينة وكلاسيكية (اذ لاتتبع قواعد البيت العربي او الفارسي) هناك ابيات طويلة جدا وابيات قصيرة وهذا مايتبع في جميع اغاني الحرب والحكايات القصيرة الموزونة ، ممايحط من قيمة النص حسب القواعد، القديمة، ولكنها بالنسبة للادب المعاصر او الشعر الحر leverslibre انما هي نتاج قيم جدا.

اذا ترك شعراؤنا اصول الشعر العربي والفارسي وتوجهوا نحو فولكلورهم وبحثوا عن جذورهم واستلهموا منها فانهم لاينتجون نتاجا مختارا حسب ، . بل يعرفون العالم بتراثهم الشعبي العظيم وينالون به الاعجاب

ورغم ان اللغة التي دون بها ممي آلان ليست بلغة تبلغ علوا في السمو[١٩] فان القصة تحتوي على صورة لانجدها الا في الروايات والتراجيديات الادبية وبخاصة في المسرحيات الراقية. انظر الى وصف زين الحبيبة:

وجبهة عريضة، من معدن الذهب ،
نثرت ضفائرها وحواجبها على رمانة الوجه،
وارسلت الضفائر والعذار على الغدائر
فارتمت في السرير فوق الوسائد
كأنهم قد صاغوا زينة وحلى،
انسابت على الصدر كنقوش في ابر

او تسمع وصفا لزين عندما تسمع بقدوم ممي آلان الى الجزيرة:
فهاج قلبها كالبحر منذ اللحظة
وتقاذفت بها امواج الخيال من قمة رأسها الى اخمص قدميها
وثارت الشجون من جديد.
ولكنها لم تكن كتلك الشجون ، شجون اليأس من قدوم مم ملك الكرد.

او عندما يعلم جكو ان مم قد قدم من اجل زين فكيف يتقدم الى اخويه:

انا جكو ولست مجنوناً!

مثل ذئب في زمهرير الشتاء، خاثر البطن، مخضب الفم بالدم.

فان جاءني الآن مائة رجل فلن اوصل احدا منهم بآخر

اذا كانت مدينة الجزيرة كلها معهم فانا لا اهتم بهم جميعا

ان وجود مواقف مسرحية قوية كهذه نادرة جدا. لننظر الى وصف حسن، عندما ينقض اخوه جكو عهده:

احمرت عينا حسن في مآقيها كعيني تنين

فصدره يعلو وينخفض مثل امواج البحر

ووقفت شعرات رأسه كمثل الاشواك

وعندما يتغلب مم على الامير في الشطرنج يصف المغني لعب مم وكأننا في ميدان الحرب.

وعرف المتفرجون ان ممي آلان مقتدر

ولن يقدر الامير ازين على رفع الاحمال والاثقال

انهال مم بالرماح والنبال والعصي على جنود الامير

وخرب الصف الاول، وسار الى الميمنة ثم دخل المعمعة

وقذف الفرسان من على الخيول وداس المشاة تحت حوافر الفيلة

اخذ احمال الضرائب من العدو وساقها امامه

تقرب من الشاه واسر الرخ والملك.

ولاينسى المغنون وصف الطبيعة فيبدون فيه ذكاء، فتصوروا نهر دجلة امامكم في الربيع:

احمرت دجلة كدماء الرجال

وهي تتاوج موجا فوق موج

حتى تحتضن المروج سفوح الجبال

ولنوجز الحديث فان بحثنا في النص وجدنا نصوصا قيمة اخرى نبرزها للقراء وفي ممي آلان وجميع الاغاني و الروايات والقصائد الكردية ميزة هامة هي احتواؤها على كلمات من اسماء الاصوات بدل لفظها على معناها وهذا مايسمى بالتعبير الصوتي

ويسمى في الفرنسية «هومونثوبيس» وان لمثل هذه الظاهرة قيمة ادبية كبيرة ان احسن استعمالها وقد كتب راسين الكاتب التراجيدي الفرنسي في مسرحية اندروماك بيتا هو:

queis sout se serpanki sift surno tit?!

kei son se serpanki sift sur notit

اي:

ماهذه الافاعي التي تفح علينا فحيحا؟..

قد لايظهر في الكردية شيء مامن اللفظ الصوتي ولكن التعبير الفرنسي يظهر صوتا نسمع منه فحيح الافاعي بصورة جلية ويهيجنا مرور الافاعي فوق رؤوسنا اكثر فاكثر.

ان هذا البيت مشهور في الادب الفرنسي وعندما يريدون اظهار سمو نتاج راسين في المدارس يمثلون بهذا البيت كمثل جميل ويتناقشون حوله ساعات واياما.

وفي الفولكلور الكردي امثله كثيرة لذلك مثل:

«تعالى صليل السيوف وخرير الاشرطة وفحيح الافاعي واصطفاق الاسماك»

واذا بحثنا عن مثل هذه الامثلة وجدنا امثلة كثيرة، ويمكن ان نجد امثلة في قطع اربع اخرى وهذا مايستوجب البحث والتمعن.

هناك في ممى آلان قيم ادبية اثمن من هذا فعلاوة على موضوع الغرام نرى فيها شخصيات اسطورية وقصصا قصيرة ومظاهر لغوية نحوية[٢٠] يصل فيها الى مصاف الآثار العالمية الشمولية كآثار هوميروس اليوناني وشكسبير الانكليزي وراسين الفرنسي وغوته وشيلر الالمانيين. ومن مؤلفات هؤلاء الشعراء العظام تعتبر «رميو وجوليت» شكسبير اقربها الى قصتنا فبطلاها كبطلينا منكودا الحظ، وكلاهما يخفقان في حبهما العذري، ويصبحان قربانا له، وبطلا شكسبير يتحران في سبيل حبهما، ويمكننا القول ان مم يقتل نفسه ايضا فهو يعرف ان الرمان مسموم ومع ذلك يأكله. ولكن بسبب استهجان الكرد والمسلمين لفكرة الانتحار فان راوي القصة يمزج الاحلام بالقدر والقوى الخارقة غير المرئية فيجعل من «مم وزين» شهيدين ويضعهما في الجنة ليصبح حبهما مقدسا وابديا.

في ممى آلان تلعب عقائد قديمة جدا الى جانب العقائد الاسلامية دورا كبيرا فمم وزين يلتقيان على ايدي الجن ويحب بعضهما بعضا ولكن احمدي خاني لايختار مثل هذا اللقاء في مكانه بل يختار للقاء مم وزين يوم نوروز ومهرجانا اكثر مناسبة، وفي روميو

وجوليت ايضا تتم المقابلة الاولى في مهرجان وينشأ الغرام بين الحبيبين ولكن الاحداث العظيمة لم تكن تقع في الماضي دون الجان وكانت القصص والملاحم مظلمة وباردة ودون رنين دونهم لنعد الى شخصيات الملحمة ولنر اي انسان هو «مم»؟

انه قبل كل شيء عاشق وعشقه صعب المنال يحرق القلوب الى درجة يفقده معها شعوره ورغم ذلك فان جوهره الاساسي العظيم يظهر للعيان ولكننا نراه في الحقيقة خاليا منه في مواقع عديدة.

مم رجل قاسي القلب، ظالم بالنسبة للفقراء وبالنسبة لمن يخدمونه انانى ومتكبر فهو يعرف جيدا ان زين مخطوبة لـ «جكو» ومع هذا يطلب مساعدة الجلاليين ورغم ذلك يتكبر ويتفاخر على زين بصداقتهم وهو لا يبدو رقيقا حتى مع حبيبته عندما يخاطبها قرب نبع القسطل وسلوكه يشوبه الضعف احيانا فحينما يتوجه الكرد لمحاربة الفرس يتحايل لترك جماعته والعودة الى «زين» ان ضعفه يشل كيانه في السجن فيستسلم للقدر تماما.

يبدو مم في «مم وزين» احمدي خاني بشكل آخر فهو شجاع وكريم وذوهمة عالية وحبه اسمى وأنقى وينتهي بالتصوف ،اذ يندمج حبه لزين بحب الله وعندما تعطيه زين الاذن بالانطلاق من السجن لايكترث بذلك بل يفارق الحياة داعيا متعبدا.

وفي بعض روايات «ممى آلان» يقتل «مم» غدرا بدون اي مغزى فحبه لايثمر واعماله لاتجدي الانسانية، اما في الرواية التي يغنيها ميشو فيبدو ان المغني متاثر بالشيخ خاني فمن اجل ان يحبب مم الينا يجعله يقوم ببعض الاعمال الحسنة فهو يحب المعرفة ويحث الاطفال والشباب على التعلم وحينما يشعل «حسن» النار في داره ويرمي بابنه في لهيبها يقتحم «مم» النار لينقذ ابن حسن من الموت وفي السجن يتقبل نهايته وبموت بهدوء.

اما الامير «ازين» فنعرف عنه انه شخص قصير النظر غير واثق من نفسه ضعيف كأنه لعبة امره وقدرته في يد بكو النمام ولهذا يلوم احمدي في ديوانه الامراء الذين يتركون زمامهم في ايدي اناس فاسدين مخربين، وينصحهم خاني بالابتعاد عن هذا النوع من البشر، وادارة الامارة بصورة عادلة وحازمة، غير ان الاعداء لم يتركوا لنصائح شاعرنا مجال التاثير في الامراء

اما «زين» فانها لاتختلف في «ممى آلان» عنها في «مم وزين».

انها عاشقة خجولة في الروايتين ولكنها واثقة ومعتدة بنفسها بعيدة النظر طيبة القلب جميلة رزينة ومتدينة.

تطلب «زين» في ممي آلان من م عند عين القسطل خطفها تجنبا لاراقة الدماء ونقلها الى مدينة (مغرب) وفي ممي آلان ايضا ترفض زين بعد وفاة م ان يقتل (حسن) الامير ثأرا لسلطان الكرد. وهي تعفو حتى عن بكو في م وزين لاعتقادها انه سبب دخولها مع م الى الجنة في الدار الاخرة.

في ممي آلان تظهر ستي زوجة حسن سيدة راقية شجاعة تنفذ اوامر زوجها بصمت ولكن عندما يغيب حسن واخوته عن البيت تتخذ القرارات الخطيرة ، وبعد وفاة م تلوم الاخوة الثلاثة وتطالبهم بالثأر له ولكن عند خاني تقوم ستي بدور صغير فقط فهي تظهر في بداية الرواية ثم لاتسمع عنها شيئا بعد ذلك ويبدو بكو نفسه مختلفا في ممي آلان وم وزين فهو عند احمدي خاني ينفذ ارادة الله بكل ايمان لقد اختاره الله سببا في فناء الحبيبين في هذه الدنيا وسعادتهما في الآخرة وفي نهاية «م وزين» نرى بكو مستقرا في الجنة ويضحي بكو الشيطان بكو ساكن الجنان.

ان احمدي خاني يجسد فلسفته الصوفية في ديوانه هذا التصوف الذي يعتبر الشيطان ليس ملكا ساقطا بل واسطة ربانية لعبادته التوحيدية فبيد الشيطان يزل الانسان ويخطئ ويحيد عن الصراط المستقيم ويتألم ويذل لكي يدخل الجنة بعدئذ ويسعد هناك ويسمو. فبعد مقتل بكو تقول زين احمدي خاني.

ان جفا بيننا اولا
فقد وفى لنا آخرا
وان خالفنا ظاهرا
فقد ايدنا باطنا

اليانتون اديساليانتيون «Alienation — desalienation» اي ان تضيع نفسك، فتشقى وتحرم من كل شيء، حتى اذا انقشع الظلام وسطع النور مجددا بدأت رؤيتك واضحة وغدوت واعيا لنفسك حرا سعيدا مرفوع الرأس. انها فكرة فلسفية عميقة وسامية. وهذه الفكرة هي اساس فلسفة رجلين المانيين مشهورين هما هيغل وماركس.

اما هيغل فمثالي[٢١] يرى ان بداءة كل شئ ونهايته هي الفكر والروح، وقد كان

الفكر والمادة (الطبيعة) وحدة قوية متراصة. وكانت النظرة السائدة ان الصدارة والاولوية في هذه الوحدة للفكر ودامت هذه النظرة زمنا ، ولما كانت الامور كلها في يد الفكر فقد انفصل عن المادة فوضع نفسه في جانب والمادة في جانب آخر واستمر الامر على هذه الصورة ردحا من الزمن ؛ وحيث ان المادة كانت جوهرا للفكر يرى الفكر في بقائه وحيدا نوعا من قلة الاهتمام به فيمل ويضجر ولا يعود يتعرف على نفسه. ولكي يعود الى سيرته الاولى يبحث عن المادة ويتبعها وعندما يلتقي معها تتكون اطروحة جديدة وفي هذه الاطروحة الجديدة نرى المادة والفكر متحدين في سيرة ديالكتيكية (جدلية) وتكون هذه الوحدة عضوية وبمرور زمن على هذه الوحدة او الاطروحة لايرى الفكر نفسه منسجما فيضجر ويثور على المادة ويطرح «طباقا» «anti These-» له فيمنح شيئا من تكوينه للمادة ويكسب منها اشياء ايجابية ويخلق من تجربته وتجربة المادة تركيبا Syntese جديداً ثم ينفرط هذا التركيب فيما بعد فيطرح الفكر اطروحة جديدة اكثر غنى وسعة وتستمر هذه الاطروحة في تناقضها وطباقها دون ان يتمكن الفكر والمادة من خلق وحدة ثابتة متينة كالسابق ولكن الفكر يغنى ويسمو ويسعد اكثر فاكثر اثر كل اتحاد جديد

ان هذه الافكار قد اقتبسناها من كتاب هيغل الكبير «كروس لوجيك». اما في فلسفته التاريخية فان هيغل ينزل من سماء الفكر وينخرط بين الناس ويقول ان الأطروحة والطباق والتركيب كل اولئك يكون تاريخ الانسانية ويديمه

ان الفكر بوجوده عند رجال اهم قادرة يتحد مع المادة ويأخذ من جوهره ليدفع قدرتها وروحانيتها الى امام. ان هذه المسألة لاتعرف السكون بل هي مطلقة في مسيرتها.

هذه هي افكار هيغل من جهة ومن جهة اخرى فانه يوقف مسيرة تاريخ البشرية عند الدولة البروسية اذ يرى ان الانسانية قد بلغت الكمال بتكون الدولة البروسية وعرفت الحركة السكون.

اما ماركس فهو مادي اي انه يرى ان بداية كل شئ ونهايته بما في ذلك الشعور والفكر والروح مادة فلم يولد الشعور والفكر وحدهما مرة ولن يو لدا.

ان الشعور والفكر هما نتيجة للتطور الطبيعي للانسان فدون وجود لدماغ الانسان السليم ليس ثمة وجود للشعور والفكر.

اما الشعور فهو بصورة اخرى لاوجود له خارج المادة فعندما بلغ الانسان في نموه درجة تكون الشعور ابتعد عن نشاطاته الاخرى التي كان يقف فيها عاجزا امام الطبيعة مسكينا يرى فيها قوته جاهزة بل يثور على الطبيعة ويطورها حسب حاجته وكلما تقدم به الامر زاد من قدرته وطاقته ويقوم المرء حسب الطبيعة التي يعيش فيها بتغيير طبائعه فهناك صراع جدلي بين الانسان والطبيعة. وكما كان الفكر يتطور عند هيغل فان الاطروحة والطباق والتركيب يكون تاريخ الانسان ويزيده سموا وقدرة ان الانسان يحل عند ماركس محل الفكر المبهم ويحقق بنفسه انسانيته

وحسبما يرى ماركس فان الانسان ليس بكائن عامل لوحده في المجتمع فقد كان في بدايته مرتبطا بغيره من البشر ارتباطا قويا ولكنه ضيق وصغير اذ ان بداية عمله و كفاحه كانت مع الطبيعة ومن هنا كانت بداية الادوات والحاجة ولكن الانسان اخذ يتطبع تدريجيا مع الطبيعة ويحاول السيطرة عليها أكثر فأكثر والتحكم فيها وتطمين رغبته وحاجته باستمرار

ان زيادة قدرته هذه زادت من تعامله مع الطبيعة ومع غيره من البشر اكثر فاكثر سعة وقوة وتنوعا وهكذا ظهر تقسيم العمل في المجتمع. وقد ادى الانتشار التدريجي لتقسيم العمل الى تحول الملكية من جماعية الى فردية وظهور الثروة والبؤس والعبودية في المجتمع وخروج المبادلة من حدود العشيرة الى حدود الشعب كله وبظهور التجارة تظهر النقود وتاخذ تدريجيا موضعها كبديل لغيرها في المجتمع وتغدو الهدف الرئيس في النشاط الانساني فمن اجل الحصول على النقود والأموال لذاتها وليس من اجل المجتمع يمد الانسان يده الى شتى الادران وتجعل الملكية والنقود اعضاء المجتمع اعداء فيما بينهم لم وتسليهم المشاعر الانسانية الطبيعية وتحل تدريجيا محل جوهر الانسان .

اما الانسان الفاقد لانسانيته فيكون جل همه الحصول على النقود والملكية بهدف التعويض عما فقده من انسانيته ولكنه يزداد بذلك ضياعا ونزولا الى الحضيض.

ففي مجتمع مثل هذا تتسبب الملكية والنقود وتقسيم العمل والدولة في ضياع الانسان وفقدانه سماه الانسانية الحقيقية.

Ccauses del, alienatian del,hommes- وعلى هذه الصورة فان وصول الانسان على ايدي بشر اخرين ويوعي الى امتلاك قوى الطبيعة واستغلالها من قبل الجميع مع

زيادة السيطرة على الطبيعة والتحرر منها ياتي بعد التفكير والتامل ويبتعد بذلك عن الجوهر الاساسي للانسان.

يقول ماركس ان تقسيم العمل الجماعي للنقود و الملكية الخاصة او للدولة يغدو لحد الآن بصورة جدلية سببا لتقدم البشرية ويبدو انه كان على الانسان ان ينحدر كثيرا كي يتمكن من النهوض والسمو ثانية وحول هذا الموضوع يقول ماركس نفسه.

«كان على الكائن الانساني ان يقع في هذا الذل الكبير كي يفجركل ثرواته الذاتية.»

ان هذه الفكرة موجودة تماما عند احمدي خاني اذ يقول في ابيات له

لن يصبح سالك طريقة
او معصرة حقيقة
حتى يسقط من اوج العزة
ويبلغ موطن الذلة

وهكذا اضاع الناس انفسهم وسقطوا في الحضيض وافتقروا ماديا ومعنويا ثم عرفوا ذاتهم ونهضوا فسعدوا.

هيغل وماركس يتوصلان الى ما قاله استاذنا العظيم احمدي خاني قبلهما اذ ولد الكاتب الكردي قبل هيغل بمئة عام وقبل ماركس بمائة وخمسين عاما.[٢٢] ولاشك ان هناك اختلافا في نظرتهما فان خاني يترك سعادة الانسان الى الجنة. هيغل في حين يجعل هيغل الانسان روحا مبهمة وماركس يطالب بتحقيق عظمة الانسان في هذه الدنيا ويراه ممكنا ولكن طريقة الفكرة الجدلية واحدة عندهم وهذا مأثرة عظيمة لشاعرنا

لقد تحدثنا عن بكو في مم وزين اما في ممى آلان فهو يجسم الشر نفسه ولايتغير حتى في الآخرة فلا يسلم مم وزين من شره حتى بعد الموت.

اما بنكين فهو صديق حميم ومرتبط به قلبا وروحا وهو فارس شجاع ويرافق مم الى جزير في بعض الروايات ولايفارقه ابدا.

ويحل تاجدين في «مم وزين» محل بنكين وحسن سوية فهو يصادق «مم» ويشد ازره ويضحي في سبيله تضحية عظيمة. وهو انسان شجاع وكريم ومخلص لكنه يختلف عن حسن فعندما يسجن صديقه يكون تاجدين حاضرا لكنه لايتدخل ويقول

«أمر أميرنا مطاع» وحين يقرر انقاذه لايخرجه من السجن بالقوة بل يبعث برسول الى الامير ويرجو الصفح عن مم

يتحلى حسن واخوه باروع الصفات في (ممى آلان) فحسن شهم وصادق وسخي وشجاع وتتجسد فيه احسن صفات الشعب الكردي فكأن قصة «ممى آلان» سبكت اطراء الشخصيته وابرازا لاعماله وتسجيلا لحواره مع اخويه ان وجوده مع اخويه في «ممى آلان» يطور الرواية من قصة خيالية الى مسرحية درامية لتصبح اثرا اخلاقيا خالدا كآثار سوفوكليس اليوناني وشكسبير الانكليزي.

ان الانسان يشعر بعظمته عبر هذه الآثار الادبية فالشخص الذي يقرأ هذه الملحمة او يسمعها او يراها على المسرح او في السينما يصبح حسنا آخر اذ يتاثر ويتحول دون شعور منه الى شخص اطيب، وكما تقول زين كصوفية في مم وزين خاني فان الانسان يبتعد عن حيوانيته ويتطور الى مخلوق ارقى.

ان لوجود حسن في هذه القصة مغزى فلسفيا عميقا فالبون شاسع بينه وبين مم فالاخير اسير القدر والجان ويقع تحت سيطرة القوى الخفية. هو مقيد واسير ويرضى في نهاية الملحمة بشقائه ويحني راسه امام القوى المبهمة فلن يقع له امر الا بقوة السحر او عون الجان او (الخضر) او الشيوخ انه ذلك الانسان الذي لايشعر بقوته وعمله انسان عصر السحرو الظلام والجهل اما «حسن» فهو ينطق كانسان العصور المزدهرة. انه يشعر بقدرة الانسان وقوة عزيمته فهو كائن حر لايرضى بالرضوخ والعبودية يدعم اميره في حماية الوطن ويهاجم العدو دون تردد وعندما يشتط الامير يتمرد حسن عليه وينوي قتله انه يعشق القيم الانسانية الرفيعة فهو يحب الصدق والوفاء بالعهد والايثار والتضحية بمصلحته الذاتية في سبيل المجتمع.

ان عزيمة حسن في سبيل صيانة القيم الرفيعة لاتلين ابدا وللناس انطباع مماثل عن اخويه ايضا ففي مجال الضيافة يصفهم التاجر الكبير لمم قائلا.

فعندما يحل رجل عندهم ضيفا
فسيفدونه بارواحهم
سيشفون المرء من آلامه مهما كانت
وحسن حائر لايدري كيف يخدم ضيفه:
فعليك ان تهدأ ويطمئن قلبك

فانا اهز اسس مدينة الجزيرة
وساجد لعلتك دواء وعلاجا
وعندما يتآخى حسن مع مم يصف اخوته لمم قائلا
اخوتي ليست باخوة الرعاة
وقولي ليس بقول الاطفال
انا لااريد خدع احد بالكلام المعسول
اخوتي متينة وهي كحلقات القيود من الحديد
ان القيمة التي اضفاها الكرد على اقوالهم بلغت من الشهرة حتى ان العرب قالت«قول كردي» عندما عنوا ان الكلام قاطع لاتبديل فيه ولاعودة عنه.. لزكيف جسد حسن هذا السلوك الكردي القويم اذ يقول:

فالانسان يعيش بالخبز، وليس هو كالبهائم
ان المرء مأخوذ باقواله
وليس كالخيل بقيوده وعنانه
وعندما يتراجع جكو عن عهده يفقد حسن رشده ويقول غاضبا:
واسأت الى سمعة الرجال
واسأت الى سمعة الكرد
فلم يبق لنا وجه نرفعه امام الناس ابدا
فكم كنت افضل الموت على ان ارى مثل فعلتك هذه
كنت اتمنى موتنا نحن الثلاثة معا
ولننظر الى رجولة الاخ الاكبر وتضحيته وكيف يتحمل بنفسه العبء الاكبر ويقول لأخويه:
فسموا خمسة وعشرين حيا اي ما في المدينة بيننا نحن الاخوة الثلاثة.
لتكن الاحياء التي تملك اسلحة قوية وفيها رجال ابطال من نصيبي
وان كنتم تحسبون لحكومة الجزيرة حسابا
فضعوها كما كان الامر على عاتق اخيكم
ان جكو كاخيه رجل كريم وشجاع ومرتبط بالقيم الخلقية الطيبة وتصرفاته طبيعية

فعندما يكتشف ان حبيبة مم ليست الا خطيبته «زين» ينفجر غيظا ويتمرد على اخيه الكبير ولاتهدأ ثائرته الا بعد نصح شديد وعندما تزول عنه سورة الغضب لايحيد عن درب الصواب ابدا.

اما قرة تاجين[٢٣] الاخ الاصغر فانه متعلق كليا بـ «حسن» ولايفكر في مخالفته. فباشارة واحدة يستل سيفه ويستعد لمقابلة «جكو»، وهل يلومه احد عندما يكون ذلك من اجل شقيق مثل حسن؟ وبالرغم من خشونة حسن فانه يمثل العظمة بذاتها.

د مسائل اجتماعية

تعلمنا ملحمة ممي آلان أمورا عديدة من الوجهة الاجتماعية ، ولكنها تتركنا حائرين امام بعض الاشياء فهي تعرفنا بمدينة «جزير» القديمة ، فتراها مدينة تجارية كبيرة تتألف من خمسة وعشرين حياً ، وتحتوي على قصور ومنازل وفيها تجار أثرياء وكان الامير ، او شيخ التجار ، يرسل البضائع الى مختلف انحاء العالم ، وكان تجار جزير يتمتعون بصفات طيبة ، فأغناهم يخاطب مم

« حل ضيفاً على عمك هذه الليلة
أفتح لك باب الدكاكين والمخازن ،
ان لم تفدك ، فسأفتح الخزائن والكنوز
فخذ ما تشاء من النقود
عليك ان تدل عمك بأصبعك حيث تشاء
آنذاك سأغرق ذلك المكان بالمال والذهب
سأزيل عنك هموم القلب
وحتى الآن ، هذا ما نعمله بمالنا
فنحن نجمعه ونبذله من اجل الاخيار»

وكمعظم تجار العالم ، فان قوة العم تكمن في ماله ونقوده فعندما يدرك ان مشكلة مم قد تجره الى القتال ، ينسحب من الميدان انه يعمل اذا كان للمال والنقود سلطان

هنالك اشارات متكررة في ممي آلان الى «الأبيوز» فلهم حارة خاصة في جزير وتعج السوق بهم ، ويظهر ان مدن كردستان كانت تزدحم بالأبيوز في عصر من

العصور وكان يطلق عليهم ايضا «ابسور» او «الحفاة» وكان حفاة ديار بكر مشهورين بشجاعتهم ، حيث وضعوا لهم قولكلورا خاصا ومن اغانيهم اشتهرت «بيالى» ولكننا نرى ابيوز جزير من الشحاذين والمحتالين والجبناء ويجوز ان هذا الوصف جاء بسبب عداء الراوي لمدينة جزير.

ان وجود طبقة اجتماعية مثل «الأبيوز» في المدن مرحلة تأريخية مرّ بها كثير من المدن الاوروبية فقد امتلأت مدن فرنسا وانكلترا بهؤلاء المرتزقة بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر لماذا ؟ بتقدم التجارة والصناعة وانتشار المدن وتأسيس الحكومات المركزية وانحلال السلطات الاقطاعية وعجزها عن مواصلة القتال بينها ، بدأ الاقطاعيون يسرحون جيوشهم ، فتوجهت الى المدن بحثا عن العمل ، والتحق بعض الجنود بمعسكرات بلدانهم وهناك من يخدمون ملوكا آخرين ، ومن يهجرون بلدانهم ويكونون لهم مستعمرة في الغربة (الاسبانيون والانكليز والفرنسيون وغيرهم) ، وبقي قسم منهم مشردين يعانون من البطالة حتى انفجار الثورة الصناعية ويظهر من «مم آلان» ان كردستان مرّت بهذه المرحلة ايضا ، لأن اعداءنا لم يسمحوا بالتقدم وبتطوير الصناعة وبلوغ المعامل والمصانع مبلغ ما وصلته اوروبا وامريكا او تتجاوزها ولم لا ؟ فان كفاءة شعبنا وقدرات بلادنا لاتقل عما يملكون

يجدر بنا ملاحظة بعض الجوانب السياسية لمدينة «جزير» ان عاصمة امارة «بوتان» ، كانت مدينة آهلة بالسكان ومركزا تجاريا هاما وكان لها امير وحكومة وقانون ، الاّ ان حكم الامير لم يكن قويا وكانت بينه وبين الجلاليين الثلاثة صراع شديد ، ولم تكن الحكومة قد خرجت من الطوق العشائري ، فلم يكن اعداؤنا الخارجيون يسمحون بالخروج من ذلك الطوق لتوحيد الامارات الكردية لتشكيل حكومة مركزية قوية

ويتجلى هنا شيء من التناقض ، اذ يود «مم» ، سلطان الكرد ، توحيد الامارات الكردية ، الا ان «حسن» واخويه يظهرون كأعداء للحكم المركزي ولكن شيئا من التدقيق يكشف ان هذا التناقض ليس عميقا ، بل هو سطحي فلم يكن «حسن» عدوا للامير في الحقيقة ، وانما كان يعارض ضعفه وعدم كفاءته في حل مشاكل الشعب . فعندما يتعرض الوطن الى الخطر ، يتقدم حسن للمعركة ويهاجم الاعداء .

وحينما يصل الخبر باستعداد الفرس لمهاجمة «بوتان» يترك حسن مشكلة «مم» بدون تردد ويقول

أخي اذا جاءت الفروض فعليك بترك النوافل
اذن ، ها انت ، والدار ، لقد قلت لك مرة واحدة اننا اخوة

ويظهر تناقض آخر في ممي آلان حول المشيخة لقد ولد مم بمعجزة ، ويحتل منزلة اجتماعية سامية ويصبح من اصحاب الكرامات ، ولكن هذه المنزلة قد أتته من جانب اخواله وليس من جانب ابيه ، اي أتته من جانب شيخ القرشيين . فنحن نرى خاله عمر بك ومم نفسه يأتيان بكرامات كبيرة ولكن عندما يغرم بزين ويتردى حاله ويحضر عليه المشايخ لمعالجته يطردهم مم ويخاطبهم بخشونة ، مستخدما الفاظا سيئة بحقهم ، ويقول لخاله

ان الجرح في قلبي ، وانتم تأتونني بالشيوخ والملالي
أنا اطبق جفني كي ارى خيال زين الزينات
وأنتم تأتونني بحشود المجانين

لماذا ينتقد المشايخ ويحط من اقدارهم بشدة ، في حين نراهم في مجالات اخرى من الملحمة يأتون بالاعمال الجليلة وينالون احتراما كبيرا ؟ أليس لتدخل هؤلاء المشايخ ورجال الدين في امور لا تعنيهم ، ولكونهم يريدون معالجة كل شيء بأسلوب واحد ؟ ان الشعب يقدرهم ويحبهم عندما يأتون بأعمال جليلة ، وعندما يريدون معالجة امراض خطيرة بالتعاويذ والتمائم وبتلاوة أسماء الجان ، ويريدون خدع الناس بذلك ، فان الشعب يضجر منهم ويسخر منهم ، وليس ذلك بخاف على رواة حكاياتنا

لقد اطلنا المقدمة ، اذ ان المرء مهما تعمق في تحليل ملحمة ممي آلان ، فان مسائل جديرة تظهر امام القارئ ، كما نرى فيها عادات كردية اختفت الآن في اماكن عديدة ، او هي في طريقها الى الضمور تقول الملحمة ان ستي ، عندما سمعت بموت مم اقامت له تمثال الحداد ورفعته على ظهر جواده الأشهب العداء لعرضه حول المنزل الى الصباح. أليس من المؤسف ان نفتقد مثل هذه العادات الرائعة بيننا ؟

ويسترعي انتباهنا شيء آخر. فقد كان الشعب الكردي يقدر المرأة اكثر في الماضي ان علماء الاجتماع ينبئونني ان المرأة كانت في الازمان الغابرة تحتل الصدارة في المجتمع ويطلق على تلك الحالة «سيادة الام Matriarcat» وفي ذلك الوقت كان الاطفال ينتمون الى الام وليس للاب ولم يكن الاب يملك ايّ حق عليهم وكانت السيادة في البيت والقبيلة ، وفي الدولة نفسها للمرأة ان المجال لا يسمح لنا ان نفصل في الامر ، ولكن يمكننا ان نقول باختصار ان المجتمع تطور فانتقلت السيادة الى الرجل في عصر «حكم الاب Patriarcat وخلال هذا التبدل اصبحت المرأة شيئا فشيئا تابعة للرجل وتحت سيطرته ، وتدهورت حالتها عند اليونان والعرب واليهود والهنود والصينيين مثلا ، الى حد انهم فصلوها عن المجتمع وعزلوها في ركن من الـــدار

وعندما دخل الكرد في الاسلام ، تقبلوا كثيرا من العادات العربية وتركوا تقاليدهم القديمة . واحدى هذه العادات هي استخدام الحجاب وابعاد المرأة عن العمل الاجتماعي ، ولكن هذه العادة لم تستقر في الريف وبين العشائر ففي ممى آلان نرى فتيات جزير ونساءها يستعملن العباءة والحجاب ولكنهن عند رؤية مم قرب عين القسطل ، يرمين بالحجاب على الارض ويكشفن وجوههن ، الجدائل مرسلة على وجنات الفتيات ، كما تقول الملحمة ، وصارت الحالة كردية اصيلة

لقد صانت القرى والعشائر الكردية بعض العادات الجيّدة ، بضمنها احترام المرأة وعدم التّميز ضدها هناك مثل كردي يقول «الاسد اسد ، لا فرق بين ذكر وانثى» وينعكس هذا التقدير للمرأة في ممى آلان ايضا فعندما تقطع الاختان الجنيتان تاڤانو وهيڤانو عهدا لاختهما الصغيرة ستيربانو ان تزياها مم وزين تقولان

الليلة وعند العشاء ، نقولها قول نساء
سنأتي لك بزين الى مضيف ممى آلان عاصمة المغرب

تقسم الجنيتان بقول المرأة وتبران به أليس من الواجب ان تحيي نساؤنا ورجالنا عاداتنا القديمة الحسنة ويظهروا للعالم ان الكرد لا يختلفون عن غيرهم من الشعوب

هناك مسألة اخرى ، علينا ان نتحدث حولها ببضع كلمات ، هي مسألة تأثير الفرد والمجتمع في مسيرة التاريخ ، فالقصة تحدث في عصر الابطال والمعجزات

والنخبة القائدة وغياب الحديث عن القوى الاجتماعية الفعالة ، فليس في الملحمة ذكر للقرية والفلاح والعامل ، انما يجري الحديث عن الفقراء والأبيوز في «جزيرة» بصورة شائنة. فعندما يتوجه هؤلاء الابيوز الى عين قسطل لقتل م وزين يتصدى لهم رجلان فقط ، هما جكو وقره تاجين ويجبرانهم على التراجع ويظهر جيدا ان المجتمع لم يكن آنذاك يعي نفسه ، وكان دون هدف ودون طاقة وفي بعض المواضع يريد راوي الحكاية اظهار جوهر الفقراء على لسان احد الأبيوز قائلا

في يوم الضيق ،
يظهر الشرف عند الفقراء ، اكثر منه عند النبلاء والوجهاء

غير ان م يعرف انه لا يقوى على شيء ، فيسرع في الالتجاء الى ابطال مثل حسن ، قره تاجين وجكو .

كان ذلك ما يقتضيه ذلك الزمن ولكن عصرنا قد جلب مع القوى الجديدة افكارا واغاني جديدة ايضا وان كانت القوى الاجتماعية لا تفرز رجالا مثل حسن الى الميدان ، فانها تغدو مثل الخضر والجان في قدرتها

لقد اردنا بمقدمتنا الطويلة هذه اظهار الغنى في ملحمة كردية وهناك امور كثيرة اخرى في ممي آلان تستحق الدراسة وقد قنا في هذا المجال بوضع بداية متواضعة فقط ونأمل من مثقفينا توسيع طريق التعريف بتأريخ الشعب الكردي وروحيته وابراز ثروته الفولكلورية المكنونة ، واغناء وتطوير الثقافة العالمية بها

«القاص»

(١) القصد هو تدوين القصة كتابة واصدارها في كتاب. حروف متداولة بين الكرد، في طبعة واسعة الانتشار (المترجم)
(٢) ـ (٣) يعتبر علماء باللغة المختصون باللغة الكردية البوتانية فرعا من الكرمانجية الشمالية او الكردية الشمالية والمكربة فرعا من الكرمانجية الجنوبية او الكردية الجنوبية والجاري للنص الفولكلوري عند الشعوب كافة ان تروى باللغة المحكية وبلهجة من اللهجات او فرع من فروعها (المترجم)

(٤) كان لي شرف اختيار «م وزين» لخاني وتدريسها في الفترة الواقعة بين الاعوام ١٩٦٦ – ١٩٨١ بجامعة بغداد (المترجم)
(٥) يعلق المهندس صلاح سعد الله في ترجمته لهذه المقدمة قائلا:
اذا كانت قصة «م وزين» مقتبسة من فولكلور «مي آلان» فان المغنين والرواة متأثرون بالقصة ومعظمهم بدأ يرويها بعد تاليفها فطغت هي وشخصياتها على الفولكلور وابطاله. والواقع ان قصة «م وزين» وفولكلور «مي آلان» اصبحتا تعنيان شيئا واحدا في اذهان اكثر الرواة وغالبية الناس (مي آلان ص ٨)

(٦) يشير خاني في نهاية ديوانه وضمن مصادر قصته الى الاساطير اليونانية ولكنه لايشير الى قصة مي آلان (ملحوظة من المترجم – لفهم العلاقة بين نص مي الان وملحمة خاني والنقاش الدائر حول الموضوع انظر الى مبحث قصة م وزين أقتبسها خاني ام الفها اصيلا من كتابنا احمدي خاني شاعرا ومفكرا فيلسوفا ومنصوفا بغداد ١٩٧٩ ص ٤٥ – ٥٤)
(٧) دجلة
(٨) كانت افروديت الهة الجمال والعشق في الاساطير اليونانية وكان ادونيس اله الجمال والوسامة في الاساطير الفينيقية وقد احبته افروديت وعشقته وكان ادونيس قد خرج الى جبل بيبلوس (جبيل حاليا) بلبنان للصيد حيث تقابلا على ضفة نهر كان يسمى فيما مضى نهر (ادونيس) ويسمى (نهر الكلب) حاليا وبعد مرور مدة بقتل خنزير بري ادونيس ، وبعد موته وفي ايام الفينيقيين كانت تقام احتفالات عيد ادونيس في بيبلوس على شاطىء البحر الابيض وكان اناس كثيرون يحضرون الاحتفال ونجد اليوم في المتاحف الكبرى تماثيل مقلدة لادونيس وافروديت.
(٩) يحتل سائق مركبة بطل القصة في القصص اليونانية محل الشقيق او شقيق الآخرة في قصصنا
(١٠) شاء المستشرق روجيه ليسكو في ترجمته الفرنسية ان يبقي اسم حصان م كما ورد في النص الكردي «بوزي روان» وانتهج المهندس صلاح الدين سعد الله نهجه في الترجمة العربية معتبرين اسم الحصان كاسم لم لايجوز تغييره. ورغم الوجاهة في هذا النهج فقد ترجمنا اسم الحصان الى اللغة العربية «الاشهب العداء» ابتغاء السلامة في الترجمة هذا ويمكن ترجمته بالاشهب الذلول ايضا (المترجم)
(١١) القصد هو سكان هضبة ايران وهي تعبير اكثر انتشارا من تسمية دولة الفرس بايران في العصور المتاخرة بل هو اصطلاح جغرافي (المترجم)

(١١) لاارى مثل هذا الراي اذ لم يرد عن اب م في م وزين خاني سوى انه كان «دبيره الامير اي كاتبه او سكرتيره (المترجم)
(١٣) القصد هو منطقة السليمانية باسمائها التاريخية المتعددة فاسم السليمانية يعود الى العام ١٧٨٤ فقط (المترجم)

(١٤) يعلق المهندس صلاح سعد الله في ترجمته هنا قائلا قبل لي ان قبيلة من الكوجر (الاكراد الرحل) من زاخو تسمى «آلان».

(١٥) يقصد دراسة اسماء الاماكن والمواضع وهي من الدراسات النادرة او غير المتوسع فيه بالنسبة لاهم تغيره في حين ان لدينا دراسات علمية جيدة عن سكان كردستان وموطنهم وبررت دراسات عن اسماء الاعلام والمواقع ايضا (المترجم)

(١٦) ان التاريخ الصحيح هو ان الحاكم [illegible] ٤١ طفلا ماتوا كلهم صغارا عدا عبد الرحمن الذي [illegible] الطوق ولكنه [illegible] بوتان ليسوا (حاكمين) بل حاكمين والاصح [illegible]

(١٧) لاادري لماذا يحاول الاستاذ الدكتور نور الدين زازا التعامل مع نص فولكلوري كنص تاريخي قابل للتحقيق اتدقيق فالنص هنا من حيث شخصياته تنطبق عليه قوانين الفولكلور وتحويلاته وانتقالاته من شخص الى آخر ومن جيل الى جيل بل من شعب الى شعب وتؤثر فيه عوامل التداخل ايضا بل اندماج قصص عديدة في قصة واحدة (المترجم)

(١٨) يعلق المهندس صلاح سعد الله هنا ، قائلا

«هنا تبرز عبقرية خاني عندما يشخص حالة الفرقة والخلاف في صفوف شعبه الكردي ، فيردد متألما

يقاسون من عدم الاتفاق ومن التمرد دوما والشقاق

ويؤكد ان الوحدة هي طريق السيادة الوطنية وضمان التحرر من السيطرة الاجنبية ، ويدعو الى ضرورة «اتفاق كلمتنا وتوحيد قيادتنا» .

فتكمل الدين والدولة وتحصل العلم والحكمة

ان هذه الكلمات تضيئ اهمية تاريخية على م وزين لانها تمثل نقطة انطلاق المسيرة الوطنية الكردية وتعتبر الجنين الفكري في ميلاد الحركة القومية للشعب الكردي وترفع هذه القصة الى مصاف الروائع الكلاسيكية وتجعلها اعظم الآثار الادبية الكردية قاطبة (تمى آلان ص ١٥)

(١٩) نرجم المهندس صلاح سعد الله هذه الفقرة بـ (ورغم تدوين الرواية باللهجة الدارجة) وعلق قائلا (علما بان الفرق بين العامية والفصحى طفيف في اللغة الكردية)

(٢٠) تقابل قوتين معاكستين: حسن وجكوه الامير وهم ، م وزين وبكو القدر وارادة الانسان

(٢١) ولكن هيغل لاينكر وجود المادة. اذ ان هنالك فلاسفة مثاليين لايعترفون بوجود شي غير الفكر.

(٢٢)هنالك حاجة الى دقة اكثر فقد ولد خاني في ١٦٥٠ (المترجم).

(٢٣) يعلق المهندس صلاح سعد الله ان (الاصح هو «تاجين» او «تاجدين» وقد حور الاسم الى «قرة تاجين» بسبب تأثر المغني بالتركية وللضرورة الشعرية واضيف الى ما قاله الاستاذ صلاح سعد الله ان نقاشا يدور حول اصل كلمة تازدين وكونها كلمة او اسما كرديا قديما واصيلا

(٢٤) آثرنا ترجمة مصطلح الايبوز في النص بالاغاني

همى الان

مدينة المغرب ، مدينة ضخمة وجد عظيمة
على جبال سبعة
على ست وستين وثلاث مئة بوابة
وكل بوابة يؤدي الى ست وستين وثلاث مئة ولايه
وكل ولاية تطل على ست وستين وثلاث مئة مديرية
كلها في يد علي بك ، عمر بك ، الماز بك ، الاخوة الثلاثة
من ذوي حظائر الخيول الجرد ، وقطارات الابل ، وحظائر الانعام
وذوي مفاتيح صناديق ذهب ،
هي حمل خمس واربعين دابة ،
وخزائن ودفائن عظيمة
واسواق ودكاكين

* * *

في يوم من ايام الله ، حلّ فيهم عيد الأضاحي
ابناء الشقيقات يزورون بيوت الاخوال
ابناء الاشقاء يزورون دور الاعمام
بينما اتجه علي بك وعمر بك والماز بك صوب المصايف

كانوا ينظرون عفو الخاطر الى بعضهم وينوحون
ثم يقولون يا معشر الاخوة ، نحن اخوة ثلاثة
نحن في الستين من اعمارنا ، او نزيد خمسا
ووهبنا ربّ العالمين اموالا عظيمة
نحن مقطوعو النسل ، مقطوعو العزّ
سوف نرحل عن دنيانا ذات يوم من ايام الله
الى دنيا الرحمة الى ارض القبور
لقد قدر لنا رب العالمين الموت ، نحن العباد المذنبين
اموالنا طائلة ، وسيرثها الوارثون

* * *

في فجر عيد الاضاحي ، حمل علي بك وعمر بك والماز بك الصناجات ، وارتدوا زيّ الدراويش
خرجوا من مدينة المغرب ، ويمموا صوب الصحارى والفيافي
جلسوا ، بعضهم مع بعض يبكون عفو الخاطر
وعندما ينهضون ، تسيل الدموع من عيونهم مدرارا
حيث يرأف بهم حتى الكفرة ، ويسلمون[1]
قال علي بك وعمر بك والماز بك
يا اخي ان هذا بلاء عظيم اصبنا به ،
وقى الله منها كل انسان مسلم
لقد هجرنا دورنا الرائعة ومضائفنا العظيمة
ونهنا في الصحاري والبراري
جلس الاخوة الثلاثة ، فرثوا لانفسهم وبدأوا يبكون عفو الخاطر
فأظهر لهم رب العالمين السيد الخضر
فنظر مرة فرأى علي بك وعمر بك والماز بك
قد جلسوا بعضهم مع بعض يبكون
فرق لهم قلبه ، واخرج تفاحة من كمه واعطاها علي بك كبير الاخوة

وقال يا معشر الاخوة لا تبكوا ان رب العالمين هو دليل الحائرين ،
واليوم هو عيد الاضاحي ، ولكنكم قد هجرتم مضائفكم.
وكان على رجال مثلكم ، ان يفتحوا ابواب الخزائن والدفائن العظيمة ،
كان عليكم ان تنثروا المال يا معشر الاخوة في الازقة والدرابين .
من اجل الفقراء والمساكين
وكان عليكم ان تطعموا نفسا جائعة ، وتكسوا جسدا عاريا ،
ولكنكم تهتم في الصحاري والبراري
وانتم ترتدون زي الدراويش
هيا انهضوا ، ويمموا وجوهكم شطر مدينة المغرب وشطر بيوتكم العظيمة
اذهبوا الى مدينة المغرب وافتحوا ابواب الخزائن والدفائن
وانثروا الأموال في الأزقة والدروب
وانحروا الذبائح والاضاحي
من اجل الفقراء والمساكين
ثم اذهبوا الى حي القرشيين
واخطبوا ابنة أمير القرشيين لعلي بلك ، على سنة الصحابة
وادفعوا صداقها اثنى عشر قرشا ونصف قرش
وما ان يمضي من الوقت تسعة اشهر وتسع ساعات وتسع دقائق
حتى يكسو رب العالمين بمشيئته مرابع الضائعين بالخضرة
نصيحتي لكم ، ان لا تختاروا له اسما حتى اعود اليكم ثانية

* * *

نهض الاخوة الثلاثة ، فأخذوا يمشون
وتوجهوا نحو مضائفهم العظيمة
وفتحوا ابواب الخزائن والدفائن
ونثروا المال في الأزقة وأعماق الدروب
من اجل الفقراء والمساكين
ونحروا الذبائح والاضاحي

من اجل المعوزين والمعدمين
ثم ساروا نحو حيّ القرشيين
وخطبوا ابنة امير القرشيين لعلي بك ، على سنة الصحابة
ودفعوا صداقها اثنى عشر قرشا ونصف قرش
وانقضت تسعة اشهر وتسعة ايام وتسع ساعات وتسع دقائق
فوهبهم رب العالمين ابنا ذكرا في وجهه بارقات ثلاث من نور
فغدت مدينة المغرب مثل يوم الحشر ، ونهض الناس على اقدامهم
وصعد المؤذنون على المنائر
وفي حرم المساجد علا صوت الشكر والثناء
وكبّر المؤذنون واسترسلوا بالتهجد
كان اصوات المؤذنين كاصوات الشحارير والبلابل
وذات يوم من ايام الله ، انعقد مجلس علي بك
وقالوا سوف نختار اسما لابنك فقال «يا اخي ليس الامر في يدي ،
فان جده هو الذي سيختار له اسما ،
ولن اقدر على تسميته ما لم اره»
ودار المجلس فقال بعضهم «سنسميه عارفا»
وقال آخرون «لا والله ولنسمه عمر» ، وقال غيرهم
«لا لا ليكن فلامرز اسما له»
وارتأى بعضهم ان يسمى يوسف ... وشاء غيرهم ابراهيم له اسما
وما ان نظروا حولهم حتى رأوا شيخا يأتي ثم يقول
«السلام عليكم ايها المعشر الكبير» فقالوا
«عليكم السلام ايها الشيخ الحبيب»
فقال «ماذا تبغون من الوليد ؟
سموه ممى آلان
سبط شيخ القرشيين ابنة اخ عمر بك والماز بك سلطان الكرد»
ونظروا فجأة فاذا بالشيخ قد غاب واستقر اسمه على ممى آلان
فماذا عمل ابو مم؟
بحث بمدينة المغرب وأتى بألف وخمسمائة شاب قدير جدير ،

وعين لكل واحد منهم مرتبا وقال
«قوموا انتم بالحراسة متناوبين حول قصر م
من الصباح الى المساء ومن المساء الى الصباح»
وكان هناك عالم مجاز بالعلوم في مدينة المغرب ،
أتى به علي بك وقال له «عليك انت ان تلقن م العلوم»

* * *

ذات يوم اخذ الشيب يتحدثون عن وحوش البحر العجيبة ،
بعضهم يحكي عن الحوت
ومنهم من يروي قصصا عن الثعابين
ومنهم من قال «في البحر ، ما يقابل كل حيوان في البر من حيوان»
وقال قائل «هناك في اعماق البحر حيوان في شكل حصان»
وقال شيخ «لو اسعف الله المرء بحظ سعيد
لظفر ذات يوم بذلك الوحش النظير للحصان
فيركبه المرء ويطوي مسيرة ايام في ساعات
فلا هو يشرب الماء ولا هو يقتات على علف الدواب
يسير دائبا ويمضي سنة اشهر»
وقال بعضهم «لا انه يسير سنة او تزيد سنة اخرى»
وكان الصغار يسمعون الشيوخ
فيتضاحكون في سرهم وبايادیهم يشيرون
ثم يقولون «هيا انهضوا وانظروا الى هذيان الشيوخ
ترى ما يصنع الحصان في قعر البحر؟
ترى ما سر ان لا يأكل ولا يشرب ويسير سنة او سنتين
انها لأكذوبة كبرى ، لن يصدقها المرء قط»
وعلى هذا انفرط مجلس الشيب ،
لا ، لكي لا اوجع رؤوسكم ولا اطيل كلاما
لقد بلغ عمر م الخامسة عشرة
ونصبوه ملكا على مدينة المغرب

وذات يوم كان مم جالسا على عرشه ذي القوائم الاربع
مثل شمس اشرقت لتوها من اعالي الجبل
وبأمر من ابيه الشيخ وعميه الجليلين
جلس حول غرفته الف ونصف الف من شباب الكرد
وكلهم من اولاد الامراء والنبلاء
وكان بين هؤلاء الشباب واحد وهو ابن خالة مم ، ابن شقيقة عمر بك ،
وقد جعله مم رئيس الشباب
كان اسمه بنكين[1] ، وكان كذئب في سمات البشر
وجعل مم منه شقيق الآخرة ، ورفيقا من القلب والروح
في ذلك اليوم رأى بنكين في مدينة المغرب ضجيجا متعاظما
كل يهرع نحو البحر ، وتتعالى اصوات الصياح والضجيج
ارسل بنكين واحداً الى البحر ، قائلا «اذهب ايها الفتى
وانظر ماذا دهى هؤلاء الناس ؟»
وعاد الشاب الى بنكين بعد هنيهات وأخذ يتشاور معه
ويطل بنكين على مم ويقول
«اخي ، يقولون ان بلاء وقع على رأس الصيادين»
قال مم «اي بلاء هذا ؟» قال بنكين «اليوم رمى الصيادون شباكهم ،
في البحر في مواضع عدة
ووقع في الشبكة كائن ضخم
تجمهر أهل المدينة على الحبال
فلا هو يخرج ولا هو يتزحزح ، رغم سحبه من قبل الشباب والرجال
وانبرى مم قائما ، وانتعل خفيه ،
نزل الى باحة البيت ثم سار نحو شاطئ البحر ،
ورأى جموعا من الشباب ،
ورأى رجالا يسحبون مع الصيادين خيوط الشباك
يساند بعضهم بعضا، ادميت حتى اياديهم من العمل المضني
حتى اذا رأى الصيادون مم آلان ،
قالوا «يا ملكنا ، ماذا نعمل ، ان هؤلاء الرجال تعبوا جميعا

وما في الشبكة لا يخرج
الخيوط لا تتقطع ، واملنا ان يخرج من الشباك
الا تعيننا ، عسى ان نخرجه بفضل انفاسك من الشباك
فأرسل م مع بنكين خبرا الى خاله عمر بك ،
فجاء بصحبة الشيوخ
وجاء بنكين يصحبه الف ونصف الف من الشباب الكرد
وانهالوا على الخيوط
سحبوا الخيوط ، وعلا ضجيج الامواج وصرير خيوط الاشرطة
فظهرت خيوط الشباك
فرأوا في الشبكة ، وحشا ضخما ، على صورة حصان
اذا به كما وصفه الشيوخ
آنذاك قال م : «اقوال الشيوخ جواهر ، مبعثرة بين الاقدام»
عندما كان الشيوخ يقولون لنا : «هناك في البحر وحش مثل حصان»
كنا نقول «انها اكذوبة» ولم نكن نصدق اقوال هؤلاء الشيوخ

* * *

على شاطئ البحر كانوا قد عمّروا اثنتي عشرة غرفة من حجر المرمر القاشاني
فأمر م بنكين سيد الشباب
قال : «اجلبوا هذا الحيوان وضعوه في الآخر من هذه الغرف
وسدّوا جميع المنافذ والابواب»
فبقي ما يقارب ستة اشهر
ثم نشر م خبرا في ارجاء مدينة المغرب
وقال «من روّض لي هذا الحيوان ملأت عينيه بالمال»
وكانت المدينة مليئة بالفقراء والمساكين
العاجزين عن اعالة النساء والاطفال
كانوا يريدون الموت او تدبير قوت صغارهم
فجاء كثير منهم ووقفوا امام مضيف م ،

فأعطاهم مم مفاتيح الابواب الاثني عشر
كي يفتحوا بها تلك الغرف ،
ويذهبوا الى مهر البحر[1] ، الى الاشهب العداء[2]
وجاء الناس ينظرون اليهم
وقدم من بينهم اسير ، فتح ابواب ست غرف
وعندما تعالى صرير باب الغرفة السابعة
التقطه مهر البحر بفمه والقاه على الجدران ،
فقتل ذلك الاسير ، فلم يعد الى داره واهله
ولحق به رجال عديدون ، مجربين انفسهم ، فماتوا ولم يعودوا الى بيوتهم ،
فما كان من مم الاّ ان ذهب الى دار عمر بك ،
وقال : «اقدم يا خالي ، وابحث لهذا الوحش عن علاج ودواء»
فجاء عمر بك الى هذا المكان وفتح ابواب الغرف السبع ،
فنهض ، ودخل ومدّ يده الى عرفه
فلان بين يدي عمر بك كالخرفان
ونادى عمر بك مم وقال «يا ابن اختي تعال ، وامتطه باذن الله»
فذهب مم وامتطى الاشهب العداء
وصال به في الميدان صولة او صولتين
فطاوعه الحيوان مثل حصان
فأمر مم خمسة وعشرين سراجا
جاءوا جميعا ، وامتثلوا امامه وقوفا
قال مم «اريد منكم ان تصنعوا مجتمعين طقما للاشهب العداء»
فان وجدت فيه نقصا او تقصيرا
علّقتكم جميعا على اعواد المشانق !
قال السراجون «مليكنا ، سمعا وطاعة»
ومن اجل ان يصنعوا للاشهب طقما ،
اخرجوا كل ما في الخزائن من جواهر وذهب وفضة
وعملوا ستة اشهر
وبعد مضي هذه الاشهر الستة ، قال بنكين لمم

«تعال انهض ! فلقد اعدّ طقم الاشهب العداء»
وتناول مم الطقم ووضعه على ظهر الاشهب ،
وكان السراجون الخمسة والعشرون مكتوفي الايدي ،
واصفرت وجوههم وجلا ،
يرتجفون كما المرء امام الزمهرير القاسي
اعجب مم بالطقم ووهب السراجين هبات عديدة
وكان الطقم قد رصع ترصيعا بأحجار من جوهر
وسير ركابه موشى بالذهب والفضة ويلمع كالشمس
وفي الركاب وضعوا حجر الماس الابيض كحبات المسبحة
واللجام قد صنع من فولاذ ومن حديد براق
يوضع في الفم بين الاسنان

* * *

كان لملك الجان[1] ثلاث بنات ،
اسم الاخت الكبرى «تاف بانو»[2] والوسطى «هيف بانو»[3]
والصغرى «ستير بانو»[4]
ذات يوم خرجن الى نبع الورود
ولبسن ريش الحمام
وسبحن في حوض الورود
رأت «ستير بانو» ان البياض الذي وهبه الله الشقيقتين لم يهبه احدا
فارتدت جلدها ، ونهضت من بين الشقيقتين
وطارت فوقهما محلقة
فصاحت الشقيقتان مستغيثتين
«لم ارتديت جلدينا نحن الشقيقتين؟»
فقالت «انا لم ار جمالا مثل جمالكما
اني اريد ان انظر جليا الى جمالكما ايتها الشقيقتان» .
قالتا : «يا ويحنا نحن الثلاثة

هناك اثنان ، احدهما فتاة والثاني شاب ،
لن يبلغ جمالها احد ، احدهما ابن ملك المغرب
انه امير الكرد وملكهم
والثانية ، ابوها سيد جزيرة بوتان ،
ابنة الامير زنكين ، زين الزينات»[٥]
قالت ستير بانو «قسما بكتاب ابينا ،
ما لم تدلاني انتما الى م آلان وزين الزينات ،
وما لم ار جمالها ، جمال الفتى الحسن والفتاة الرائعة ، فلن اخلع جلديكما»
فأقسمت الشقيقتان صادقتين ، صافيتي القلب
قالتا «ضعيه ، لنرتدي جلدينا
فنذهب نحن ليلا الى مدينة جزيرة بوتان
ونصنع لزين تابوت ملك الجان
وليحمله عدد من هؤلاء
وليخرجوه من البرج الابلق[٦] قصر الامير
وليرتدوا الريش والاجنحة الليلة ،
وعند العشاء ، نقولها قول نساء ،
سنأتي لك بزين الى مضيف ممى آلان
عاصمة المغرب
ونحن على صورة حمام ، آنذاك ، نرمي بانفسنا في افواه النوافذ ،
وننظر الى بياض الحسنين الجميلين»
في اثر هذا، رمت ستير بانو جلد الشقيقتين، وارتدت الثلاث الجلد
وصرن على صورة حمامات ثلاث وطرن من نبع الورود
وجئن الى مدينة جزيرة بوتان

* * *

دخلت الفتيات الثلاث مدينة جزيرة بوتان
وصرن في دائرة زين وعلى افواه النوافذ ،
ونظرن فاذا بزين مستلقية في الفراش ،
وعند رجليها وفوق رأسها تشتعل المشاعل والسرج ،

وقرأت الاخوات الثلاث اسم الجان
ونفخت فوق رأس زين ، فتاة ما وراء الحجب
ووضعت في اذنيها خرزة المونى
ورفعت تابوتها ، ووضعتها على اكتاف الجان
وحملن السرج والمشاعل
وأتين بها الى مدينة المغرب
ووضعنها في دائرة ممى آلان
كان مم يغط في نوم ليله
ووقفت الاخوات الثلاث على افواه الشبابيك والنوافذ
ونظرن فاذا بهما لما يستيقظا من النوم
فقرأن بهمس آية من آي الجان
ونفخن على زين الزينات وممى آلان
واستفاق مم من نومه الثقيل
كان في غرفته في كل ليلة سرير واحد
فاذا به الليلة سريران
نهض مم ، وجلس على سريره
فاخذ يفكر ويضرب اخماسا باسداس
قائلا «يا رب ! ما هذا العجب العجاب ؟
أمن عمل الجان هذا
ام اكذوبة واضغاث احلام ؟
في غمرة هذه الافكار نهض من فراشه ،
وهرب الى الابواب والنوافذ
فرآها مغلقة مقفلة كما كانت
عاد إلى سريره ، وجلس في الفراش
وقرأ الاسم الاعظم ، ونفخ في سرير زين ، رأس الحسناوات
ومدّ اللحاف على رأسه ، قدر شبر واربعة اصابع
وبقي في الفراش قرابة ساعة واثنتين
وتقلب لحظات على جنبيه

ومهما حاول ، فلم يغمض له جفن
ثم اخرج رأسه ثانية من تحت اللحاف
ونظر الى السرير الآخر ، فرأى واحدة استلقت عليه في شكل فتاة
فأيقن انه حق ، وليس بحلم او وهم
ونهض مم من عرشه
وجاء الى سرير زين الزينات
وازاح اللحاف من فوق عينيها بهدوء
فألفاها ليست من الجن ولا ملاكا ، بل هي انسية من البشر
لها عينان سوداوان بلقاوان ،
وحواجب واهداب تنساب على جبهة الوجه
وجبهة عريضة ، من معدن الفضة والذهب ،
وارسلت ضفائرها وحواجبها على رمانة الوجه
والعذار على الغدائر
فارتمت في السرير فوق الوسائد
وكأن زينة وحلى مصوغة انسابت على الصدر
كنقوش في ابر رؤوس الضفائر والعذار الاحمر
والتفت كرؤوس ثعابين العدى
انها خشنة كالفولاذ
ما ان تمس ركاب الحصن ، حتى تشقها ، وتشق اضلع الحصان
عاد الى سريره واستلقى على فراشه
ورجع يفكر
ومدّ مم اللحاف على عينيه مرة اخرى
وقال «يا الهي ، انا في الرابعة عشرة ، وها انا ابلغ الخامسة عشرة ،
ولم يحط بعد ذباب ذكر ، او ذبابة على وجه ممي آلان
اعد هذا السرير الى صاحبه مثل ما اتيت به»
واستل مرة اخرى ، ومدّ على وجهه اللحاف قدر شبر واربعة اصابع

• • •

نظرت الاخوات الثلاث الى زين فهي لاتتحرك ، ولا تفيق من النوم
فرأن اسما للجان
ونفخن في فراش زين الزينات ،
ومن موضعها ، فتحت زين عينيها من سبات الليل
ونظرت فاذا بليلها هذا ، لا يشبه ما كان من الليالي
كان قبلئذ في الغرفة سرير واحد ، فاذا به الليلة اثنان
كان هناك سراجان ، فأمسيا اربعة
فراحت زين تفكر في هذا الامر العجيب
وكانت تقول لنفسها : «لم ير احد مثل هذا العجب ؟
ترى هل هبّ عليّ عاصف من ريح الجان ؟»
نظرت الى الابواب والنوافذ
فاذا بها مغلقة مقفلة جميعا
ولا يمكن لأحد ان ينفذ منها
مرة اخرى اخذت تفكر حائرة
تذكرت ، اذ كانت قد ذهبت قبل يومين الى عين القسطل ، عين الورود
قالت «لعل بعضهم قد رأى جمالي الصارخ ، وجاء وتبعني الى هنا»
ثم تذكر جموع الحراس
قالت «ثمة حل لذلك ايضا
لعلهم قد اشبعوهم مالا
حتى أنه ليأتي بسريره الى مسكن هو قلعة قدّت من جبل
انا خائفة من النوم ، النوم عدّو الانسان ، الليل قلعة الرجال
انا كنت غارقة في النوم
ايمكن لهذا الفتى ان يمدّ يده الى فراشي

* * *

نظرت زين بامعان الى الفراش
فرأت ان هذا من عمل الجان

فهذا ظاهر في السرير
ونادى بعضهم بصوت عال
قائلا «واحرّ قلبي ، ثلاثا
لتوه تجاوز عمري الرابعة عشرة ودخل في الخامسة عشرة
ومنذ ان ولدت من امي ، والى يومي هذا ،
لم ار وجه رجال وشباب
حدث لي هذه الليلة ، مالا اتمنى حدوثه لمسلم ،
مصابي صعب ونادر وكبير
لست ادري أمن عمل السحر هذا ام من عمل امير الجن
جوادي وغلماني يقفون من المساء الى الصباح
حراسا امام الباب متناوبين
لست ادري اين جوادي وغلماني في هذه الليلة
لست ادري من اين جاء الى دائرتي الرائعة ، الى مضيفي العظيم؟
مدينة الجزيرة لها ثلاث محلات
محلة على عاتق شيخ التجار ،
ومحلة على عاتق الأبيوز
ومحلة على عاتق حسن ، جكو ، قرة تاجدين ،
ابناء عمي كأنهم اشبال الاسود
أأنت رجل غريب ، لست ادري اخشى ان تكون من الجزيرة
فعاداتكم انتم الشباب انكم تتجولون في منتصف الليل
في المباغي والحانات[٨]
انا لا ادري هل احتسيت الشراب في هذه الليلة وانت الآن ثمل؟
وهل سكر رفاقك ، وتركوك ، وأبقوك باعماق الحانات
ثم نهضت وبقيت في الأزقة والدروب
وأضعت طريق البيت
وجئت الى دائرتي الكبرى ، موضع الحيتان ،
فمن اجل الحياء والشرف ، سأنادي الجواري والغلمان ،
كي يمسكوك من يديك ويسلموك الى دار ابيك ،

انت شاب لا تستحق ذلك ،
انما يدور الفلك والضباب والدخان على رؤوس الرجال الاخيار

* * *

كان مم ينادي ، قائلا «واحرّ قلبي
أنظر وفكر في دائرتي الرائعة ومضيفي العظيم
بعد الآن فصاعدا انا افكر في ما قدر رب العالمين من عمل
ولا ادري من علم السحر هو ام من علم امير الجن ؟
مدينة يقال انها مدينة جزيرة بوتان
انما في عمري لم ارها بعيني ولم اسمع عنها بأذني
هل زاغ بصرك ؟ أخرجي رأسك وانظري الى البحر
سمع صرخات القبطان وحركة السفن
انا اسمي «ممي آلان الشجاع»
ابن اخت شيخ القرشيين
ابن اخ عمر بك والماز بك ، سلطان الكرد
هذه مدينة المغرب
مدينة المغرب ، مدينة ضخمة وجد عظيمة
على جبال سبعة
فيها ستة وستون وثلاث مئة باب
كل باب يفتح على ستة وستين وثلاث مئة حي
كل حي على ستة وستين وثلاث مئة حي آخر
في كل مسجد ، ثلاث منارات ممشوقة ، كأنها خيوط رفيعة
وعلى المنائر وميض الشموع والمشاعل
وعندما يصبح الصباح ، يصعد المؤذنون على المنائر وتشق اصواتهم الفضاء
اصواتهم مثل اصوات الشحارير والبلابل
دائرتي بلقاء ، تقع على سبع طبقات
وقد وضع هذا المضيف على اربع واربعين قاعدة

اثنتان وعشرون قاعدة غاصت في البحر
لم ابق في هذه المدينة معمارا او استاذا
الا واتيت به الى هذا المضيف لسنين
فقد ارسيت في البحر اساس اثنتي عشرة غرفة
وفرشتها جميعا بالمرمر الاحمر السمسمي والمرمر الاسود
هذا سجن لمن اسالوا الدماء وقتلوا الرجال ، سجن للمحكومين
ويل للناس ان خالفوني ، انهم سيقضون اعمارهم هناك
انا سأسجنهم واقيد ايديهم وارجلهم بالحديد والاغلال
انا سأسجنهم مائة سنة
ان غرفي الاثنتي عشرة هذه هي لهذا الجنس من البشر
في الطابق الوسطي يسكن الامراء والنبلاء وكبار رجال الكرد
وفي الطابق الثالث يسكن شباب مثلي ،
وهم في سن الرابعة عشرة ولما يبلغوا الخامسة عشرة
انهم تلامذة يدرسون
ضلوعهم تتلوى على التخوت والكراسي
ومرافقهم كلت من فرط الاتكاء
ومن بين انامليهم يسمع صرير الاقلام
هم خائفون مني ، فلا يرفعون رؤوسهم من على الكتب
اما الشباب البالغون منهم فمنشغلون بالبحث والجدال
طيلة النهار يعكفون على تقليب الاوراق وتسويدها
لقد وضعت في الطابق العلوي من المضيف عرشا ذهبا ، ذا اربع قوائم ،
في جوانبها الاربعة احجار من الماس الثمين
معي الف ونصف الف من النبلاء ، وهم في ريعان الشباب
لصيقون بي روحا بروح
فمن المساء الى الصباح يدور حراس مناوبون حول دائرتي البلقاء
في هذه الليلة ، انا لا اداري ، فهناك الف ونصف الف
من الشباب النبلاء ، لن يقرب الكرى اجفانهم.
من عادتكن ايتن الفتيات ،

ان تلاحقن الشباب ، وتهمن في البراري
فأخذك الشباب والمراهقون للبساتين ،
قضيتم الليل هناك ، واعادوك الى ضاحية المدينة وتركوك
فاضعت الدرب الى ابويك
وجئت الى دائرتي البلقاء ، الى مضيفي العظيم

* * *

هل رأيت الفا ونصف الف من النبلاء الشباب ،
يغالبهم النعاس منذ المساء ثم ينامون ؟
ومن امامهم قد مررت الى موضعي ، مربع العفاريت والحيتان
كأني بك فتاة مسكينة
ها انا ذا اقوم وانادي الفا ونصف الف من الفتيان الكرد العظام ،
ليتولوك ويسلموك الى ابويك».
قالت زين «ما ابهاك ، كأنك في مهابة الروم
ان مثل هذا القول لا ينطق به الاطفال
انت تبغي تنفيذ ما تريد كذبا وافتراءا»
راى مم ان زين تسأل وتتكلم دون خوف ووجل
فحار في الأمر ، لم يكن يدري الصحيح من هذه الاقوال
قال : «انهضي، في هذا المساء سنمسك انا وانت بايدي بعضنا
كأخت وشقيقها
ستجول معا في القصور والمضائف
ترفع الاسرجة والمشاعل
آنئذ نتبين الصادق من الكاذب
ونخرج الكاذب من القصور والمضائف بوجه اسود»
قالت زين «ويحك هل تريد مني ان انهض ،
وامد لك يدي ، كشقيقة لك
انا لا اقوى على النهوض ، ومد يدي الى الرجال ،
كي يمسكوا بها في القصور والباحات[٨]

أيد النساء ايديهن الى الصبيان»
قال مم «دون تجوال وتمعن ، لا نملك حلا
انا اقول هذا منزلي وانت لا تصدقيني القول»
قالت زين «انا اراك مسترسلا في الكلام على هواك
مهما قلت لك ، فلن تفهم ما اقول
فقد قلت لك هلم وامض قبل ان يتنبه عليك ابناء العم الثلاثة»
قال مم «انا اراك لا تسمعين اقوالي
ما لم تنزلي معي الى الباحات والرياض
انت تقولين عندي احدى واربعون جارية ، طوع الخدمة
وانا اقول الف ونصف الف من الشباب ينتظرون مني امرا
اذن هيا فلنناد مرة او مرتين جواريك الاحدى والاربعين
وانا انادي الفا ونصف الف من شباب الكرد
اذا كان هذا مضيفك فستلقين الجواري قادمات دون ريب
واذا كان مضيفي ، فشباب الكرد هؤلاء يقدمون الينا كلينا»
نهضت زين من الفراش ، وقالت «نعم ما تقوله ،
سمعا وطاعة»
نزلت من السرير ، وسارت الى النوافذ ،
وبدأت تنادي باعلى صوتها في جواريها الاحدى والاربعين
وجاء دور مم آلان
وبصوت عال نادى الفا ونصف الف من شباب الكرد
قالت «يابنكين ! انت قد عاهدتني ان لا تسمح حتى للطائر
أن يدخل مخدعي ويطل على عرشي
هل غاب عنكم عقلكم
فترسلوا اليّ البلهاوات
ها إن تائهة قد جاءت وهي لا تسمع كلاماً»
ما ان سمع بنكين نداء مم آلان ،
حتى هبّ وأمر الفاً ونصف الف من شباب الكرد ،
مستفزاً اياهم ، قائلاً : الاهبوا واخرجوا من الحجرات

كأني بصوت مليكنا ممى آلان يتميز من الغيظ
لا ادري أي أمر عجيب قد وقع في ديواننا
يعلم الله ان استشاط غضباً أمر باعدامكم جميعاً»
نهض شباب الكرد ، وخرجوا من الغرف والردهات
وشدوا على احزمتهم يعقوبيين[١٠]
وتقلدوا فوقها قامات لزكينية [١١] ولبسوا الدروع وزينوا قاماتهم بالسلاح
وتقدم بنكين هؤلاء الشباب ،
في الصف المتقدم شباب سريعو الحركة في عمرهم
في آذانهم أقراط ذهب ، مرسلات فوقها عذر تيمورية[١٢]
وخلفهم شباب اشتد عودهم ، بدروع داودية ،
شدّوا حمائل يعقوبية فوقها
ترن السيوف كلما ضربوا على اعقاب احذيتهم ذات المهاميز
وصلوا مسرعين الى الديوان ، الى السريرين ،
جاء بنكين ، شقيق ممّ روحاً بروح
رأس الف ونصف الف من شباب الكرد ،
ووقف أمام ممّ قائلاً «قل ، ياملیكي ،
انا سأدمر لك اي مدينة تبغي من مدن العدو ؟»
نظرت زين فرأت حلمها مشوشاً ، ثقيلاً
فنهضت وركضت وارتمت على اقدام ممى آلان
قالت ماتعمدت التقصير بل كان عن جهل
والصفح من شيم الرجال ،
فبامكانك ان ترميني تحت الأقدام ؟...
آنذاك ، أمر ممّ بنكين رأس الف ونصف الف من شباب الكرد
قال «لاشيء ، ولاحاجة ان تبحثوا في القصر والحجرات ؟»

* * *

قال مم لزين «في هذا حكمة من حكم الاله
نحن لاندري أيّ خير او مسرة تنتظرنا تحت الأثنين؟
تعالي لنقرب سريرينا ، الى الصباح ، فهذا كرم من الله»
قربا سريريهما وطفقا يتحدثان معاً
وأقسما بعض لبعض ، قسماً مغلظاً
اقسما بالانبياء والأولياء
خلع مم من عنقه الحمالة المباركة ، وجاء بالسيف النرجسي
ووضعاهما بين السريرين
قال «الليلة سننام معاً كما الشقيقة مع شقيقها ،
وعندما ينبلج الصبح ، سندعو شيوخ وعلماء مدينة المغرب
فليعقدوا عقدنا بأمر الله وعلى سنة رسوله»
وتبادلا خاتميهما
على خاتم مم نقش «ممي آلان»
وعلى خاتم زين نقشت «ابنة أمير جزيرة بوتان ، زين الزينات»
رويداً رويداً في غمرة الحديث والكلام ، غطا في النوم

* * *

لنعد الى بنات ملك الجان الثلاث
كن واقفات على مدخل الشباك الى هذا الحين
قالت تاف بانو : «ان ذنبهما سيقع علينا نحن الثلاثة !
نحن اتينا بهما ، كانت ستيربانو على نبع الورود
فلم يبق لك ما تأخذنا به نحن الشقيقتين !»
وقرأن اسماً للجان
ونفخن على السريرين والفراشين
وغرق مم وزين في الأحلام كجثتين هامدتين ..
ونادى الأخوات الثلاث الجان ،
فحملوا سرير زين والسراجين ،

ورفعوه واوصلوه الى السماء السابعة ،
وجاءوا به الى سماء مدينة جزيرة بوتان ،
وأعادوا سرير زين الى موضعه ، الى دار ابويها
اصبح الصبح ، وأشرقت الشمس ، وأنارت الجبال ،
وفتحت زين عينيها من نومة الليل
ونظرت ، فلم تر ضيف الليل الغابر ، صاحب الحب الصادق
فصاحت وانكبت على وجهها في الفراش
قالت «ياله من عجب! يالها من اعجوبة كبيرة !
قلت كأنها الحقيقة بعينها ولكنه كان حلم ليل»
ثم تذكرت ممى آلان ،
وقالت «كأني بنا قد تبادلنا خاتمينا»
مدت يدها الى الخاتم ، ونظرت فيه فاذا قد نقش عليه:
«ممى آلان» ، ملك الكرد
آنذاك عرفت ان قصة النيلة الغابرة ليست كاذبة ،
بل هي صحيحة وصادق ذلك الحب ،
وعادت تصرخ ثانية ، واغمي عليها في الفراش

* * *

تجمهر على زين جواريها الأحدى والأربعون
منهن من تتولى يديها ، ومنهن من ترش الماء على وجهها
حتى اذا عاد اليها وعيها شيئاً فشيئاً نظرت الى الجوارى
وقالت «خيراً ، من نادى عليكن ،
كيف اجتمعتن حولي مثل الصقور ؟»
قلن لها «ياسيدتنا ، سمعنا صراخك ، فجئناك معاً مسرعات
قلنا لاشك ان امراً ما قد وقع فجئناك فألفيناك
مرمية على الفراش .»
صرفت زين الجواري عنها وما ان خلت بنفسها حتى
خلعت زي الأميرات وحليهن وارتدت ثوب اعرابية ،

اسود خلقاً لايعادل قرشين ونصف قرش
وجعلت بزيها من نفسها جارية من الجواري
فكفت عن الحديث مع أي منهن
اخبرت الجواري الأمير أزين ، أمير مدينة جزيرة بوتان
قلن ان زين قد أصيبت بمرض وبيل
جاء الأمير أزين ، فتبين صدق قولهن
وا اسفا فالعينان السوداوان البلقاوان قد زاغتا كعيون المجانين
أمر الأمير أزين بإحضار الأطباء والشيوخ ورجال الدين
فلم يتخلف احد منهم فتجمعوا جميعاً حول زين ،
وطفقوا يدجلون ويكذبون
فمن قائل انه من الجان
ومن قائل «انه من أثر السم»
وآخرون يتلون دعاء وينفخون في سرير زين وفراشها
فطردتهن زين من حولها
قالت «اغربوا عن وجهي ، لست بمريضة ،
ولا أحتاج دواءكم ولم يمسني الجان ،
كي تكتبوا لي التمائم والأدعية والتعاويذ !»
حرمت زين على نفسهاالتجوال ومشاهدة مدينة جزيرة بوتان
كان جل همها من الصباح الى المساء ، ومن المساء حتى الصباح ،
ان تتذكر ليلة شهد فيها مم ، وهمها البكاء وتجرع الهموم
ولم تكن تواجه احداً
مضت عليها ستة أشهر وهي في حزن عظيم
ولم يدر أحد ، أيّ خطب عجيب جلل قد الم بها

* * *

لنعد الى حيث ممي آلان
في الصباح ، فتح عينيه عن نومة الليل ،
فلم ير ضيفة الليلة الغابرة ، صاحبة الكلام وحلو الحديث
كان يتساءل عجباً ألا يكون هذا من عمل الجان ؟

ثم تذكر ، وقال «ألم نتبادل خاتمينا في الليلة الماضية ؟»
فنظر الى يده ، فأيقن من صدق القول
بنكين هو الشقيق الصادق لمم ،
رأس الف ونصف الف من فتيان الكرد ،
نظر ان النهار قد قارب الضحى ،
والساعة قاربت الثانية بعد الشروق
ولكن مم لم يخرج من فراشه بعد
ولم يخرج للصلاة الى المسجد ،
ولم يصدر أيّ أمر منه
نهض وصعد الى غرفة مم ، واسترق السمع من عتبة الباب
فسمع من اعماق الغرفة صوت أنين مريض
عاد فوراً ، واسرع الى رفاقه ،
فاختار من بينهم عدداً من ذوي الفطنة ، المتعلمين
وجاء معهم الى باب غرفة ممي آلان ، ملك الكرد
وأصلحوا من
هندامهم ولملموا عباءاتهم وأرسلوا سراويلهم
وطرقوا بأدب جم باب مم
من عمق الغرفة تناهى الى الأسماع صوت ضعيف ،
هو كاصوات المرضى. كان يقول :

«ترى من يكون هذا ليدخل، له السماح والأمان
دخل بنكين الغرفة ، مع رفاقه جميعاً
نظروا فإذا بوجه مم كوجوه الموتى
والدموع تنهمر من العينين على وجهه إنهمار أمطار نيسان

أثر ذلك في قلب بنكين فاسنده من جنبه
قال «أخي ، أيّ امر عجيب قد وقع لك ؟
امس كنافي صيد الايائل
إن وقعت عيناك على واحدة من بنات نبلاء الكرد وأمرائهم ،
فإن أخاك طوع أمرك
ليس بمشيئتي ، بل بمشيئة الله ، ملك الملوك ،
سآتيك بها في أربع وعشرين ساعة من مدينة المغرب
وإن كان ثمة هم آخر فقل، فسأزيله عنك ، ولن افوت فرصة
ولن اجعل من الساعة ساعتين
وجاء دور ممى آلان في الكلام ، فقال:
«بنكين يا أخي ، هل أنت مجنون»
ماذا أقول ؟ انت لا ترى ما رأيته من الأمر العجب
في الليلة الغابرة
ان ما آمرك به من أمر ، عليك الآن أن تقضيه
وعليك ان لا تشعر أبي الشيخ وأمي العجوز ،
وان لا تشعر العمين الأجلين
ان كنت جديراً ، وقادراً ان تقضي أمراً آمرك به ،
فعليك ان تذهب مسرعاً وتدخل حظيرة الخيول
وتخرج الحصان الأشهب من القيود وأن تسرجه وتشد ركابه ،
وتحكم حزامه فالغربة شاقة.
عليك ان تدخل غرفة الخزائن وتملأ حقيبتي ذهباً وجواهر
وتشدها في مؤخرة الأشهب
وقبيل الضحى ، عليك ان تقف أمام نشز للركوب
وتمسك بيد شقيقك ، وتضعه على صهوة الأشهب ،
وان ترافقني في الطريق ، وتخرج شقيقك من المدينة ،
وتدعه ينطلق على درب مدينة الجزيرة .

• • •

أطار هذا الكلام ، صواب بنكين ،
فغدا كالمجنون الهائم في الصحراء
هرب عن طريق الحرم ، وأتى الى الأم العجوز والأب الشيخ ،
وارسل الخبر مسرعاً الى العمين الأجلين منكودي الحظ
قال لهم ومالكم قابعون هنا ؟
ياويلنا ، لم يبق لنا أمل في الحياة الدنيا
لا أدري ماذا حدث لمم ، فأضحى كالهمل العاجز
فهو يريد التوجه الى مدينة جزيرة بوتان
وما من احد منا رأى تلك الطريق بعينيه ،
أو سمع بها بأذنيه
يريد مم ان يسير الى هناك ، دون علم منكم جميعاً
ما أسهل الرواح فوراً ولكن العودة ليست بمشيئة المرء
هرع الأربعة معاً الى غرفة مم ، حبيب الأبوين و أمل العمين

* * *

بعدما ذهب بنكين أخفى مم وجهه براحتيه حائراً
وما ان رفع يديه عن وجهه ، ونظر حوله ،
حتى أبصر امه العجوز جالسة عند رأسه
ووقف ابوه الشيخ قبالته وفي كل جانب ،
واحد من عميه الأجلين يمطرون الدموع على وجوههم
قالوا «الأمان ، ماذا تفعل يامم ؟ ليس لنا نحن الأربعة
اي أمل دونك
أمانك ، اسمعنا ، ولاتدع نفسك منقاداً مع الأحلام
ان التي زارتك في الليلة الغابرة ، وحلت عليك ضيفاً
لم تكن الاّ الشيطان ، تنكر في صورة فتاة ،
وهو يضحك على ذقون الشيب والشبان
فمن اجل حلم ليلة ، لاتدعنا جميعا في عزاء ،

لاتمس قلوب الأحباب والخيرين
ولا تشمت فينا الخصوم والأعداء»
قال مم «ياأبتي ، اياكم والظن فهو إثم
انكم تقفون امامي ، وتقولون عن الفتاة انها الشيطان
ان في اعماقي الماً كبيراً وحزناً عميقاً
لقد هانت روحي وانهد جسدي من قمة الرأس
الى اخمص القدمين
ان ناراً وقودها من حطب تتلظى في اعماقي ،
لهيبها ودخانها يصلان الى السماء السابعة
وليس لي دواء في مدينة المغرب
ان دوائي بعيد جداً ، هو في مدينة جزيرة بوتان
وليس لي شفاء الأ بكأس من ماء عين القسطل ،
ومن يد زين الزينات
اجعلوا لي حلالاً حليب الأم وكدّ الحياة
سأضع رجلي في ركاب مهر البحر ، اليميّ ، الأشهب العداء
بعيدة ما بين مدينة المغرب ومدينة الجزيرة. انها مسافة عام ونصف عام
كتب علينا رب العالمين المنون ، نحن معشر العباد الآثمين
انا خائف أن اذهب الى ديار الرحيل ، الى أرض القبور
ما اسوأ حسرات احلام الليل ، انها ستصاحبني الى ديار الرحيل ،
الى أرض القبور

* * *

نظر الأب الشيخ فرأى انه لا يجد لعلة مم ايّ علاج
قال «لعلنا نتمكن من ان نجد له رائداً ودليلاً للطريق»
امر الغلمان ، قال «نادوا المنادين ليتجولوا في مدينة المغرب ،
فمن يعرف طريق جزيرة بوتان ،
فسأملأ عينيه بالذهب
ضجت مدينة المغرب بصراخ المنادين ثلاثة أيام بلياليها
إذ كانوا يتجولون في المدينة
وفي اليوم الثالث ، عادوا خلو الوفاض الى اب مم

قالوا «ياملیکنا ها إن اصواتنا قد بحت ولاتقوى افواهنا على الكلام
اننا لم ندع في المدينة مكاناً او مظنة الاّ وطرقناه
فلم نر واحداً سمع بمدينة الجزيرة ، بأذنيه ، أو رأى طريقها بعينيه
وها نحن قد عدنا اليك بأيد خالية ووجوه كالحة
وعندما يئس الأب الشيخ من الادلاء ،
أمر الوزراء والأمراء والنبلاء بمدينة المغرب جميعاً ،
وقال «فليأت كل الفتيات الحسناوات الرائعات وليشرعن بالرقص
والغناء ، عسى ان يحب مم واحدة منهن وينسى آلام زين الزينات
نفذ امر ابي مم ، وشاعت المسرة في مدينة المغرب ثلاثة أيام
ولم تبق من بنات الوزراء والأمراء والنبلاء من لم تزين نفسها
وعندما كانت صفوف تلك الحسان تمرّ بالازقة والدروب ،
وكن يلهبن قلوب الفتيان حباً ،
وجئن جميعاً الى مضيف مم ، وشرعن بالرقص والغناء
اصوات الدفوف والصرنا والاصطفاق تصعد الى اوج السماء
ولكن قلب مم لم يكن يهوى حتى التطلع من النوافذ

* * *

عندما رأى أب مم ان هذا لم يكن علاجاً لعلة مم
آنذاك ، كلم الشيوخ والمشائخ والعلماء والحكماء
ومدّ العلماء ايديهم مسرعين الى الأقلام والمحابر واكياس الكتب
وأخذ كل يسلك مسلكه في تدوين الأدعية والتعاويذ
وراح بعضهم يقرأون اسماء الجان والملك ،
وآخرون يرفعون ايديهم بالدعاء الى ديوان الباري
ورفع الشيوخ الأعلام الخضر على النوافذ والمنافذ ،
ودوّت أصوات دفوفهم عالية
وأصوات الصنوج تصمّ آذان الرجال
وصراخ المريدين يملأ آذان الجوزاء
وخال مم عمر بك كان يسدي النصائح والمشورات
وكل هذا لم يكن ليطفيء النار في قلب مم

وكان يضيق بالدنيا ذرعاً أكثر فأكثر

* * *

قال عم «يا خالي ، واحرّ قلبي، اليوم قد غدا مرتع الآلام والجروح
ولن تلقوا أنتم لي حلاً وعلاجاً
فلا توجعوا رأسي بهذه الأمور ،
فأنا لن أر أحداً يكوي جروح الرماح بماء الورد
إن الجرح في قلبي ، وأنتم تأتونني بالشيوخ والملالي
أنا أطبق جفني كي أرى خيال زين الزينات
وأنتم تأتونني بحشود المجانين
أينقصني صراخ المريدين والدراويش
أنا لا أريد قطع رؤوس هؤلاء التافهين فقسماً بالله ،
اذا نهضت فلن ير أحد منهم مني خيراً
فرؤوسهم تطير بسيوف الجلادين
ليعودوا الى بيوتهم ، فليس هناك من مجنون يداوونه في هذه الديار
رأى خال عم ، عمر بك ، أن هذا لم يؤثر فيه بشيء
فانتشر الجمع وعادوا كلهم الى أهلهم وذويهم

* * *

رأى ابو عم ان بقاءه في مدينة المغرب سيزيد من دائه
ويكثر آلامه وجروحه. وعلى مر الايام، سيسوء حالا ،
ويتشوه سيماء وجهه ان بقي على هذا المنوال
فإن عم سيرحل الى ديار القبور
وليس له من دواء وعلاج غير الرحيل الى جزيرة
واذ ساورت الاب الشيخ هذه الافكار قام لتوه،
وكاشف بها الأم العجوز والعمين الاجلين
قال «ان لم نسمح لعم بالرحيل الى مدينة جزيرة بوتان
فلن نتوسم منه نحن الاربعة لنا خيرا
فانه سيذوب يوما بعد يوم، مثل علك في جذع الشجر

اذ ذاك سنقول، لقد كنا في ذلك سببا، ولا يعرف احد ما يقدره الله،
فلنتركه، وليذهب وليبحث عن حكيم ودواء لدائه.
لا، عندما لاندعه، فان اثمه سيقع على عواتقنا نحن الاربعة.
اذ ذاك سنقول: «لقد كنا نحن في ذلك سببا، وتركناه يموت بآلامه واوجاعه.
ذهب الاربعة مجتمعين الى م صاحب العشق والهموم،
قالوا: «هو ذا، نحن راضون على ان ترحل الى مدينة جزيرة بوتان».
في الحال، انفتحت اسارير وجه م، كسابق عهده مثل اوراق الورود.
نهض من فراشه وخرج مناديا بنكين، سيد الشباب، على عجل.
قال له: «اعد لي حقيبة من نقود، وضع فيها حبات من جواهر
واردفها مهر البحر، والاشهب العداء
ثم هات بالمهر وقف عند نشز الركوب، وضع رجلي في الركاب».
حمل بنكين حقيبة م، وذهب الى خزائن النقود
وارسل عددا من الشباب الى حظائر الخيول،
ليخرجوا له الاشهب العداء.

* * *

ذاع خبر رحيل م في مدينة المغرب.
كانوا يعقدون اكفهم خلفهم، حسرة والما
تجمهروا جميعا حول م، كربيطات الخراف
منهم من انهال على يديه ومنهم من ركع تحت ركابه وقدميه
وكنواحهم على ميت، تعالى نواح الفتيان: وأبتاه وأبتاه!
رأى م ان الامر سيطول وصعد البكاء والنواح للسماء
همز بالركاب الاشهب العداء مرة ومرتين، فهو رفيق يوم الضيق.
وارخى له العنان[١٤]
ومضى الحصان كأنه صاعقة تنزل من السماء
ووراءه لم تكن تلمح الغبار والدخان
فلا احد يعلم ما قوة هذه الدابة في الدروب
وعلى هذا المنوال ساروا، حتى بلغ الليل لحظة صلاة المغرب
فرأى م نفسه في مدينة كبيرة عظيمة

سرجها تحاكي نجوم السماء
رأى م مناحة عربية في منزل عظيم
يسمع بين النائحين صوت ابيه الشيخ وصوت بنكين، اخيه بالروح
آنذاك ظن انه قد ضل الطريق، وعاد الى مدينة المغرب،
ورويدا رويدا ابتعد عن مضيف ابيه واجداده، قصر ملك الكرد.
كان م قد انهكه التعب في ذلك اليوم، هو والاشهب العداء في تلك الدروب.
وحل في اقصى المدينة ضيفا على شخص ما
قال له: «انا ظللت الطريق وعدت الى هذه الديار
اياك ان تخبر أبي الشيخ بما علمت من امري.
والا فأني سأرسلك الى حبل المشنقة
عليك ان توقظني فجر صلاة الشوافع
قال صاحب الدار: «طوعا وطاعة،
مادام حل علي ضيفا في هذه الليلة ممى آلان، ملك الكرد».
سهر رب الدار الى الفجر ولم يطرق النعاس عينيه.
وفجرا وقبل ان يؤذن للصلاة أيقظ م
واخرج له الاشهب العداء
اعتلى م صهوة جواده، وخرج مرة اخرى من مدينة المغرب،
وسار نحو جزيرة بوتان، في طريق تطول نصف عام
تولى حصانه بهمز ركابه
فكان الاشهب العداء يعدو كغزلان البر
قضى النهار وعادت ليلة اخرى من ليالي الله
تناهى الى سمع م من طرف ما خرير المياه
واصطفاق غسل الايادي
ومن فوق الحصان نظر، فرأى شيخا، بلغ الخامسة والسبعين
وجهه منور مثل الزهور
ربط حصانا اشهب، كحصان م بالقيود.
وهو يتوضأ لصلاة المغرب
حياه م فرد الشيخ السلام وانتصب واقفا

قال: «هيا ترجل، اهلا وسهلا تعال نصل العشاء معا
لعلي امتطي حصاني وأسير معك مرحلة او مرحلتين».
كان هذا هو سيدنا الخضر، امير البراري
ترجل م وصلى مع الشيخ على النبع
خمس [٥] ركعات لصلاة المغرب[١٦]
امتطيا معا صهوتي جواديهما
كان قلب م يحترق، ويهمز جنب حصانه بركابه،
وقطع اضلع جواده كاللحم المثروم
رأى م ان الشيخ لا يهمز جواده بركابه ومع هذا فهو يسبقه دوما
كان م يقول مع نفسه «ان حصاني مهر البحر هو الاشهب العداء
ومامن حصان في الدنيا يسبقه ويضاهيه
لست ادري ما هذا الحصان العجيب الهائل
حصان الشيخ هو كالجن والملك».
لم ير غير دخان يتعالى من ضفة النهر الأخرى
كانت واحدة تجلس امام الفخ
والفصل ربيع، وهذا موسم انبعاث المرابع وتفتح زهر الرمان
احمرت دجلة، كدماء الرجال[١٩]
وهي تتماوج موجا فوق موج
حتى تحتضن المروج سفوح الجبال
عندما رأى م مدينة الجزيرة، هتف مستغربا
قائلا: «واحر قلبي، بل واحر قلبي ثلاثا
لم يبق في رأسي عقل وفطنة
سأغرق مهر البحر في نهر مدينة الجزيرة الملعونة
في لجة الامواج المتلاطمة
والله اني اخاف بحيرة الدم
يصطخب فيها فحيح الافاعي واصطفاق الاسماكِ
تهب رياح غربية من الجنوب، وتدق ماء النهر وتقلب الموج على الموج
نهر الجزيرة[٢٠] قد هذا امامي سلطانا، سلطانا مرهوبا، غير مأمون جانبه.

أخشى ان يرميني في بحيرة الدم.
بحيرة الدم عميقة الغور يصطخب فيها فحيح الافاعي واصطفاق الاسماك
والرياح الغربية هي الأخرى سلطان مرهوب، غير مأمون جانبه.
ومهر البحر هو سلطان البحار
ومم آلان هو سلطان الكرد،
نحن سلاطين اربعة في هذه الديار، تجمعنا معا
وانا سلطان واطلب من سلطان الماء امانا
انا سأغرق مهر البحر في نهر الجزيرة اللعينة[٢١]

* * * *

على هذا المنوال قطعوا درب نصف عام بخمسة عشر نهارا مع لياليها.
وعندما اقتربا من نهر جزيرة بوتان،
قال الشيخ «يامم يابني، ها انت تذهب الى جزيرة من اجل زين الزينات،
فبينكما عشق صادق
وعلي ان اشير عليك ببعض النصح
قال مم «قل، سمعا وطاعة»
قال الشيخ: «عندما تبلغ نهر جزيرة بوتان، فالنهر عريض وكبير،
ومامن قارب او سفينة هناك
ومن الجانب الاخر يتصاعد الدخان،
نصبت ابنة بكو [١٧] الشيطان لك فخا
تريد خدعك باسم زين الزينات،
فلا تثقن به، انها ابنة بكو التمام [١٨]
فقد عرف ابوه من كتب الرمالين انك ذاهب الى مدينة الجزيرة
فأرسل ابنته اليك، تريد اغراقك في بركة الدم
فتوردك الهلاك، انت والاشهب العداء
ربت على ظهر مم بكفه ودعا له دعاء كثيرا ثم غاب عن الانظار
نظر مم حوله، نظر الى الغيوم والسماء
فرأى ثلاث حمائم ذوات ريش ابلق يحلقن في السماء يتقدمهن شاهين عجوز،
مهيض الجناح، منساقط الريش

اسرع مم، ولكز حصانه وسار في اعقابهم.

* * *

ما ان وضع الاشهب العداء حافره على حافة النهر
حتى نظر مم، فاذا بالشيخ صادق في قوله،
لاقارب ولا سفينة على شاطيء النهر
نادى مم زين، ابنة بكو النمام، وقال:
آه، يااختاه، واحر قلبي، واحر قلبي ثلاثا
اني غريب، ولا اعرف الطرق والدروب
احبك والله، اين معابر شط الجزيرة؟
اشرقت الشمس على بيت الله،
من اقصى المدينة، اضاءت الدنيا وما حولنا على مد البصر
ولا اميز الصباح عن المساء
طابت لحظتك هذه ياأختاه
كانت زين، ابنة بكو النمام تنادي قائلة:
«ايها الغريب، فديتك قد اشرقت الشمس،
وهي بعيدة عن بيت الله.
اضاءت الدنيا وما حولنا على مد البصر
فكر، قهر البحر، الاشهب العداء، ينطلق بالصهيل
اثقل رقبتك وانت على صهوته بحالة السيف اللاهوري
انت عشقت مدينة الجزيرة،
ومآقي عيني السوداوين البلقاوين وجدائلي الناعمة.
قف انت هنا، كصخرة في دير الارض
دعني اعبر نهر الجزيرة الملعونة
فلتبق الجزيرة خلفنا، ولتأكل رأس اصحابها!
كان مم يقول: «آه يااختاه، واحر قلبي لن اكترث لهذه الاقوال
فلست الا تاجر الخيل
انما اسرعت وتخلفت عني الخيول
فبالله اربني معبر الماء

انا اسير الى دار الغرباء[٢٢]
كانت زين تنادي وتقول «الا تصدق انني كنت ضيفة عليك ليلا
الم نتبادل خاتمينا في قصرك المنيف
هذا هو خاتمك في اصبعي، ولست كاذبة!
عندما ناديت على بنكين، سيد الف ونصف الف من الشباب الكرد،
جاءنا مع الرفاق اجمع
ماان امرت، حتى تعالى صليل السيوف
وماذا بعد من علامة او شاهد تريد؟
فديتك يامم،
يامشوق القامة، كقناة الرمح، كالغصن
انت بقلبي، الباسل العليل، حكيم وشفاء وبلسم!
قف انت هنا، كصخرة دير الارض، الثابتة
انا سأشق نهر مدينة الجزيرة اللعينة
وانت تمسك بيدي وترفعني الى مؤخرة مهر البحر، الشجاع، الاشهب العداء
وفي دربنا تلقانا القوافل والتجار
سيقولون: «طوبى لقلب مم! ما اجمل من اتى بها!»
نظر مم اليها حيث لاحل ولا علاج
قال لها: «ايتها الفتاة، انا اعرف انك ابنة بكو، وابوك نمام وشيطان».
عندما رأت ابنة بكو، انه قد عرفها، وانه لن يخدع بمعسول الكلام،
قالت: «لعلي اقوده في معبر، يغرق فيه مع الاشهب العداء»
نادت قائلة: «يامم، ان المعبر على جانب الطريق
والماء ضحل، دون خصر المرء».
فاضطر مم ان يلكز حصانه
فرأى ان الماء عميق، عمقه بطول رمح
اعاد الحصان من حيث اتى، ووصل اليابسة باثنتين وسبعين خطوة
قال: «لامضي وشاطئ النهر، لعلي القى الرعاة والعابرين».
قاد الاشهب العداء والشاطئ
ولم تمض دقائق حتى رأى راعيا جالسا عند الماشية
حياه فرد عليه الراعي، ونهض قائما،
قال: «طبت مساء وسلمت ايها الضيف. اهلا بك، وعلى العين حللت
قل لي قبل كل شيء، بماذا تأمر وماذا تريد»
قال مم: «من فضلك ارشدني الى معبر جزيرة بوتان»
سار الراعي معه، واشار باصبعه الى المعبر،
قال: «لا تخف ياأخي، فقد عبرت من هذا المكان عشرات المرات»
مد مم يده الى جيبه وملأها ذهبا ونقودا، ووضعها في يد الراعي

ان اتاح الله لنا ان نرى بعضنا مرة اخرى،
فلي مقدوري ان اسأل عن حال الطيبين الاخيار».
قاد الحصان الى النهر، فرآه ضحل الماء، دون الركبة،
فعبره وسار الى المدينة، ولكز حصانه بركابه

* * *

عندما رات ابنة بكو ان عم
قد عبر الماء وسيذهب الى مدينة الجزيرة،
خلعت ملابسها ووقفت على درب عم، وانتظرت لتتشاجر معه
لم يكن عم قد اقترب، اذ صاحت قائلة:
«ايها الشاب ايها الحشاش ايها النمل، انت مجنون
فكيف اتيت هذا الاثم، فقد كنت جالسة في مكاني،
فأتيتني بالاثم ومددت يديك وهتكتني
وجلبت عليّ العار!
الا تدري اني اخبر اهل الجزيرة، فلن تبقى على الارض معافى
فان لم انتقم منك هنا فلن ادع لك وصلا مع زين!».
راى عم ان كيدها عظيم، فقد يئست من الخديعة،
وتريد الآن اتهامه بأردل الاعمال!
خشي عم منها كثيرا، خاف ان تشيع اقوالها بين الناس،
لا داعي لتشويه اسم زين، فلن يكون قادرا على وصلها آنذاك،
من اجل ذلك، لجأ عم الى التحايل.
قال لها: «يا أختاه ان حبل الكذب قصير، لا تلصقي بي التهم.
فانا اسمي بسلطان مدينة المغرب، ملك الكرد.
فما نظرت بالسوء يوما الى فتاة او امرأة.
فلماذا تتهمينني كذبا»؟
قالت ابنة بكو: «عليك ان تعطيني عهد الرجال.
ان حقق الله املك مع زين الزينات،
فعليك ان تمسك بيدي وتأخذني الى مدينة المغرب
ان كانت زين حبيبتك، فسأكون لك حبيبة ثانية.
الاشهب العداء قوي وقادر على السير بنا، نحن الثلاثة الى مدينة المغرب
وانا سأرشدك في المسالك والسبل، حتى اجد لدائك علاجا وحلا»
رأى عم ان الانفلات من شباك ابنة بكر الشيطان ليس بهين
فاراد ان يواسيها فقال: «لن يموت الذئب بلقمتين[٢٣]
– اي يسهل للرجل التزوج بامرأتين
اذا حقق الله لي ولزين المرام
أمسكت بيدك انت واردفتك خلفي على الاشهب العداء

الاشهب قوي، وقادر على ان يوصلنا نحن الثلاثة الى مدينة المغرب».

* * *

قالت ابنة بكو: «ما دمت قد قطعت لي عهد الرجال.
فترجل قليلا، كي انبئك بعادات اهل جزيرة بوتان
اخرج ثم رجليه من ركاب الاشهب العداء
وترجل عند ابنة بكو الشيطان».
وقال لها: «قولي لاسمع ما تقولين؟».
قالت: «الانسان الغريب اعمى، ولا يعرف شيئا.
مدينتنا اليوم اقسام ثلاثة
قسم، لابناء الامير تازين، وهذا كله للتجار
قسم، لابناء الامير جلال، حسن وجكو وقرة تاجين،
رؤساء اللصوص والاشقياء وقسم ثالث لابن الامير زنكين، امير جزيرة بوتان
هذا القسم هو للكبار، للامراء والنبلاء والعلماء.
رؤساء هذه الاقسام هم اخوة لحا من اب واحد وما من اب بينهم
ابناء الامير تاجين اثنان، الصغير هو الامير شم
والامير سيفدين، هو اكبر الاثنين
وابن الامير زنكين واحد، واسمه الامير زين،
وهو الآن خلف ابيه امير على مدينة جزيرة بوتان.
الامير شم والامير سيفدين يتجولان في انحاء الدنيا وفي الممالك بحثا عن التجارة
اما حسن وجكو وقرة تازين فهم مدججون بالسلاح من الصباح الى المساء
ويهرعون لقطع الطرق والنهب، يسفكون الدماء، ويقتلون الرجال

* * *

الآن، ان التي جئت تبحث عنها، هي زين، ابنة عم حسن،
خطيبة جكو، المنكوحة عزيزة قرة تاجين.
الله اعلم، لعل جكو يريد الزواج في هذه الايام، يريد اخراج زين.
وقد وقف الامير سيفدين في طريقه.
لقد اخبروا ان جكو يريد الزاج في هذه الايام، يريد ان يزف زين
وقد وقف الامير شم والامير سيفدين في طريقه

لقد اخبر وحسن، انا نحن الثلاثة اولاد عمومة و لسنا غرباء
لقد أخذت انت ستي ذات العينين البلقاوين، وزين لنا.
لمن يطلب زين، فعليه ان يعد نفسه للموت وليعجل
قال حسن: «هذه سنوات ثلاث، لم نبق اموالا عند قوافل وتجار،
الا وجمعناها واتخمنا بها زين والامير ازين، امير بوتان.
وما ان اعددنا العدة لزفافها، الا وانبريتم كابناء اعمام لهن.
انت تعلم، اني مجنون وصعب المراس.
وانا استل السيف البتار من غمده
كنت اقول: « انا ازف زين بعد ايام
حرم الله علي حلاله، ان لم ازفها الآن قبل حلول الضحى.
مادام الامر قد آل الى هذا،
حينذاك سأرى لمن الغلبة؟»
اما الامير ازين، ابن عم هؤلاء
فاستشاط غضبا من ان يحدث هذا، بين ابناء العمومة
وقال :«مادام الامر آل الى سوء العاقبة فلتنكح من قبلي
فصيرها اضحى بيدي وانكحها من اشاء ولن اعطي اياها اي طرف منكما
الآن يأتي تاجر من بلاد غريبة.
سأزوجه اختي واعيد الصداق الى الاخوة الثلاثة».
قال حسن وجكو وقرة تازين: «نحن لم نشتر منك الخراف بمالنا
اننا سنزف خطيبة اخينا، قبيل الظهر.»
وعلى هذه الحال تشاجر ابناء العمومة باطرافهم الثلاثة فيما بينهم،
واخذوا يتلاومون ويتخاصمون.
شاكي السلاح ولابسي الدروع جميعا
وهم يرمقون بعضهم بعيون خزر، كخصوم لبعض ابا عن جد.

* * *

«ما ان تبرحني حتى ترى رجلا شيخا، ذا لحية بيضاء، في يده كتاب رمل.
دله الرمل انك قادم الى مدينة جزيرة بوتان.
يرصدك في الطريق، في اقصى المدينة، وعلى مداخل الازقة والسكك.

وعندما يراك، سيتقدم منك ويقول لك. تفضل قليلا نحو داري.
فلا تعره اذنا، انه ابي، بكو الشيطان.
عندما يتقدم منك، لا تعره اذنا، واهمز حصانك
اسرع واطلق حصانك. وليطو الارض طيا.
آنذاك لن يقوى احد من الوقوف امام الاشهب العداء
عندما تدخل المدينة، سيناديك الناس كثيرا ويقولون:
حل علينا ضيفا لعدة ايام.
لا تصغ الى احد، انهم لكاذبون،
فلا يبغونك بل يبغون جواهرك. لا تقف عند احد، بل إسأل
وقل: اين يبيت حسن وجكو وقرة تازدين؟.
عندما تحل عليهم ضيفا، يجدون لدائك دواء. فهم قلاع من فولاذ
لكي لا تنخدع بأبي، بكو الشيطان،
اعلمك ان داره كوخ صغير، مثل عش الدجاج،
فان دخلته، هلكت فيه ولن تعود الى املك العجوز وابيك الشيخ».

قال مم: «ايتها الفتاة بورك لك ولاصحابك الف مرة.
عندما اتزوج زين، فلا تخافي،
فسأردفك خلفي على مؤخرة الأشهب العداء،
الحيوان مهر البحر، سيحملنا نحن الثلاثة»
ودع ابنة بكو الثمام، ولكز حصانه مسرعاً ليطوي الارض طياً
وكان ينظر من أمامه الى المنازل
ويقول مع نفسه «عجباً، اين المنزل الذي تسكنه زين؟»

* * *

وصل مم الى بوابة مدينة جزيرة بوتان
ونسي مشورة ابنة بكو الثمام
عند مدخل المدينة رأى رجلا شيخا بلغ الخامسة والسبعين

نهض ومد يده الى عرف الاشهب العداء
لف العرف حول يديه قويا ، مرة او اثنتين وقال
«ايها الضيف ، انت غريب ، تفضل وانزل في دار عمك ،
وحل ضيفا عليّ»
قال مم «عمر الله بيتك بصاحبه واولاده
كرمك هذا مقبول وعلى العين
مضيفي هو دار حسن وجكو وقره تازين ، الجلاليين الثلاثة» ،
رأى الشيخ ان مم لن يترجل ، ولن يجدي معه كلام
فمد يده الى جيبه وأخرج رسالة من الاب الشيخ والعمين
وجاء في الرسالة عندما تصل الجزيرة ،
اذهب وحل ضيفا على هذا الشيخ
انه أخ لنا ، وهو لك بمثابة العم
وكتبوا للشيخ رسالة من بضع كلمات
ان مم غريب ، ولايعرف احدا ولايعرف درباً ومكاناً فاحرص عليه ،
وليبق عندك ولايذهب الى مكان ما ولايحل ضيفا على أحد
نظر مم الى الرسالة فاذا بها مختومة بختم الاب الشيخ والعمين
فكرّ مم ، فاذا بالأمر لايصدق ؟
قال «عندما الم بي هذا الخطب ، نشر ابي المنادين في مدينته المغرب ،
فلم يجدوا من يعرف درب الجزيرة
ثم اني قد جئت على ظهر الأشهب العداء في خمسة عشر يوما
وقطعت درب نصف عام
فمن أتى بهذه الرسالة من الأب الشيخ؟
لاشك انها حيلة وتآمرة من بكو الشيطان؟
سأمضي معه ، من أجل رسالة الاب الشيخ والعمين
فان وجدت داره كعش الدجاج ،
فلن يبقى لدي آنذاك شك في ان هذا اب الفتاة ، وهو بكو النّمام
فسأطلق الحصان ليطوي الارض طيا وسأتوجه الى دار الاخوة الثلاثة ،
حسن جكو ، قره تازدين »

سار بكو قدام مي آلان
عندما اقتربا من دار بكو ، رأى مم الدخان يتصاعد من كوخ قذر ،
مثل عش الدجاج
ترك بكو عنان الحصان ، ودخل الدار ،
لكي يفرش لمم مفرشاً فلكز مم الأشهب العداء
فانطلق الحصان كالريح ، نجا مم من يد بكو المفسد الشيطان ،
ومضت هنيهة فرأى مم أسيرا ، واقفا
وقد أسند ظهره الى بوابة السوق
قال مم مع نفسه «أنا أمضي جنب قصور عديدة فلأسأل هذا الأسير ،
اين منزل الأخوة الثلاثة» فتوجه الى الاسير وحياه ،
فرد الأسير السلام بأحسن منه ونهض اجلالا لمم ،
ومد يده الى عنان الاشهب العداء
ومن عينيه انهمر الدمع كالمطر
كان يقول «اواه ، ماذا اعمل ! فلن يقدر الانسان الفقير على عمل شيْ
لو لم اكن فقيرا لانزلتك عندي ضيفا هذه الليلة
ولكفاني النظر الى قامتك الرائعة ، كقامات الحور والغلمان .»

* * *

قال مم «أراك امرءا مجنونا.. انت رجل فقير ،
فلماذا تتألم وتوجع بالهموم قلبك
ليس لديك مكان ولن تقدر على قرى الضيف ،
اذا اردت فعل شيْ حسن ينفعني
فهيا اسبقني ودلني الى دار حسن وجكو وقره تازدين»
التفت الأسير وقال «ياتعس قلبي ،
ليتك قطعت رقبتي بسكين ، وذبحتني ورميتني تحت قوائم الاشهب العداء
دون ان تقول ماقلت
فدلالة البعض على الدار في بلدتنا عار عظيم

فعليك ان تحل عليّ ضيفا في هذه الليلة
فنكشف لبعضنا ماهو مكنون في القلب»
قال مم «ياأخي ، لاتحزن لهذه المدينة ، وهي مدينة البلهاء
وعندما يأتي المرء الى حاضرة ، فلابد ان له منزلا يحل فيه ضيفا .»
عندما رأى الأسير ان مم لاينصاع لأقواله ، قال
«ياأخي ، مادمت لاتترجل في دور الفقراء والمساكين ،
وتبحث عن دور العظماء والمضائف ودور الاغنياء
فاعلم ان الفقراء غيارى في يوم الضيق اكثر من الأمراء والنبلاء
فان لم يكن لدي مسكن وسيع فأنا قادر على دلالتك على مواضع جمة ،
تعال واشرح لي صدرك ، لعلي نفعتك بقرشين ونصف قرش»
واذ رأى مم ان لاعلاج وحل لهذا الرجل الفقير ،
تحرق قلبه كمداً من أجل مم ، كأخ له من امه وابيه ،
فلم يلق له سمعا ولم يترجل ولكنه لم يبغ ان يجرحه
قال له «أخي أنا امرؤ غريب ، اياك ان تنقل كلامي لأحد
كنت ملكاً في بلادي وجئت من أجل زين الزينات ،
ابنة الامير زنكين ، اخت الامير ازين امير جزيرة بوتان»

* * *

قال الأسير «ياأخي يالهف قلبي عليك
ان ابنة اميرنا قد مرضت ، وهاهو مرضها يقارب نصف عام
منهم من قال انها مريضة ، ومنهم من قال انها مسته ريح من الجان
وقال آخرون انها جنت جنونا مطبقا مالها من علاج
طردت جواريها الاحدى والاربعين ،
وخلعت ملابسها وارتدت ثوباً عربياً
اختلف اولاد عمها حولها ، وحدث بينهم خصام عظيم
واستشاط اخ مم منهم من أجل هذا غضبا
وهو يقول : «اذا جاء تاجر غريب ، ودفع صداقها منحته زين

وأعدت الصداق الى اولاد العم واسكتّهم
قال مم «ياأخي ، ان كان هذا الأمر مما يقضى بالثراء وبدفع المال ،
فلن ير أخ زين من هو أغنى مني
قال الاسير «ماذا عندك؟ لست تبدو من أصحاب المال
انت فارس جئت وحدك ، وماوراءك قافلة كبيرة عظيمة ،
ولست قادراً على ان تحمل معك الخزائن والكنوز والدفائن
فان كنت مخدوعاً بقروش اربعة تحملها في جيبك ،
فأنت على خطأ فلن يقدر احد بالمال بلوغ دور الأكرمين»
قال مم «ياأخي ان ثروة الناس عندنا ، ليست مثل ثروتكم
انتم أهل الجزيرة، فليست الثروة بالمال. ان خرجي هذا مليءٌ بالجواهر ،
وأنا قادر على ان اشتري بها مدينة جزيرة بوتان»
قال الأسير «ان الجواهر ليست ثمينة في بلادنا
فان بعت حصانك هذا ، فهو لايثمن الا بالكنوز والدفائن»
قال مم «قلبي محترق ، روحي محترقة
انما أنا رجل غريب ، ماذا افعل بالحصان؟
فأمسك بلجام الأشهب العداء
وسر أمامي وتوجه نحو مزاد الخيل

* * *

سار الاسير امام ممى آلان ، وتوجه نحو مزاد الخيل
وأمام مقهى اخرج مم رجليه من الركاب ،
وترجل من صهوة الأشهب العداء امام جموع جلاس المقهى
أتوا بكرسي لمم ، ورنت الفناجين
نادى القهواتيون دلالا وسلموه الأشهب العداء
وادخلوا مهر البحر في مزاد الخيول
رفع الحصان رأسه ويديه واذ كان الدلال يعلو صهوته
وقف على قائمتيه الخلفيتين ، وكان صهيله كزئير الأسود

لم يبق تاجر ، الا وتجمع حوله
كل يريد اقتناءه لنفسه ويقول مع نفسه «لعلني افرح به الامراء»
اذ انهم لم يروا الى يومهم ذلك حصانا مثله في أي حظيرة
كان سرج مهر البحر ، الاشهب العداء وحليته وطاقه
صُنع كله من فضة
وحلقاته الذهبية رُصعت بالذهب والجواهر ، وبأحجار ثمينة ،
أحجار نادرة لامثيل لها حتى في الخزائن
حمل التجار اموالهم كما يحملون البيض ،
القوها في الارض في درب الأشهب العداء
ولم يكن احد منهم قادرا على ان يدفع ثمن الحلي والسرج
ولم يبق في المدينة من معجب بالخيول ، الا واتى وتجمع حول الحصان
منهم من يرغب في شراء الحصان
ومنهم من يتفرج ومنهم من اجتمعوا حول ممى آلان
يمتعون انظارهم برشاقة قامته وروعة عينيه
وصاروا يتسابقون ويتراهنون حول الحصان والفارس ،
كل يتحدث لنفسه
فمن قائل «هذا الفتى ، مثل الملاك»
ومن قائل «هو ابن الملوك على كل حال»
ومنهم من يقول ، خلق الله كثير وهذا انسان مثلنا
ماأبهاه انه يبهر الرجال
وأضحى التجار يغدون ويروحون ويقفون امام الحصان
ولم ير احد عنده مالا كافيا لشرائه
هناك تاجر كبير آخر في الجزيرة ، لايتزل للسوق كثيرا ،
بلغ من العمر الخامسة والسبعين
وكلما غضب من تجار الجزيرة ، تعالى عليهم متباهياً وهو يقول
«سأشتريكم جميعا ، مع اموالكم ودوركم واملاككم»
اجتمع التجار حوله ،
قالوا : «هالنا اليوم أمر عجيب

وجدنا حصانا اليوم في يد الدلالين ،
لم نكن قادرين على ان نشتري سرجه وحليه بمالنا
في السرج والحلي احجار جوهر ، يعادل كل منها خزائن
انه لعار لنا نحن معشر التجار مابعده من عار
فما الدنيا وملكها الا ليوم الضيق وصون الشرف
فانهض ، فإنك عندما تغضب تثير علينا الضجيج والطوفان
انت تقول «انا اشتريكم جميعا مع اموالكم ودوركم واملاككم»
عليك ان تزيل عنا هذا العار الثقيل. انهض وتعال مرة الى مزاد الخيل
ماأكثر ماجتمع الناس عليه ، المزاد اليوم كساحة عيد»
قال التاجر الكبير «بلى ، فمادمت بغير ولد ، فمالي بالنقود؟
متى مامت بقي المال للوارثين
انا سأشتري هذا الحصان واربيه بدلا من الاولاد ،
وأنظر اليه ، الى ان ازور ديار الرحيل ، ارض المقابر»

* * *

خرج ، واجال النظر في مزاد الخيل
حتى اذا وصل المزاد ، ورأى الأشهب العداء ونظر
فاذا به لم ير حصانا مثله طوال عمره
فجاء التاجر الكبير الى دلال الخيول ،
ووضع يده على عنان الاشهب العداء
قال «ايها الفتى النجيب الا تخشى الله والاصابة بالعيون
وانت تأتي بهذا الحصان الى مزاد الخيل !
انا لاادعك تزايد على الحصان ، بل دلني على صاحبه؟»
وضع الدلال يده في يد التاجر الكبير ، فنظر الى الفارس الى ممى آلان
ما ان اقترب منه ، حتى دلّ الدلال التاجر عليه ،
كان الفارس بين جموع الرجال
واذ رأى التاجر الشيخ انه فتى رائع كالبدر التمام عريض الجبهة ،

وعيناه تشعان سوادا وبياضا ويظلل حاجباه واهدابه رمانة الوجه
قيامه وقعوده كقيام الملوك وقعودهم
جاء وجلس جنب مم ، وهمس في أذنه
«ياملبكي ، ادر وجهك الى قليلا ، فأنا اريد ان اقول لك كلمتين»
فتوجه مم الى الشيخ وقال «قل ماتشاء. اهلا ومرحبا»
قال الشيخ «يابني ، الا تخشى الله والاصابة بالعيون؟
أيعرض هذا الحصان في المزاد؟
ان كنت تعرف ان بك حاجة تقضى بالنقود فاخلع الركابين مع سيرهما ،
انهما من ذهب ورصعتا بأحجار من جواهر
انهما يعادلان لك نقودا كثيرة تعادل الكنوز والخزائن
وا أسفاً على حصانك ، فلا تضعه في مثل هذا المزاد!»
قال مم «ايها الأب الشيخ وقى الله كل مسلم مما ابتليت به
غرضي من بيعي الحصان ليس من عوز للمال»
همس في اذن الشيخ وقال «ويلك لا بركة في المال
اذهب الى فناء آخر وغب عن الاعين»
أجاب التاجر مم وقال «يافتى ، بيتنا يعرف بصراف الرجال
واذ انت رجل جريح فلا قيمة للمال عندك
جراح الشباب تصيب الاكباد.
هي بمعنى حب القلوب ،
فلست استبعد ان تكون جروحك مثل هذا
ان حدث لك مثل هذا حل ضيفا على عمك هذه الليلة
فسأفتح لك باب الدكاكين والمخازن ،
ان لم تفدك فسأفتح الخزائن والكنوز ، فخذ ماتشاء من النقود
عليك ان تدل عمك بأصبعك حيث تشاء
آنذاك سأغرق ذلك المكان بالمال والذهب ،
سأزيل عنك هموم القلب ، وحتى الآن ، هذا مانعمله بمالنا
فنحن نجمعه ثم نبذله من أجل الأخيار»
قال مم «ياعماه ، من اجل المال لاتثر التهويش والضجيج والصراخ

فان مددت يدي الآن الى حقيبة الاشهب
اخرجت جوهرتين ، فآنذاك ستعرف مدى ثروة الرجال»
قال الشيخ «يا ابن اخي ، تعال وحل ضيفاً على عمك هذه الليلة
اذا رغبت في بيع الاشهب العداء
أعطيتك غدا ثمن الحصان ذهبا ونقودا
ان العمر الفائت لا يعود الى صاحبه ،
فاذا اعمل بحصان الملوك ؟
بورك فيه لصاحبه الف مرة !»
قال مم «يا عماه ، انا طوع امرك
قم ، لنذهب ، وسأحل ضيفا عليك !»

* * *

قام مم ، وركب الاشهب العداء ،
وتبع التاجر الكبير ، ومروا بزقاق فزقاقين
نظر مم ، فاذا بالتاجر الكبير يقف امام منزل ،
قال «ايها الشيخ انه الشهر السادس ،
وانا تجولت كثيراً في الدروب والمدن
ولم ار منزلا مثل هذا ، بل هناك واحد مثله في مدينة المغرب ،
وذاك هو مضيف ملك الكرد
وعندما وقع عين مم على ذلك المنزل والدار ، وكان شبيها بمقام امه وابيه ،
تذكر الام العجوز والاب الشيخ والعمين الاجلين
الذين ظلوا يائسين من عودته ،
فانحنى ، على سرج الاشهب العداء
وانهمرت الدموع من عينيه مدرارا مخضبة الرخام
نادى التاجر الشيخ مم ،
وقال له «ايها الفتى الحبيب ، خيرا ، ما البكاء الا شيمة النساء
انا لا ادري ، هل اغتربت وانقطعت عن محبة الوالدين ،
انا لا ادري ، انت صغير ، فما انت في سن التمييز
يا فتاي ، هام الرجال ، كقمم الجبال الشم ، دائم الضباب والدخان

ترجل في بيت عمك ولا تتكدر
مهما عظم بلاؤك ، فسأجد له علاجا وحلا
ومهما عظمت بليتك ، فطب نفسا
فعمك يحمل في كل لحظة قافلتين ، من أحمال القطن »

* * *

قال مم «ان قلبي جريح وملؤه كدر والم وجرحي لن يلتئم بالمال
بل يلتئم في النهاية بقتل الرجال ...»
أقوال مم هذه ابكت التاجر الشيخ
فانهمرت الدموع على وجهه كهطول امطار نيسان
قال «آه ، يا فتاي ، كان لي جرح واحد ، فجرحتني اقوالك جرحاً آخر
كنت اقول لعل امرك يقضى بالمال
ولم اكن اظن ان امرا مثل هذا ينتهي بقتل الرجال
وانا لست قادرا الآن على الكذب
ليس لي احد وانا شيخ بلغ الخامسة والسبعين
دارنا وضعت على اركان اربعة
تعال ، وترجل نشغل الليلة ونتحدث بعضنا مع البعض
وعندما يصبح الصباح ، ويحين وقت صلاة الشوافع
آنذاك سأسير معك رهطا من الغلمان والخدم
مادام امر آلامك يقضى بقتل الرجال ،
فلتكن ضيفا عند حسن وجكو وقرة تازين ، الاخوة الثلاثة
فعندما يحل رجل عندهم ضيفا
فسيفدونه بأرواحهم
سيشفون آلام المرء ، مهما كانت
نظر مم ان الجميع يقولون «لاشفاء لك من دائك
الا ان تحل ضيفا في دار الاخوة الثلاثة»
أدار برأس الاشهب العداء

* * *

خرج من دار التاجر ، ودخل في اسواق جزيرة بوتان ومزادها

نظر امام مقهى فاذا برهط من الافاقين واقفين
أدار عنان الحصان وجاءهم
قائلا: لعلي اهتدي الى قصر حسن ، جكو ، قرة تاجين ،
اذ لا أدري اين يكون
فأسأل هؤلاء الافاقين ، لعلهم يدلونني على قصرهم.
واذ رأى الافاقون فارسا قادما اليهم يشبه الملوك
نهضوا قائمين ، وغدوا يتهامسون ويتشاورون
ويقولون سنجله اجلالا عظيما
لعل قلبه يرق ، ويعطينا شيئا من المال
وقفوا جميعا بأدب جم ، مثل عساكر الدولة وقفوا مصطفين
كان هناك واحد ، اكثر عقلا من زملائه
قد كانت اسرته قبلا ، اسرة معروفة وبيت عز
تقدم من مم وبسط يده اليمنى في الارض ثم رفعها
الى رأسه وعينيه
وأمسك بيده الاخرى ، عنان الاشهب العداء
قال «ترجل يا اخانا الكبير ، على الرحب والسعة»
وحيا مم من فوق الاشهب معشر الافاقين
فردوا السلام بأدب جم
قال مم «دلوني على قصر حسن وجكو وقره تازين»
بكى معشر الافاقين اذ سمعوا اقوال مم هذه
وقالوا «ياليتك قتلتنا جميعا وسفكت دماءنا
أمام حوافر حصانك الاشهب العداء
ولم تقل دلوني على قصر هؤلاء الاخوة الثلاثة»
قال مم للافاقين «اراني لم اسئ اليكم
كي تنهال الدموع من اعينكم»
قالوا «يا اخانا الكبير ، نحن نبكي جميعا ،
لأن الدلالة على المنازل في عاداتنا عيب كبير
لدينا بيوت مها ضؤلت، هلا تفضلت وحللت فيها ضيفا علينا ليلة واحدة

آلام الفقر والعوز ، انهكت قلوبنا وأدمته
فلنكشف الليلة بعضنا لبعض ما هو مكنون في القلب
وغدا صباحا ، ندلك على قصر الاسود الثلاثة
فاذا لم تحل علينا ضيفا فسنخجل من ان نواجه رفاقنا
او نرتاد المقاهي
سيقول الناس: تبا لكم ، انكم لم ترحبوا بضيف
هو كالملوك وتركتموه يمر امامكم ويحل ضيفا في مكان آخر
انهم يقولون لقد فقدتم الحياء والشرف والوجدان ؟»
قال مم «أيها الاخوة ، علي ان اقول شيئا ،
ولا اريد ان امس قلوبكم بشيء
كأني بمدينتكم ، مدينة البلهاء والمجانين
ترى هل يجوز للمرء ان يذهب الى دار من يصادفه
لاول مرة ، عندما يدخل مدينة ؟
بلائي عظيم ولن يلقى علاجا الا في دار الاخوة الثلاثة
ارجو منكم ان تسرعوا
ان كنتم تريدون المنّ عليّ ،
فليمسك احدكم عنان حصاني ويوصلني الى دار الجلاليين»

* * *

رأى الافاقون ان مم لا يترجل
وقال أعقلهم لرفاقه
«مادام الفتى لا يترجل وبلاؤه عظيم ولا يعالج على ايدينا نحن الفقراء
فامكثوا هنا ، وسأسير معه حتى اقترب من منزل الاخوة الثلاثة
وسأشير اليه باصبعي من بعيد»
ومد يده الى عنان الاشهب العداء
وسار امام مم ، ودخلوا في المحلات والاسواق والازقة
واقترب من قصر الامير ازين ، امير جزيرة بوتان

قال الافاق «هذا قصر اميرنا ، ابن عم الاخوة الثلاثة
في هذا القصر تقيم شقيقة الاميرة زين ، زين الزينات
فان احببت فانظر الى الشبابيك والنوافذ ،
وبعده يأتي قصر حسن ، جكو ، قره تاجين ، مقام الاسود
ومنزل الاخوة الثلاثة ليس بقصر منيف عظيم
اذ ان هؤلاء الرجال الثلاثة لا يفكرون الا بقتل الرجال ،
ولا يأبهون بتشييد القصور والمنازل
اما منزل الامير ازين ، فهو كقلعة
ويود المرء ان ينظر اليه ساعات طويلة»
رأى مم شبيها لقصره في مدينة المغرب تماما ،
فتذكر لحظة ترك فيها مدينة المغرب
اذ بكت له الأم العجوز ، وبكى الاب والعمان الأجلان
وانهمرت على وجوههم سيول الدموع
قال له الافاق «يا اخي ، لم تبكي وتنهمر من عينيك الدموع كالمطر
انا انسان عليل مثلك وعلتي عظيمة
ان لم تكاشفني بعلتك ، فلن ادعك تذهب الى اي مكان
ليكشف بعضنا الم القلوب لبعض»
قال مم «اترك يا عزيزي رأس الاشهب العداء
فعلتي علة عظيمة
وليس لها علاج ودواء
ولا يباح بها لاحد
الآن اذ نمر امام هذه القصور
اقول ، كان لي قصر ، احسن منه اضعافا
واذ مررنا بذلك القصر والمنزل ، تذكرت قصري
فانهمرت الدموع من عيني كالامطار
اترك رأس الحصان ، انا سأذهب الى الدار الآتية
الى دار الاخوة الثلاثة
لعلي اجد لعلتي علاجا وحلا»

ترك الافاق رأس الحصان ، وقال «اذهب يا اخانا الكبير
على العين ووداعا»
مد مم يده الى جيبه
واخرج ثلاثة احجار من جوهر واعطاه اياها وقال
«اخي هذه لك ولرفاقك
اصرفوها لكم في السوق والمقاهي
اغفروا لاخيكم التقصير ، وذروا التقصير تحت الاقدام
فاذا بقيت في دار حسن وجكو وقره تاجين ، الاسود الثلاثة
فتعالوا اليّ مع معشر الرفاق أضاعف عطاءكم عشر مرات
وأجرِ لكم عطاءا كما ينال جنود الحكومة رواتب»
بسط الرجل يده على الارض ثم رفعه الى رأسه وعينيه
وقال «اذهب ، يجدِ الله لعلتك علاجا ودواء»

* * *

صار مم يقتاد حصانه خببا
ودخل ازقة مدينة جزيرة بوتان ودروبها
وخرج الناس ، نساءا ورجالا صغارا وكبارا ينظرون اليه
تجمهر الخارجون الى الدروب والازقة ،
حتى وقع الصغار والعجائز تحت الاقدام
وصعدت بنات الامراء والنبلاء الى سطوح القصور والمنازل ،
لينظرن الى وسامة مم وروعته
وكن يقلن لبعضهن «انظرن بحق الله جيدا ، اي شاب وسيم رائع هذا !
قاد مم حصانه بين زحمة الناس ، وبلغ عتبة دار الجلاليين ،
فرأى الاخوة الثلاثة حاضرين وفوق رؤوسهم مشابك السلاح
ترجل مم وحيا الاخوة الثلاثة
وتقدم الاخوة الثلاثة الى الضيف الغريب ، ووقفوا امامه
وتنبهوا الى مشية هذا الضيف
الذي لا يشبه احدا من الناس بل يشبه الملوك
ينظر المرء اليه ، فيراه منحدرا من بيت عظيم ابا وجدا

وبوسامته ، لا تجد له نظيرا بين الرجال
أما حصانه ، فهو ملك الخيول
يهاب المرء ان ينظر اليه ، اذ يخشى الاصابة بالعيون
ركض حسن ، وتقدم الى الضيف ، واحتضنه وطوقه بذراعيه
حمله ، دون ان تطأ قدماه الارض ، حمله الى الصدر ،
هرع جكو ، ليأتي بالافرشة البورصية والوسائد
وصرخ قره تاجين في الغلمان والسائسين
فجاءوا ليأخذوا الاشهب العداء الى معلف الخيول وحظيرتها
كم مضى على الحصان. انه قد تعب من المسير
اذ سار من مدينة المغرب الى مدينة جزيرة بوتان
فطوى في خمسة عشر يوما طريق نصف عام

* * *

جلس ممى آلان على زوجين من الفرش والسجاد
وذاع خبر قدومه بين الناس في جزيرة بوتان
فكانوا يقولون هيا ، لنذهب الى دار حسن وجكو وقره تاجين
اذ يقال ان ملك الكرد قد قدم الى هناك
امضوا لننظر الى هذا الضيف العظيم
يقولون انه انسان وسيم ، يشبه الملائكة
انه رجل جميل ورشيق ليس له مثيل في اي مكان
فما اكثر مااجتمع الناس على سطوح المنازل ومداخل النوافذ ،
يريدون مشاهدة مم من بعيد
لنبق مم هنا ، ولنذهب نحن الى حضرة زين ،
سيدة الجواري الاحدى والاربعين

* * *

مضت ستة اشهر على زين ،
لم يأت خبر من طرف مم ، من مدينة المغرب
فكرت زين طويلا في حلم الليل
قالت ياويلتاه ، فمن اجل حلم ليلة غدوت كالبلهاوات

فقد خلعت ملابسي ، وكسوت جسدي بثوب عربي
وحبست نفسي بين جدران اربعة
وكل هذا من اجل ممي آلان ، ملك مدينة المغرب
ترى هل اخطر بباله ؟ لعله قد اعجب بفتاة من بنات عظماء المغرب
لعلي لااخطر بباله حتى في الاحلام
ماخطبي ، ان خطبي هو جكو ، جزار الرجال
ووحدي وضعت نفسي في مهب الاوهام ،
انا لم ار مم ، ملك الكرد اكثر من ساعة
قد لايكون رجلاً شهماً مسلكا وعملا ، ولايضاهي عمله جماله
اذا لم يكن هنا ، فلابد انه خرج بحثا عن خبر
الا يدري اني امرأة ، والمرأة لاتبحث عن الرجال في البلدان
بل جرت عادة الناس بأن يبحث الرجال عن النساء
فلو كان صادقا معي لما تأخر لحظة ،
بل ارسل رسوله الى هذه الديار .
يبدو ان شيئا من هذا لم يخطر بباله وقلبه
اذن فايلام القلب من اجله ، ليس بشيمة العاقلات

* * *

في غمرة هذه الافكار حطمت زين قيود الهموم
وان كان فؤادها مفعما بحب مم آلان الجارف ،
لكنها كانت تحاول ان تتناساه
نهضت ، الى المرآة ، ونظرت الى وجهها مكرهة
كانت بين الجواري الاحدى والاربعين واحدة تسمى (ريحان)
ترسلها زين دوما الى نبع القسطل ، نبع الورود
نادت زين قائلة ويحك ياريحان
هاقد مضت ستة اشهر واننتن لاتطرقن بابي
اذهبي مسرعة ونفذي لي مهمتين

فوجئت ريحان بأن صوت زين يطرق سمعها ، اذ انقطع منذ ستة اشهر
ماسرع ماركضت ، وكأن الروح والحياة تفارقانها
وقفت جنب سيدتها ، زين الزينات
قالت شكرا لكرم الخالق ،
مضت ستة اشهر وها انت تناديني اليوم وتتحدثين معي
قولي ، ياسيدتي ، ماذا تأمرين ؟
قالت زين «مرت ستة اشهر
وانا لم اشرب ماء نبع القسطل ، نبع الورود
اسرعي وهاتيني دلوا او دلوين
هبت ريحان تحمل دلوين
وهرعت ، الى النبع وملأته من ماء نبع الورود ،
ولما عادت ، مرت في دربها امام دار حسن وجكو وقره تازين
الاخوة الثلاثة
فرأت ان اهل الجزيرة قد تجمهروا حول القصر
منهم من صعد السطوح ،
ووقفت الفتيات والنساء على حافات النوافذ
كانت الجارية تعرف عادات الاخوة الثلاثة ،
فقالت «على اي حال ، هناك من قتل رجالا ولاذ بالدار ،
او في الامر خطف نساء
هؤلاء الاخوة الثلاثة ، قلاع من فولاذ ،
ومن بينهم يحسم امر دم الرجال ومهر النساء .»
وانشغلت ريحان بمعرفة جلية الامر ،
قالت اذا ذهبت ورويت الامر لزين ، فانها تقول
الم تكوني قادرة على ان تسألي احدا ؟
اذن فلأسال الآن بعضهم
حتى اخبر زين بجلية الامر ، كي لاتعيدني الى هذا المكان مرة اخرى .
نظرت فاذا بغلام قادم من القصر
سألت ريحان : «ايها الاخ ،

لماذا احتشد الناس حول دار حسن وجكو وقره تاجين ؟
أقتل بعضهم الرجال ، ام في الامر خطف نساء !»
قال الغلام «لا ليس الامر بقتل رجال ، او خطف نساء
بل جاء ضيف الى دار الجلاليين الثلاثة ،
يسمونه ، ممي آلان ، ملك الكرد»
فلم نكن نعلم ان الله يمنح الرجال مثل هذا الجمال قبل ان نرى هذا الضيف
باتعسا لك انت تقولين: ان سيدتي جميلة ،
انها لاتعادل امامه قرشين
انه يرتدي زي الملوك ،
ويحمل معه حقيبة من احجار الجواهر ،
تمكنه من شراء مدينة جزيرة بوتان
قالت الجارية «الا تبا لك واحرق الله دار ابيك من سبعة مواضع
كيف يلفق المرء مثل هذه الاكاذيب !
من اين اتيت بملك الكرد هذا
وسميته ممي آلان ؟
هذا الذي تقوله لم تسمع به آذاننا
فالملوك انما ينزلون ضيوفا في بيت الامير ازين
فما لهم وبيوت الاشقياء
لم تكذب علي ؟
قل ان في الامر قتل رجال آخرين
الم يمت رجالنا وابطالنا في بوتان من قبل ،
ولم يكن احد قادرا على ان يطلب الثأر ؟

* * *

قال الغلام «مادمت لاتصدقينني فلتغدي لي شقيقة و اغدو لك شقيقا
ثم تعالى لنذهب خلف الديوان الكبير ، امام الشبابيك والنوافذ فانحني ،
ولتصعدي فوق رقبتي

ما اكثر ماكانت الجارية متلهفة ،
فسارت مع الغلام خلف الديوان ، الى النوافذ
انحنى الغلام ، وصعدت الجارية على قفاه ومدت يدها الى حافة الشباك
وتمسكت به كما تمسك عروة
ونظرت الى الجمع فاذا بواحد يجلس على الفرش
مابالغ الغلام ، بل خانه الوصف والدقة

* * *

ان لوسامة الرجال تأثيرا عجيبا عظيما على النساء
فعندما رأت ممي آلان ،
طار صوابها ، ورفعت رجليها من على رقبة الغلام ،
وافلت الغلام وعاد الى البيت ومكث ساعة او ساعتين
فلما عاد ، فاذا بالجارية ماتزال على حافة الشباك
جاء الى المتكأ ، ومد يديه الى رجليها ،

* * *

قال «انزلي ، ياالختاه من هنا ، فقد اخجلتنا كثيرا»
نزلت الجارية ، فلم تر خفيها في رجليها ،
ونظرت حولها فاذا بالدلوين ضائعان
توجهت الى البيت حافية وعادت الى زين نادمة
عندما رأت زين الجارية قادمة وهي حافية القدمين ،
سألت عن الدلوين فقالت «ايتها الملعونة اين ماء قسطل نبع الورود
انت قد عدت وحيدة ، مثل المجانين والبلهاء
هاقد مرت ستة اشهر ، ولم تخرجي واليوم تمكنت من الخروج ،
فهرعت الى الاصدقاء والاحباب .»
قالت الجارية: «اماناً سيدتي ، اسمحي لي ان انطق بكلمتين ،

فأن رأيت عندي تقصيرا ، فافعلي ما تشائين
سمعا وطاعة»
قالت زين «قولي ، واكذبي كيفما تشائين
انما الكذب كلام الجواري وسيوفهن ومجنهن
هن يذهبن ويتجولن ويفعلن سوءا ،
ثم يعدن ويتسجن الاكاذيب امام سيداتهن»
استرسلت الجارية في الكلام ،
وحدثتها بكل ماجرى عدا كحبات المسبحة
ثم قالت «لو تركني الناس ، لهلكت انا في ذلك المكان»
فهمت زين من اقوال الجارية ان ممي آلان قد قدم
وان الجارية صادقة وماهي بكاذبة
فهاج قلبها كالبحر ، منذ اللحظة
وتقاذفت بها امواج الفكر من قمة رأسها الى اخمص قدميها
وثارت الشجون من جديد
ولكنها لم تكن كتلك الشجون ،
شجون اليأس من قدوم مم ، ملك الكرد
الآن قد جاء مم ، ووصل مدينتهم
كانت تريد الخروج بذريعة ما ،
والذهاب الى نبع القسطل ، الى نبع الورود

* * *

قالت زين: «انهضي ، واجلبي لي الجواري الاحدى والاربعين
وليخلعن ملابس السواد
ويلبسن لباس الاعياد والافراح
ليضعن في جيدهن سود التمائم والسلاسل
وليطوقن خواصرهن بحلقات وصنارات ذهب
اسرعن ، لاتبطئن ، اريدكن معي قبل ان يمضي نصف ساعة» .

هرعت ريحان ، وهي ترقص على قدميها
ذهبت ضاحكة ، فرحة مستبشرة الى الجواري
قالت لهن «يامعشر الجواري ، بشراكن جميعا
اذ خرجت سيدتنا من مقبع الحزن والاوهام
وهي تقول «ليلبسن ملابس الاعياد»
وقالت اشياء اخرى كثيرة ولكنني نسيتها من شدة الفرح،
هيا ، انهضن واسرعن اليها واسمعن ماتأمر»

* * *

هبت احدى واربعون جارية ، وذهبن للمنزل عند زين ،
ووقفن امامها وقلن «ياسيدتنا ، قولي ، ماالامر وما العمل ؟»
قالت زين «لقد كذبت ريحان اليوم كذبة ، لايمكن ان يصدقها المرء
انا اريد النزول بنفسي الى نبع القسطل لاتبين هذه الكذبة
واذا قال آخرون ان ملك المغرب قد جاء فسأصفح عن ريحان ،
واذا كانت هذه كذبة ، فأنا اعلم بما انزل عليها من بلية
اذهبن واجمعن لي بنات الامراء والنبلاء والعظماء ،
ولاتمكثن هناك ؟ بل ارجعن ،
فها قد مضى عليّ نصف عام ولم اخرج لتجوال وتنزه
انا ارغب في الذهاب الى نبع القسطل ، لاشرب الماء من نبع الورود ،
ولاتجول قليلا في المروج والمرابع
انتشرت احدى واربعون جارية على دور الامراء والنبلاء والعظماء ،
وكن يهيئن لخروج زين

* * *

لنعد الى ضيف الاخوة الثلاثة ، حسن ، جكو وقره تاجين
اجتمع اهل الجزيرة حول مم
فلم يدعوا لمم راحة وسكونا
ولم يكن لدى حسن واخوبه فرصة ليتحدثوا بكلمتين مع ضيفهم ،

وكان قلب عم يعتصر ضجرا من رواحهم ومجيئهم ،
ولم يكن ينقطع الضيوف عند حسن في الدار ،
فالغرفة تعج نهارا بالتجار ،
وكان دور العظماء والامراء يأتي في الليل
ويأتي عند الظهيرة اولاد النبلاء والأكابر
وكان عم يقول مع نفسه ياليت هؤلاء الناس يدعونني وحدي
ويعود كل واحد الى داره ، وأبقى مع الاخوة الثلاثة ،
او يأتي حسن ويجلس جنبي مرة وابثه هموم القلب
فزين هي ابنة عم هؤلاء الثلاثة ،
وهي خطيبة جكو ، المدفوعة الصداق منذ سنين
فسوف يقتلونني ، او يجدون لمصيبتي وجروحي حلا
فاذا لم يعرف المرء كنه عمله ، ظل حائرا
وتشاور حسن وجكو وقره تاجين مع بعضهم في امر الضيف
قالوا «هاقد جاءنا الضيف منذ ايام ثلاثة ، وهذا يومه الرابع
ولم نجد فرصة كي نسأله عن سبب قدومه لهذه الديار
ولكن سلوكه يدل عليه ، انه رجل عظيم ، ذو محتد
فلن يحل ضيف مثله علينا مابقينا احياء
ولن يخرج امرؤ مثله من بلاده ، الا لبغية ذات شأن
وايا كان ماخرج ضيفنا من اجله ،
فعلينا ان نقضيه له على الرحب والسعة
فلن تبقى الدنيا لاحد
الناس يموتون ، لن يخلدهم الا العمل والاسم
اتفق الاخوة الثلاثة على هذا وعقدوا العزم عليه
جاء الاخوان ليجتمعا ، بالضيف ،
جاءا الى ممي آلان وذهب حسن الى طرف الدار ، عند زوجته ستي
وقال «هلا اخليت غرفة في قصرك وفرشت فيها سجاجيد العجم
ووضعت الارائك ورششت قارورة او اثنتين من العطر
على الفرش والوسائد ، يبدو ان ضيفنا رجل عظيم وضيف عزيز

فليس في مقدورنا ان نتحدث اليه بكلمتين في غرفتي
اريد ان آتي به الى هنا ، لارى مامصابه ، ولنر ماهو علاجه ؟
عاد حسن الى غرفته ، وفرشت ستي منزلا بالسجاجيد
جاء حسن الى الغرفة وجلس جنب ضيفه ممي آلان ،
قال أخي ، لقد رأيت غرفة أخيك ،
فأرى أن آخذك برهة الى طرف أختك ستي في جناح النساء
نهض مم ، وسار قدام حسن ، ومضيا الى جهة الحرم كأخوين
وبعد أن جلسا ونظرا لحظة الى الأسلحة ،
توجه حسن الى مم ومهد للحديث والكلام
قال «أخي ، حق الضيف عندنا نحن الكرد ثلاثة أيام ،
وبعد أيام ثلاثة ، سيغدو الضيف رب منزل هنا مثلنا
وها قد انقضى عليك ثلاثة أيام ، وهذا هو اليوم الرابع
ولم نكن نتمكن من ان نصلك من الزحام ، لنعرف ما مصابك وما العلاج
وها نحن نتشاور كأخوة. قل ماتشاء ، فلم نتنكر للاخيار مرة
نحن نأمل من الله ان لايخجلنا نحن الأخوة الثلاثة منك »

* * *

ومم الذي كان يتمنى الى هذا الحين
أن يأتي حسن ويجلس جنبه هنيهتين !
ها هو يرى الآن حسنا بجنبه وهما يجلسان ركبة الى ركبة
رفع رأسه ليشرح لحسن هموم قلبه وآلامه
لم يكن لسانه يتحرك وجبينه يقطر عرقاً خجلاً واستحياءاً
أوشك مرات أن ينطق بما لديه ، لولا خانته الجرأة فأطبق شفتيه
غدا أبكم ، لاينبس بكلمة ، كحصاة تقع في قعر البئر ،
رأى حسن أن مم لايشرح همه استحياءاً ،
قال «ياماليكي ، مادمت لم تحل ضيفاً بدار اللصوص ،
وقبلت بدارنا وجئتنا نحن الأخوة الثلاثة ،

فقد غدونا منذ اللحظة أربعة بعد أن كنا ثلاثة
أنا حسن أجن بضيفي
وأغدو من أجله قلعة من فولاذ ، وباباً من حديد
وعندما يحجم ضيف مثلك أمامي عن النطق ،
أحمله على النطق بضربة واحدة وأزيل مافي قلبه من هم
ومادمت قد حللت ضيفاً عليّ ، فسأفنى من أجلك ، أنا وأخواى
فما اردته يامم من طلب سأليبه في ساعة واحدة في رابعة النهار ،
وعلى مرآى ومسمع من حكومة الجزيرة

* * *

قال مم « ياأخي ، إن قلبي متحطم بالآلام ، مثخن بالجراح
من قلبي تخرج نيران أتن سبعة
ومن رأسي تتعالى النار والدخان
عندما أريد أن أبث همومي لاتقوى شفتاي على الكلام استحياءاً
أنظر أمامي ، فأجد رهبتك كرهبة الأسود
ومن أجل هذا ، لا أقوى على تفجير جروحي والنطق بكلمتين
أنا أخشى أن أقول ولايكون لمصابي أي علاج ودواء
واذ ذاك سينشر النبأ عند أهل جزيرة بوتان ، كباراً وصغاراً
ويحق الموت آنذاك ، ولكن ما أبعد الموت عن المنال»
قال حسن : « ان كان أمرك يقضي بالمال ، فأنا أخشى من ذلك ،
فأهلنا في الجزيرة قد غدوا كالأعداء لنا في ما نحن فيه
أحسب أنهم قالوا لك: هؤلاء لصوص ، ولايمكن ذكر المال عندهم
فلا تأبه بما يقال في هذا الأمر. اني أخوك حسن ،
أنا من الجنون بحيث لو أردت مالاً لنهضت الآن ،
ووصلت الى جكو وقرة تاجين ، ولبست الدرع وشددت السلاح ،
ودخلت سوق مدينة الجزيرة ، هناك تجار كثار ،
ولوضعت قدمي على أبواب خزائنهم ، وحطمت أبواب تلك الخزائن ،

واخرجت من الذهب مايقوى الأشهب العداء على حمله
ووضعته في حقيبة أخي ، وشددتها على ظهر حصانك ،
ومسحت بذلك جروح قلب أخي
وان كنت في شك في أمر آخر فأفصح ، فسألبيه قبل أن نصبح»
قال م: « أخي ، ياحر قلبي ، لو كان أمري في مال ،
لما تركت بلادي البعيدة ، مدينة المغرب ،
ولماتركت أمي العجوز ، وأبي الشيخ والعمين الاجلين ،
ولما تركتهم في أسى
ليس حسناً أن يتحدث المرء عند الاصدقاء عن المال ،
أنا لاأريد أن أحدث اخوتي عن المال
ولايحتاج القول الى شاهد
فلتتكرم وتفتح الدولاب مرة ،
ولتنظر الى مافي حقيبة الاشهب العداء
فأنا في سفري هذا ، حملت من أحجار الجواهر
مالاتجد أمثالها في أي من الخزائن .»
ما ان مد يده الى جيبه ، حتى أخرج في الحال ماستين مثل بيض الاوز
قال «الآن ، أقدر أن اشتري الجزيرة بهاتين الماستين
فصفحاً ياأخي عن التقصير فأنا أرشدتك
الى أن قدومي ليس من أجل المال »

* * *

قال حسن «أنا حسن ، ولست مجنوناً ،
لقد قضيت عمري في المدارس ، وأسيل قلمي
الضيف عندي عزيز ، ولن أؤخر له عملا
كلامي هو في كلمتين ، وها أني قد نطقت بهما ،
ولا أقدر أن أنهي الكلام
لقد أقسمت لك أني سأقضي أمرك باختصار وبالسيف البتار .

ان لم تصدق ، فسأنزع الحمائل من عنقي
وأقسمت بها أمامك الف مرة
ان لم تصدق ، فسأحرم على نفسي الرقاد في فراش سنى ،
مالم أنفذ أنا أمر مليكى
قال عم :« أخي ، ان قلبي مشحن بالجراح والآلام
علتي عظيمة وجرحي كبير.
وقى الله الأنام مما أصبت به إن قصصت عليك قصتي ،
فلن يكفي لسردها يومان مما يجول فيه العلماء وتصول فيه الأقلام
والدرب الشاق هو درب الرجال والابطال ،
عندما أصيب أخوك بهذا الجرح الثقيل ،
كانت مدينة المغرب كلها أمامي ،
ولم يجدوا لي علاجاً ودواء
منذ أن امتطيت صهوة الاشهب العداء من بيتي ،
وفي جيبي دفتر كنت أدون فيه مسيرتي
ومنذ أن حللت ضيفاً عليك ، مضت ستة أشهر
لم أوقف خلال هذه المدة حصاني عند نبع ،
ولم يقتت على شيء ، ولم يضع أحد في فمه علفاً
أما عن العطش فقد قنع باجترار اللعاب
والآن قد توقف عند منزلكم ولا يقوى على الوقوف ،
وان حدثتك عن كل شيء ، طال الامر ،
انه كالقصص والحكايات ، ومهما أطلنا عنه الحديث فلن نبلغ النهاية
أنا جئت اليك والى أخويك لاتذاً بكم»

* * *

قال حسن « ياأخي ، أيها الضيف ، أعاقل أنا أم مجنون
ها أنت تتحدث منذ ساعتين ، وأنا لم أفهم شيئاً من كلامك
ان كنت تخاف حكومة الجزيرة فسأنهض الآن ، واتحرك في الدوائر ،

وأجمع كل ما للمحكومين من اوراق
وسأضعها فوق بعضها وأشعل ناراً تحتها وسأحرقها
وصفوة القول سأنقذك جبراً وبحد السيف .
أتريد أن أنادي الآن أخوي وألبس الدروع وأشمر عن ساعد الجد ،
وأجول في خمسة وعشرين من أحياء مدينة الجزيرة ،؟
فعليك أن تهدأ وتطمئن قلبك فأنا أهز أسس مدينة الجزيرة
وسأجد لعلتك دواءً وعلاجاً

* * *

ياأخي قلبي مكدر وموجع أياك أن تنسى ماحدثتك به
لقد كنا للآن ثلاثة أخوة واليوم أصبحنا أربعة
لاتهتم بآلامك ، أخوتي ليست بأخوة رعاة وقولي ليس بقول الاطفال
أنا لااريد خدع أحد بالكلام المعسول ،
وليس من عادتي اللف والدوران
وأخوتي متينة ، هي كحلقات القيود ، كالحديد
فحدثني عن علتك ، وسأعالجها الآن
ولن أجعل من الساعة ساعتين .»

* * *

قال م « أخي أنا عاقل ، ولست مجنونا
أأترك دوائري ومضائني البعيدة
وأطأ بحوافر حصاني الصخور والدروب نصف عام
أنا أخشى أن أنقاد لجرح في أعماقي وأفجره ،
وأن أسيل نهراً أو اثنين من الدم
وأصل كرها الى جزيرة بوتان ومنزل اخوتي الثلاثة
وألطخ به الاصدقاء ،

وان أجمع بعد ذلك رعاع جزيرة بوتان كلهم ،
أخش أن أعجز عن مسح هذه اللطخة وأندم أو يعتريني الخجل
أنا الوذ بك وبأخويك وأربط مصيري بكم .»

* * *

قال حسن «أخي ، واحر قلبي لقد وضعت عبئا على عاتقي ،
لم يضعه الله على عاتق أحد
الوذ بك ، ياأخي فهيا قل لي، فبأي قسم تؤمن ؟
سأقسم لك ، بما في الدنيا من قسم عظيم بالكتب الأربعة ،
إن لم تصدق فسأحلف بطلاق النساء
أن أعالج علتك مهما كانت ولن أطيل فيه يومين »

* *

قال مم «ياحسن ليس أخوك بمجنون ،
من يرد رفع حملي فليعمل وليسرع
واذا كان لديه رجال فأينما كانوا فليأتوا الآن ،
وأمام عيني فليلبسوا الدرع الداودي وليشدوا صدرة الدرع
هناك حي في هذه المدينة سأشير عليه بأصبعي فليطوقوا هذا الحي
بلغ مم هذا الحد ثم حبس الكلام بين شفتيه وقال
«مرة أخرى ، لاأظن أن عبئي سيزاح .
تعسا لي ولأبي
حملي مثل جبل جودي لن يقدر أحد على ازاحته من الارض
أن عبء رجل غريب مثلي ، لن يقدر أن يزيحه غير الله برحمته وشفقته»
قال حسن «عندما يقع حمل على المرء يطرق المرء باب الجمال
حقاً قد جئت الى باب الجمال
أنت تعرف أننا نحن الاخوة الثلاثة ، من جمالي الموصل

أنا الاخ الكبير ، عندما يقع عبء على أحد سأحمل عنه الجبل
أما اليوم فان حملك على عواتقنا نحن الثلاثة
نحن سنحمل في كل آن أحمالنا برابيه جبولي وزناً وكيلا
ومهما ثقل حملك فسيزول قبل الظهيرة
لن تمكث ساعة ولن تغدو الساعة ساعتين ..»
نهض هم من الأرض عفو الخاطر ، وبكى وقبل يد حسن
قال «أنا الوذ بك وباخويك ، انما أنا رجل غريب ،
وما كل شيء يقال ، ويدرك المرء بعقله خواتيم الأمور
كأس من ماء عين القسطل شفاء ودواء لألمي وجروحي

* * *

قال حسن «أنا حسن أخص الناس ،
وسأخرج مافي أعماقهم من حسن وسيء
دعني أذهب الى جكو وقرة تاجين .
سنغني أنفسنا نحن الثلاثة من أجلك ونسفك دماءنا
وفي ساعة واحدة ، سنلبي طلب ضيفنا ونقضي حاجته.»

* * *

وخرج حسن وذهب الى أخوته
جلس هم في مكانه ، وظل حائرا مدهوشاً
كان يقول في نفسه «لاادري هل فهم حسن مافي قلبي من آلام؟
أن لم أسمها له ، خشيت أن يسيء الفهم
ياليتني قد حددت له مافي القلب من جرح
أو قلت له: إن من تهت في البراري من أجلها
هي أبنة عمكم ، زين الزينات
إن لم يروا لدائي علاجاً قتلوني ونجوت من الألم والجراح
عندما انصرف حسن عنهم جاء الى الأخوين للتو

قال «يا أخوتي ، أنا فهمت مصاب ضيفنا
فقد ترك بلاده من أجل عشق ما
وجاء الى هذه الديار فما مصابه في النقد والمال
انه الحب وعشق القلوب. تعالوا نر لدائه علاجا ودواءً
يا اخوتي لقد اقسمت له بالكتب الاربعة وحلفت بطلاق النساء
لأجدنّ لعلته علاجا ايا كان، فالقول يخرج من افواه الرجال
تعالوا لنحتمل الأمر ولنعد له معاً كما تنقاد الثيران في الحراثة تحت النير
متساوين في السراء والضراء
علينا أن نودع ملك الكرد من دارنا مرفوعي الهام
لكيلا يداس عهد أخيكم تحت الاقدام ،
ولكيلا يشمت بنا الاعداء ،
أن ملك الكرد لايأتي دارنا دوما ،
ولايحل علينا ضيفا بعد أن جاء الى دارنا ممي آلان
فكلما دخلت الاسواق وجدت أن الحديث يدور حولنا نحن الاخوة الثلاثة
أنا أرى بعيني وأسمع بأذني ،
أن من لايعادلون قرشين ونصف قرش يقولون
فليقل هذا الشاب لنفسه ، أنا أعجبت بدار حللت فيها ضيفاً
هناك من يقول م غريب ، ولايعرف طريقه
وعينا الانسان الغريب هما كعيني الاعمى محجوبتان بستار الجهل
الآن سينجز الأخوة الثلاثة أمر ملك الكرد
اسرعوا رغما عن هؤلاء أنا أخوكم الكبير وفي منزلة أبيكم
ولاتحطوا من شأن كلامي
قسموا احياء المدينة الخمسة والعشرين بيننا نحن الأخوة الثلاثة
لتكن الاحياء التي تملك اسلحة قوية وفيها رجال أبطال من نصيبي
وان كنتم تحسبون لحكومة الجزيرة حساباً
فدعوا الأمر ، كما كان على عاتق أخيكم
والا فسنضع من في السوق من فرسان ومشاة جميعا تحت حكم سيوفنا
ونمزق شغاف قلوبهم

اجمعوا الفتيات والعرائس كلهن في مكان ،
ومن عصاكم منهن فخذوهن بشعورهن ولفوها بأرجلكم
واسحلوهن على الارض
اجلبوهن جميعا الى طرف الحرم وليمررن أمام قصر ستى صفاً صفاً
وليشاهدهن م فليتعرف ضيفنا بينهن على حبيبته وسنخطفها له اليوم ،
سننجز برجولة طلب ضيفنا أو نمسح أسماءنا جميعا من الحياة

* * *

حمل حسن سيفه بعد هذا وراح يفكر
وقال «يااخوتي أيلبث الرجل في الدار
ليس م معنا الآن ولكن يسير وأيانا نحن الأخوة الثلاثة
أنا أخلع من على عنقي سيور السيف والحمائل نكاية بالاعداء
وسنقسم بها لنجدنّ لعلته دواءً وعلاجاً
يا اخوتي لقد أشار ضيفنا علي باصابع يده
مد يده الى عين القسطل الى نبع الورود قال
«ان كأسا من ماء العين لي شفاء ودواء
فالانسان يعيش بالخبز وليس هو كالبهائم
ان المرء مأخوذ بأقواله وليس كالخيل بقيوده وعنانه ،
لقد فهمت أن الرجل عاشق ومعشوقته من حينا في الجزيرة نفسها
وفي بيتنا نحن الجلاليين.
أنا قلت أنا اقضي الامر ، بالسيف وبهذه الحمائل
اذ أن جرحك وعلتك هي جرح وعلة لنا نحن الجلاليين
فمن تكن فسآتي بها بالمجان ودون مقابل»
وعلى هذا مد جكو يديه الى السيف والحمائل ، قال
«ومن طرف أنا سأنجز ماأتى ضيفنا من أجله مهما كان ذلك الشيء
مادمتما أنتما الأخوين تريدان ذلك
حينئذ وضع يديه على اي فتاة ان كانت منا من بيت الجلاليين

ترى هل ادع كلام حسن ينكث ؟ لا فأنا سأتي بحبيبته قبل الظهيرة»
وجاء دور قرة تاجين أصغر الأخوة الثلاثة
مد يده الى السيف والحمائل ،
قال : « أن الأخ الصغير هو دوماً عبد وغلام للاخوة أجمع
أقسم بهذا السيف وهذه الحمائل ، الف مرة
اذا كان طلب ضيفنا في مدينة الجزيرة لأنجزنه له على الرحب والسعة
حقا أنا أتمنى كثيرا أن يغدو ضيفي واحدا من اخوتي .»

* * *

عاد حسن مرة أخرى قال «قول الرجال ، هو قسم ثلاث مرات .
قسما بهذا السيف وهذه الحمائل ان كان الأمر في مدينة الجزيرة ،
فعهد عليّ أن ينجز ولن يغدو الواحد اثنين
حتى اذا كانت في داري وكانت حبيبته زوجتي ستى أم الاطفال
لئن كانت حلالا عليّ لهذه اللحظة فستغدو من اللحظة مثل أخت لي
أنتما جالسان ايها الاخوان
اشهدا أنني سأمنحها من أعماق قلبي الى ملك المغربين »
جاء دور جكو فنهض واقفا وقال
«قسما بهذا السيف وهذه الحمائل
حتى ان كان قدوم الفتى من أجل الأركان الاربعة للمدينة لأقضينه له ،
دام في حمانا نحن الاخوة الثلاثة ،
وان جاء من أجل زين خطيبتي المدفوعة الصداق منذ اعوام ثلاثة
صاحبة الضفائر والغدائر السود، فله أن يمسك بها
فهي ان كانت خطيبة لي فستغدو منذ هذه اللحظة أختاً لي من أب وأم
هذا ما اقوله وأنتما شاهدان أيها الاخوان
فقد تنازلت عنها أنا ووهبتها ملك المغرب»

* * *

جاء دور قرة تاجين ، أصغر الاخوة قال
قسماً بهذا السيف ، وبهذه الحمائل لأحسمن الأمر
ان لم يأت لزوجة أحدكم او خطيبة آخر اتركوا الامر لي ، مهما كان
سمعا وطاعة وأنتما شاهدان أيها الاخوة

* * *

ثم أجمعوا القول وعقدوا العزم جميعا على قضاء حاجة الضيف .
قال حسن «ياأخوتي لايمكن أن ننقل ضيفنا من دار لدار
أنه يخجل ولايقول لنا مافي نفسه صراحة
ان هذا الأمير ينجز يوم العيد والفرح
عندما تزين فتيات الجزيرة انفسهن جمعاء
ويخرجن من المنازل ويجتمعن في مكان او مكانين
اذ ذاك نتمكن من أن نمسك بيد ضيفنا وندعوه للتفرج
كي يرشدنا الى حبيبته
اذ ذاك سنراها من تكون
علينا أن ندعو الفجر اليوم كي يعزفوا أمام دارنا كأيام الاعياد والاعراس
قال تاجين « لاحاجة لكل هذه الاشياء
أنا سمعت أن زين قد شفيت من المرض الوبيل
تريد أن تخرج الى نبع القسطل الى نبع الورود كي تتفرج وتتمتع بالنظر
ولاحاجة لدفوف الفجر
طريقهن أمام دارنا ومنه يسرن الى نبع الورود ،
وهم في قصر ستى فليذهب احدكم ويقف خلفه متلصصاً
ولاتدعوه يراكم فهو لايقدر بعد ذلك أن ينظر من النافذة خجلا».
قال حسن « اصعد ياجكو. ان هم يجلس في النافذة
واجلس أنت خلفه وتفقد حاله
وعندما تمر بنات الامراء والنبلاء فانظر من منهن معشوقة ضيفنا؟
دلوني عليها ، سأمد يدي الى ضفائرها وسآتي بها الى ساحة دارنا

ثم أخبر أهلها واقول لهم أني زوجت بنتكم من ممي الآن
فلتضاعفوا صداقها او اجعلوها ثلاثة أضعاف نقدا
وان لم يفعلوا فلينطحوا برؤوسهم الصخر
آنذاك سنشمر عن السواعد ونسفك دماء الرجال
انا سنأخذها بحد السيوف .»
ذهب جكو الى مخدع ستى فنظر
فاذا مم جالس امام الشباك وهو ينظر الى منزل زين
وعند الباب تجمهر معشر الفتيات
لم يكن مم يعرف أن جكو جزار الرجال يقف خلفه
وجاء حسن الى ستى وقال «كم اوتيت من كمال كرقة وجمال وحسن
البسي ماتملكينه من ملابس وتزيني بما لك من حلي وزيني نفسك
واذهبي والحقي بأختك وأنا عقدت مع ضيفنا عزم الرجال ،
فلقد جاء دارنا لعلة في قلبه
فلم نودع مرة ضيفا لنا قبل أن نزيل الغصة من قلبه
اذهبي وانضمي الى معشر الفتيات
اذا كان قد عشقك فلن أنظر اليك بعد اليوم بوصفك زوجة.
وستمسين لي مثل أخت
أن ستى تعلم طباع حسن جيداً
فلم تقو على النطق خوفا ووجلا
هرعت الى منزل الأمير أزين وانضمت الى معشر الفتيات
لبس حسن الدرع الداودي ووضع حمالة السيف البتار في عنقه
وقف عند المنزل على درب الفتيات جمعاء وليسمع جكو عندما يقول
«أخي حسن هاهي الفتاة التي أحبها مم
كي يمسك بها ويأخذها الى فناء الدار
ويخبر أهلها فاما أن يرضي ابوي الفتاة ويملأ عينيهما مالا وذهبا
أو يمد يده الى مقبض السيف ويسفح دماء الرجال

* * *

ارتدت الفتيات ملابس الاعياد والاعراس
وتزيّنّ بالوان زاهية من قمة الرأس الى أخمص القدمين
تشابكت أيديهن أربعا أربعا أوخمسا خمساً
ونزلن بهدوء الى مداخل الاسواق
جئن صفا صفاً وكن يمررن أمام نافذة مم
ثم يأتين الى حيث يقف حسن مدججا بالسلاح
حسن هذا رجل مشهور وهو جلاد الرجال
لن يحمل السلاح الا في ايام المعارك
عندما لبس الدرع الداودي وتقلد حمالة السيف البتار ،
بدا أنه يريد سفك دماء الرجال البواسل
في ذلك اليوم عندما رأت الفتيات حسن مدججاً بالسلاح
تسارعت قلوبهن وتهامسن بينهن طويلا وقلن
«يامصيبتاه! ترى أي طوفان سيحدث في مدينة الجزيرة ثانية؟
أيريد أن يقتل الرجال مرة أخرى أم يأخذ برقاب بعض الفتيات؟»
مرت صفوف الفتيات ثم جاء دور النساء
وكان حسن مايزال واقفا في مكانه كصخرة في اساس الجدران
لم يكن ينطق ببنت شفة ولم يكن له في مكانه حراك
جاءت ستي عقب الجميع فمرت ولم يبق أحد غير زين
وعندما وصلت زين موضع المضيف لم تر أحدا في طرفَ المنازل
ازاحت جزءا من الحجاب من على عينها ونظرت الى الشباك فاذا رأت
هاهو حبيب الليل ممي آلان يجلس عند النافذة
مر نصف عام وهي تئن تحت وقع آلام القلب
ولم تكن تظن أنها سترى مم في جزيرة بوتان مرة
فكم اطالت الجارية لم تكن تصدق ماتقوله
وما أن رأت مم أمامها عند النافذة ،
حتى نسيت نفسها أمام النساء والفتيات
فلت من يديها كم الحجاب وقفت في موقعها أمام ممي الآن
لم تكن بقادرة على أن تخطو خطوة

بل بقيت مثل مريضة وهنها المرض سنين

* * *

كان م يرنو الى صفوف النساء والفتيات
جاءت واحدة بعدهن جمعا ووقفت عند النافذة
ازاحت الحجاب عن عينيها ، رفعت رأسها ، ونظرت الى الشباك
ماذا رأى م ؟ هاهي زين تقف أمامه أنها صاحبة حلم الليل
طار صوابه مرة واحدة وأضحى كالمجانين
اراد أن يرمي بنفسه من النافذة على زين مثل طائر على الأكف
يرمي بنفسه بين رف الاقباج والحمائم
فتحت زين فاها لتقول لم بضع كلمات
كان جكو يرى كل هذا بأم عينيه وهو واقف خلف م ،
فلم تدعه الغيرة أن يتجلد وأن يرى من الاثنين أكثر مما رأى
سطوة الغيرة قد أنسته أنه أقسم لحسن على السيف والحمائل
فلامس بركبته ظهر م ليعلمه أن هناك امرءا في هذا المكان
عندما نظر م وراءه رأي جكو واقفا خلفه كالاسد
أحمر وجهه حياءاً وخجلاً
انسحب الى الوراء مبتعدا عن الشباك
آنذاك اصبح الامر واضحا أمام زين

* * *

فهمت زين من مكانها أن ابن العم رأى مادار بينهما
غطت وجهها بكفيها وقالت
ياويلتاه لقد غدوت سبباً لاشياء كثيرة
ومن أجل هذا ستسفك دماء الرجال
هذا خطبي منذ سنوات ثلاث

رأى كل شيء بعينيه ولاحاجة الى اقوال الشهود
ليس جكو برجل يغفر النقص والعار
اليوم سقط نجمي من السماء
أنا أسبب موت مم وسيبقى من أجله في قلبي حسرة عظيمة.
غطت وجهها بحجابها ، مشت مسرعة ولكن بخطى متثاقلة
هرولت أمام حسن ووصلت الى جمع الفتيات

* * *

جاءت زين ومرت وبلغت رفيقاتها
لم يصدر من جكو صوت
لم يقل «ياأخي ، هذه هي من أحبها ضيفنا
كان عليه حسبما اتفق مع حسن أن يقول هاهي ذي
وعندما سكت راح حسن يفكر حائرا
قال «على اي حال رضي مم بستى،
لهذا لم ينادني جكو ، ولم يقل ياأخي هذه هي حبيبة ضيفنا !
أنا الاخ الاكبر وستى هي زوجتي
وكان جكو عاجزا عن أن ينطق بمثل هذا الكلام
عليّ أن اذهب وأساله من منهن حبيبة مم»
كان حسن حائرا يفكر عندما سمع صوت جكو يأتي من الطابق العلوي
قال «ياحسن تعال الى هنا ، سأقول لك بعض الكلام»
هرع حسن الى جكو قال «اسرع ياأخي وقل من هي حبيبة مم ؟»
قال جكو «لتهدأ قلوب أهل الفتيات وآبائهن وأمهاتهن
قلب ضيفنا يعشق زين خطيبتي المدفوعة الصداق منذ سنوات ثلاث
لقد اوقعنا أنفسنا بأيدينا في بركة دم لا مخرج لنا منها ونغور فيها مرة واحدة
لقد كنت خلفه عندما مرت زين ففقد عقله مثل البلهاء
وقفت زين بضع دقائق مالم أمس ظهره بركبتي فلن يستفيق من غفوته ،
كمثل طائر دامي المخلب ذهبي الجناح اصفر الحوصلةفي موقع عال ،

يبني عشه على مرتفع ، لم يقتت على لحم الصيد في البراري ثلاثة أيام بلياليها ،
لمثل هذا كان مم يبغي أن يرمي بنفسه فوق زين
ويذهب ويسير في الدروب والازقة»
كان حسن يقول مع نفسه «ياليت قلب مم يعشق ستى ولم يقع هذا!
مازال جكو شاباً ولما يبلغ العشرين

حسرة زين في قلبه اذ لم تصبح له زوجة وربة بيت
أنا أخشى أن تكون زين قد أحبت جكو منذ الطفولة
ولاتريد ان تكون لغيره زوجاً
أنا وقفت حائلا أمام حب هذين القلبين وهذين العاشقين
لعل جكو وزين يحب بعضهما بعضا مثل ليلى ومجنون

اللذين اصبحا نجمتين وصعدا الى السماوات
أنا قلت لضيفي بكلمة واحدة «نعم» ولابد لوعد الرجال أن ينفذ»
عاد الى جكو وقال «ياأخي لاتتألم ولاتجزع هماً
كانت كلمة خرجت مرة واحدة من افواهنا نحن الثلاثة
أنا لم أكذب مرة الى يومنا هذا وقضينا حاجات الضيوف دوماً

نحن سنزوج زين من مم
سنرفع وجوهنا من تحت الاقدام
كي لايقول الناس أنهم ذئاب لبنات الناس
وكذبوا عندما عشق قلب مم ابنة عمهم
عندما نودع مم ويبلغ أمير المغرب مرامه
تمد يدك الى اي من بنات الامراء والنبلاء وكبار القوم
فلا أكن أنا حسنا أن لم ازفها اليك في يومين او ثلاث ،
ازفها لك او آتي بها الى ماوراء الحجب»

* * *

قال جكو « باحسن ياأخي واحر قلبي
كنت اقول لعله يعشق واحدة من بنات النبلاء العظماء
سنقضي له امره كرهاً ونعيده مكرماً الى بلاد المغرب

لم أكن أعرف أنه يعشق خطيبتي المدفوعة الصداق منذ ثلاث سنوات
أنا الوذ بك أن لاتطلب مني قضاء هذه الحاجة
فاذا رحلت زين فلن أقدر على رفع رأسي والنظر في وجوه الناس
وان أنا لم امنحها اياه أكن قد خالفت القسم
أما الصواب ففي أن نفكر ونجد للأمر حلاً»
فكر جكو كانسان أصم أبكم يفكر كمن يغرز ابرة في خشبة أو عمود
ولم يكن يلقى له علاجا ودواءا
فان وهب زين خطيبته المدفوعة الصداق منذ سنين ثلاث
فلن يستطيع النظر الى الناس
واذا قال لا لن أعطيها فانه يخالف قسمه لحسن أمام السيف والحمائل
ويفقد احترامه عند شقيقيه انه يخشى حسنا عدو الكذب
تارة لم يكن يرضى بترك زين وبدأ بالمكر والخداع والتحايل تارة اخرى
قال «ماافضل من أن أسل السيف في وجه حسن
فان قتلني فليهب ممي آلان ملك المغرب زين
فلا ارى بعيني أي شيء آنذاك
وان قتلت أنا حسناً فان مم سييأس من الوفاء له بالقسم
وسيمتطي حصانه ويعود الى بلاده الى مدينة المغرب
وأنا اقدر أن اقول آنذاك ان ممي آلان ملك الكرد لم ينتظر
فلو انتظر ولم يرحل لكنت وهبته خطيبتي ابنة اميو جزيرة يوتان

* * *

وكان حسن يقف منتظرا جكو ، ويفكر حائرا وكان يقول
«انه شاب ، والحسرة توجع قلبه !»
واذا به يرى جكو قائما امامه وينادبه قائلا
«حسن ، فلنتدبر الأمر . اننا نقبض خراج ارض الجزيرة مرة في العام
اننا سنجمع هذا المال في أماكن ثلاثة وندعو شخصاً
نضع في كفه أحجارا ثلاثة ونحتكم اليه
فيضع كل حجرة على مجموعة ويرضى كل منا بحصته ويأخذها
ولكنني في هذا العام سآخذ الحصص الثلاث ولن اريكم منها شيئا

وان اعترضتما جعلتكما جميعا فداء قرش واحدا ،

* * *

قال حسن جكو هذا أنا ولاتضحك علينا الاصدقاء والاعداء ،
أنت تعلم أن مدينتنا هي مدينة الفساد ،
ليس فيها من رجل شريف هو ابن أبيه
انهم يأتون متشابكي الأيدي للتفرج على الخصام
انهم لم يشمتوا بنا لحد الآن تعال أصغ اليَّ ولاتعطهم هذه الفرصة
ثم لاترفع صوتك كي لايرحل ضيفنا ممي آلان
ثم ماذا أعمل بالمال؟ مامن أحد يأخذ معه الأموال الى القبر.
صه ، حتى اجد لداء الضيف علاجا ودواءا
قال جكو «أنا احدثك عن المال
وأنت تطرح حديث الضيف بيننا نحن الاخوة
فلأنك الاخ الكبير لاتسمع قول الاخرين أبدا
وأنا سأهيم على وجهي مرة كل عام اذ ارى نفسي دون عمل
وأنت تريد أن أمد يدي الى سيف لاهور واسله واقطع رأسك به
وافصله عن الجسد او اقبض روحك

* * *

فكر حسن ماذا يعمل ؟ انه حائر ،
اذ سيشمت بهم الناس فيتفرجون عليهم
قال ايها الفتى ياجكو أنت فقدت عقلك كالشقاة والاغبياء
لاادري هل سكرت اليوم كالحفاة والسكيرين
اعد الى نفسك رشدك والا سيقطع رأسك هنا ويرمي بعيدا
رأى حسن أن اقواله لم تؤثر اثرها
بقي جكو مصرا على قوله اصرارا
نادى قرة تازين اصغر الأخوة قال ياتاج ، ياشديد المراس ،
ياصاحب السيف البتار المزين بالاحجار الكريمة
في مقدورك ان ترهب المدينة كلها بسيفك فتطلب الامان
تعال مسرعا وارتد درعك وخذ العروة وانشب الانزيم

نفذ ماأمرتك به
واذهب الى جكو ، اضرب رقبته بسيف ،
اذبحه وخضب العذار البنفسجي بالدم وأت به وارم به قدام اخيك
أنا حسن ولست كاذبا مثله ابدا
امسك بيدي اليسرى هذه عذاره واسل بيدي اليمنى الخنجر
واغرزه مرة ومرتين في قلبه الكاذب واعو عن نفسي هذا العار
ليعلم كل واحد اني افي بما اقوله

* * *

لم يجعل تازين كلمة حسن كلمتين
تدرع بدرعه الداودي وعقد الابزيم على صدره
وضع حمالة سيف لاهور في عنقه وجاء ووقف قائماً
قال «اخي حسن فديتك بحياتي ، قل لي بماذا تأمر وماالعمل؟»
احمرت عينا حسن في مآقيهما كعيني تنين
فصدره يعلو وينخفض مثل امواج البحر
ووقفت شعرات رأسه كمثل الاشواك

* * *

رأى مم أن الامر قد ساء وستسيل دماء الرجال
لم يبق في رأس جكو عقل وهو يهذي كالمجانين .
رجل له أمل في بيت ما لايريد أن يثير بينهم في البيت شجارا
قام مم ووضع يده في يد حسن
وأمسك بيده الأخرى صدرة درع جكو بطل الجلاليين .
قال «ياإخوتي ، انا الوذ بكم انتم الثلاثة ،
فلا تتخاصموا من اجلي
كي لايتفرج الناس عليكم
انا ارجو ان تلبوا نصائحي
مادام الناس لم يشعروا بشئ من خلافكم بعد
وليذهب البعض الآن الى الاصطبل
وليفكوا قيود الاشهب العداء ويطلقوه

ثم ليمسكوا بيدي ، ويصنعوني على صهوة الحصان
فيوجهوني نحو بلادي ، ويعيدوني الى بلاد المغرب ،
ليس لي مرام ، غير ان تكفوا عن سفك دماء بعضكم»

* * *

قال جكو «يامم ، ياأخي ، واحر قلبي
فيه نار تستعر ، ومن رأسي يتعالى دخان ،
هيا اطلق علي هذين الاخوين
لئر من منا الخروف ، ومن الكبش !
انه يرى بنفسه «ان جكو وحده ، ولن يقدر علينا نحن الاثنين»
انا جكو ولست مجنونا !
مثل ذئب في زمهرير الشتاء ، خائر البطن ، مخضب الفم بالدم
فان جاءني الآن مائة رجل ، فلن أترك احدا منهم ينجد الآخر
اذا كانت مدينة الجزيرة كلها معهم ، فأنا لااهتم بهم جميعا !

* * *

قال مم «جكو ، ياأخي ، اخجل ، ولاتنطق بمثل هذا الكلام
حسن هو الشقيق الاكبر ، وفي مقام الوالد
كيف تؤذي قلبي هذين الاخوين من اجل امور تافهة
لا ، انا قلت ، انا السبب ، وسأمتطي حصاني ، واهجر هذه الديار .»
قال جكو «يامم ، انا قد اصبت بالصمم ،
ولانسمع اذناي اي كلام
اذا كنت راغبا ، فتعال انت معهم ولتضاعف بقدرتك قدرة هؤلاء
ومادام الامر قد استوى على هذا الحال ،
فلن انجز عملا ما ، نكاية مني بحسن»
رأى حسن ان السيل قد بلغ الزبى( )
قال «ياجكو ، كنت اقول ، لعل في قلبي رقة فأزوج اخي ممى آلان ،
كما جرت الاعراف بين الناس كي لايشمت بنا الخصوم والاعداء .
فما دمت قد تفوهت بمثل هذا القول ،
فسأشعل في رأسك نارا عظيمة( ) .

سأرسل قره تاجين الى نبع القسطل ،
وسأبقى بنفسي هنا
لا ، انا اذهب بنفسي ، وامسك زين من ضفائرها ،
ساحلا اياها على الارض سحلا
سآتي بها الى هنا ، وازوجها امام عينيك من مم ، وسأفي بوعدي
ولن آبه ، اذا ذكرني الناس بسوء من اجل ذلك
افلا تعرفني ؟ انا حسن ، وانا اواجه شاه العجم في كل عام مرة
فله دولة كبيرة ، فاما ان تزيحني ، او اهزمها
انا لااجر رأس حصاني من بين اقرانه الافذاذ
بل اغنم الغنائم من شاه العجم
هل انت من البلادة ، قدر ان تريد مني الحنث بالعهد !»
وقف جكو ثابتا في موضعه ، وهو يسمع اقوال حسن ، كالصخر ساكنا
كانت يده على مقبض السيف وينظر الى عيني الاخوين
احمرت عيناه في مآقيها ، وصارتا جمرتي نار
كان اتون نار يتصاعد منهما قهرا
تبدلت سحنته كمن غرق في الدم
لاصوت يسمع منه ، ولايرى له حراك
نظر حسن ، فاذا بجكو ليس لامره حل ولاعلاج
ومهما تألم فالشقيق الكبير لاخيه الصغير بمثابة الاب
في طاقته القهر وفي قدرته تطمين وتفريج القلوب
قال «تعال ياجكو ، دعنا لانتعامل كوحوش الفلاة
فنحن نسمى اهل بوتان
لقد جاءنا ممي آلان ملك الكرد ، وحل علينا ضيفا
لقد وضعنا نحن الاخوة الثلاثة ايدينا فوق ايدي البعض ،
واقسمنا على السيوف والحمائل
اقسمنا على ان نلبي مناه ، ايا كان ، كرها وبحد السيف .
وعندما تبين ان حبيبته هي زين ،
خطيبتك المدفوعة الصداق منذ ثلاثة اعوام ،

جئت واتيت امر ادًّا
حنثت باليمين ، وسطرت اسمك في سجل الكاذبين
أخجلتنا على مرآى الناس ، وجلبت لنا العار والشنار
واسأت الى سمعة الرجال واسأت الى سمعة الكرد
فلم يبق لنا وجه ، نرفعه امام الناس ابدا
فكم كنت افضل الموت على ان ارى مثل فعلتك هذه ،
كنت اتمنى موتنا نحن الثلاثة .»

* * *

اثرت اقوال حسن في جكو كثيرا ، وندم على مافعله
ولوى رقبته ، كما يلوى الاطفال رقابهم
وقع السيف من يده ، وانهمرت الدموع من عينيه
قال ياحسن ، ياأخي ، اصفح عني وتغافل عما فعلته
فالشقيق الكبير هو للمرء بمنزله الام والاب
لقد اسأت اليك بأقوالي هذه ، ايما اساءة
ذلك هو الانسان ، فقد فقدت عقلي وصرت كالبلهاء
فضجر مني الضيف الكبير ممي آلان ، ملك الكرد فاغفر لي هذه المرة ،
فلن اعود الى مافعلته مرة اخرى»
قال حسن ياأخي الحبيب ، انا رجل مثلك
والناس يعلمون ، اني اكبر منكما
ولايعرفون انكما تأتمران بما تشاءان ، ولست آبه بشيْ
الا ترى ان الضيف يأتينا حينا ، وانا منهمك بخدمة الضيوف ، غافلا عنه
فأذهبا ، واعملا كما تشاءان ، فلست مثل اخوة وآباء يلقون ظهريا .»

* * *

رأى جكو ان اخاه حسنا قد تألم كثيرا ، وماله من حل وعلاج
فنهض وارتمى على يديه وقدميه
قال ياحسن ، ياأخي ، انا الوذ بك
واقسم بالقسم الاكبر والكتب الاربعة ،
لقد ندمت على مافعلته ومانطقت به فتعال وارمني تحت الاقدام ذليلا

وليبق مم في منزلة وضعته فيها مقدرا
وسأكون مثلك ومثل قره تاجين طوع امره ، وسمعا!»
قال حسن ياجكو ، انما كنت احب لمي آلان
ان ابعثه على صهوة الاشهب العداء الى نبع القسطل ، نبع الورود
كي يتفرج على فتيات جزيرة بوتان
واذا اشار الى فتاة ما ، فسنمسك بها بحد السيف ونعيدها الى دارها ،
ثم نهب الى ممي آلان اياها
الا تعسا لك ، ألديك قلب ووجدان ؟!
فضيفنا مايزال صغيرا ، في عمر الاطفال ،
خرج من بلاده ، من اجل حلم رآه في الليل ،
ترك عرشه وتاجه من اجل ذلك
وجاء ، وحل ضيفا علينا ، نحن الاخوة الثلاثة ،
فاذا لم نحقق رجاءه رغم هذا ، فبأي وجه نقابل الناس ؟
فأما ان نلبي مطمحه او لانقابل انسبا»

* * *

قال جكو «كفى ياأخي ، حتى وان اتيت الف منكر
وسفكت من الدماء ، ماسفكت
فادمت قد ندمت على مافعلت ، فان التقصير يأتي من الصغار
والصفح شيمة الكبار .
انا على ماعاهدنا عليه ، فالعهد باق ، وهو عهد الرجال»
فلما رأى حسن صدق جكو نادم من اعماقه على مافعل ،
قام من موضعه ، وجلس جنب ممي آلان ،
قال له «ايها الضيف فديتك ، نحن اخوة متضامنون !
فانس التقصير ان قصرت بحقك وأعرض عنه .»
ووضع بيديه على رأس مم عقال الموالى وشالا كسروانيا[1]
وخلع من الضيف زي الملوك
قال مم «اخي حسن ، لاتتعب نفسك ، لم تلبسني هذه الملابس»
قال حسن : «على كل حال ، قد ضجرت الآن من كثرة الكلام ،

وبقي حصانك الاشهب العداء في اصطبله اياما
لايجرؤ احد ان يقترب منه ، فهو يزأر كالاسود في قيوده
وغيرك ، لن يجرؤ احد ان يقترب منه ،
فهو يطح الرجال كالثيران المتوحشة
ثم انك لم تأت الينا كي نسجنك بدارنا بين جدران اربعة
قم ، وامتط الاشهب العداء وتجول في المعمورة شيئا
اذهب الى عين القسطل ، الى نبع الورود»
قال مم «اخي حسن ، انا رجل غريب ، لاتقحمني في كل الامور
ثم اني اخجل ان اخرج على مرآى من الناس
انا ارى عين القسطل قد غدا اليوم
متنزه الحسان الشقراوات ، والسمراوات
فقد اجتمعت فتيات عين القسطل جميعهن في عين الورود
وانا اليوم اذهب الى هناك لاسقي مهر البحر ، الاشهب العداء ،
اذا سألني احد «ايها الفتى لم جئت الى هنا ؟»
فأنا ساقع على الارض مغشيا على حياء واستحياء.»
قال حسن «لا ، لاتفكر في هذا ، فالاستحياء من شيمة النساء
على رسلك ، امتط صهوة الاشهب العداء
واسقه ماء نبع القسطل نبع الورود ،
وتطلع في فتيات جزيرة بوتان شيئا
لاتبين ، هل تعجبك قاماتهن الممشوقة

* * *

نظر حسن في مم ، وعض على شفتيه ، زمها بأسنانه ، اغمض عينيه
وابتسم من تحت شاربيه مشيرا
وقال «يامم ، ان احبيتهن ، فهن طوع يديك ،
والخجل ليس بشيمة الرجال
نحن اخوة ثلاثة نهب خلفك .»
قال يامم انا اعرف ان مدينتكم قد قسمت اليوم ثلاثة اقسام
قسم هو بيت الامير شم ، ويتبعه تجار الجزيرة اجمع ،

وقسم هو للامير ازين ، وهو حاكم مدينة جزيرة يوتان ،
والقسم الثالث هو لكم ، اسرة جلال ، الاخوة الثلاثة
وانا لااروم ان اثير الفتن برواحي الى عين القسطل
فليغب عني صليل السيوف وضجيج الرجال ..»
قال حسن «اراك ياأخي تخال اهلنا مثل الوحوش
نحن ندعى اهل جزيرة يوتان»
اتظن اننا نبعثك وحدك الى الفتيات
لا ، لاتحمل هما فليس الامر على ماتظنه»
قال مم «ماذا قلت ، وكيف الامر اذن
لقد اسأت فهمك فاغفر لي سوء الفهم والتقصير»
قال حسن «في قانون اهل جزيرة يوتان ،
اذا دخلت الخيول او الدواب او حتى الانسان ارض رجل ما ،
فالمرء قادر ان يجلب تلك الخيول ، او ذلك الانسان لنفسه ،
وما لاحد حق امتلاك فيه
وليس لصاحبها ، ان يدعي عند الحكومة شيئا من احد
فنحن الان تسلمك مالعين القسطل من وثائق( ) ،
انها ملك لنا ، نحن الاخوة الثلاثة
اذهب وقل «انا امرؤ تاجر ،
وقد اشتريت عين القسطل من الاخوة الثلاثة .
فلا الفتيات ينطقن بشئ ، ولا الرجال بقادرين ان يفعلوا شيئا»
قال مم «سمعا وطاعة لما تقول .»

* * *

ذهب حسن وفتح الصندوق ،
واخرج وثائق تمليك عين القسطل واعطى ممي آلان اياها
ونزل الاخوة الثلاثة مع مم ووقفوا في فناء الدار
وهب قره ناجين ، اصغر الاخوة
واسرع الخطى نحو اصطبل الخيول
واخرج الاشهب العداء من مربطه وفك قيوده ،

والبس السرج والطقم وشد حزامه والبسه العنان ، ووضع اللجام في فمه
ها قد مضت ايام ثلاثة ولم يخرج مهر البحر ،
الاشهب العداء من الاصطبل ،
هل جرى شئ ، فهو ينهض كالبعير الهائج على قائمتيه ،
ثم ينظر الى السماء
حف الاخوان بالحصان ، فواحد يمسك عنانه ،
والاخر ركابه واركبوه هم ، كالملوك وعاد هم الى الاخوة الثلاثة
وقال «ياخوتي ، اجعلوا خبزكم حلالا عندي ،
ومن اجلكم انتم الثلاثة ، ان لم يقدر لي ، فلن اعود الى هنا مرة اخرى
لاتقولوا «لم يثمن هم الخبز والملح ، ولم يودع مستضيفيه ..»
وانطلق بالحصان يطوى به الارض
خرج من ازقة الجزيرة ، وتبع مواقع اقدام الفتيات ، كصياد ماهر
مثل صقر يتعقب رف الحمام
دخل بين الف ومائتين من بنات الامراء والنبلاء ،
ورأى بينهن زين ، تعرف عليها فورا بين جموع الفتيات ،
فكانت ضيفا عنده من الليل

* * *

نادى هم بأعلى صوته قائلا «ايه ، باللماء !
لاتبقَىْ في الماء ، انه لماء جارف
انت قوتى وقوة الاشهب العداء
انت نور العينين .
تتقدمين بقامتك الممشوقة وخصرك النحيل ، جموع الفتيات ،
وتذهبين الى عين القسطل ، الى الحافة الرخامية .»
مرة اخرى ، قال هم «لاتذهبي ، ايتها الشقراء لاتذهبي ايتها الحسناء
ارفعي الخمار مرة واحدة ،
ومن تحته أرسلي العذار الخضل والضفائر الملتفة
ايتها الظالمة ، حدثيني بكلمتين ، ثم اذهبي»

* * *

سمع الفتيات وراءهن انينا حزينا وصراخا عظيما
رأوا ان ضيف حسن ، ذلك الضيف الذي يثني عليه الناس اجمع ،
ويروون عنه شيئا يشبه القصص والامثال ، قادم
قلن «ان زيه وقيافته هما زي وقيافة الملوك»
ان اراد المرء ان يشتري مثلها ، فلن تكفي خزائن الارض لذلك
انه صغير ، ولكن مخايله كمخايل الملاك .
عندما جاء مم الى الجزيرة ، الى دار الجلاليين ،
ذاع بين الحسان الشقراوات والسمراوات ،
ان ملك الكرد قد جاء من بلاد المغرب ، لعلة في قلبه
فصارت كل فتاة ترتاب في امر نفسها
قلن رباه ، شكرا ان جاء الينا ، نحن الشقراوات والسمراوات»
كن يهيئن انفسهن من تحت الحجب ،
كما يتهيأن للاعراس وكن يرسلن عذارهن وضفائرهن
ويطوين طرة الشعر على الظهر .

* * *

جئن جمعاء ، ووقفن الى جانب بعض
وكجنود يستعرضون انفسهم في العرض امام قادتهم
وقفت فتيات الجزيرة امام امير المغرب
لكز مم حصانه بمهازه ،
اخذ الحصان يعدو بسرعة ، جاء مم ووقف عند نبع القسطل
عند جموع الفتيات .
قال مم «ياسمراوات ، ياشقراوات ، واحر قلبي
ها قد اشرقت الشمس من بيت الله واضاءت الدنيا ، الواسعة
والمرابع والجهات الاربع ولاادري ماالوقت ،
وعلى كل حال عمتن صباحا»

* * *

نظر مم فاذا به في حومة الفتيات المذهبات ،
كان انين الاساور وصليل الخلاخل يتصاعدان

هد جميعهن ايديهن على الارض ، ثم رفعنها وعقدنها على القلب
قلن «سلامك ، على الرأس والعينين»
ومن اجل جمال مم خلعن الخمار ، رمين خمرهن على النبع ، على الرخام
فتجمع عند عين القسطل اكوام من الخمر
وكأن المرء يدخل سوق الاقمشة
اصبح النبع كرديا صرفا ، وبانت ضفائر الحسان على الوجوه
وقفن جميعا امامه ، قائلات «انطق ، ماامرك وما العمل ؟»
نظر مم اليهن جميعا
رأى ان زين وحدها لم تخلع الخمار ، وخرجت من بين الحسان ،
ادارت ظهرها الى مم ويممت وجهها صوب الفلاة
قال مم «اواه ! ان لم ترد زين علي السلام ، فأن جهدي يضحي هباء.
وقديما قال الشيوخ والحكماء «لايوثق بالنساء ولو لمرة واحدة ،
قلوبهن كخيوط حبال فمن ارادها طلبها طوال النهار
اذن فلأنادها ، ترى هل تجيب»

* * *

نادي مم وقال «ياهذه ارى اني انا مم ، وانت زين
انا ابن ملك المغربيين ، وانت ابنة الامير زنكين
انا قائد الف ونصف الف من شباب الكرد ،
وانت سيدة احدى واربعين جارية ، من ذوات الخصور الذهبية
انا صاحب سيف لاهوري وانت صاحبة الخمائل الذهبة المنقشة
ها ان ستة اشهر قد مرت ، وانت سبب علتي وآلامي وآلام هذا الحصان
وانت جعلت الأم العجوز والاب الشيخ والعمين الاجلين
في حسرة من اجل رحيلي
الا تتذكرين ماقلناه على السريرين ،
فلماذا تردين على سلامي باغماض العينين؟
لاادري ألأني قد وصلت الى بلادك ، فغدوت تترفعين علي كبرياء
ام تريدين ان تخيفيني بلصوص جزيرة بوتان وشقاتها ؟

تفضلي قليلا وانظري هنا الا ترينني وترين هذا الحصان ؟
ازيحي هذا الخمار من على العينين السوداوين ، البلقاوين
لأرى طلعتك المضيئة الناعمة
هاهي ساعة ، وانا ابثك حديثي ، عليك ان تردي عليه واحدا بواحد ،
ان لم تفعلي ، فأريحي قلبي بكلمتين
وكطبيب حاذق ، عليك ان تغسلي جرحي بنظرة من عينيك
وتشديه بحلو كلامك ،
استحلفك بحسرة تلك الليلة ، ان لاتبقي حسرة في قلبي

* * *

قالت زين «ها ، ها ، يامم فديت قامتك هذه ،
هي كالريحانة السامقة ، اللدنة ، ليس فيها عوج
انها لدائي شفاء وبلسم ، وعندما يشتد الالم والجرح في قلبي الكدر ،
فاني لن انطق باسم جنو ، فداءً لعينيك
انظر جيدا وراءك ، الى مدينتنا ، الجزيرة ، فكم من الناس ينظرون الينا
وأفاقو مدينة الجزيرة – وشيمتهم الغدر والتحايل
سيقفون غدا حتى المساء ، يتجولون ويقولون
رباه ، انعم علينا بحرب او خصام !
رباه ، دع الآن ، هذا الشاب الغريب ،
ينطق بكلمتين مع فتياتنا الجزريات ، او يترجل عندهن !
لقد اعدوا انفسهم قبل كل شي ، وابديهم على السيوف والاسلحة
هيا ، انظر الى سيوفهم ، فقد سحبوها جميعا قدر اصابع اربعة
ترى هل عميت عيناي ، كي اخلع الخمار عن عيني امام جمع الفتيات ؟
فوالله اذا حركت الخمار من فوق عيني ، اجتمعت علي المدينة كلها
وجعلوا منا ، كلينا ، هدفا لضربات السيوف ،
افلا تعرف ، ان اهل الجزيرة قد غدوا قبل هذا ثلاثة اقسام
انهم يتجمعون علينا اليوم ، كما تتجمع الذئاب على الجثث

وتسيل دماء الرجال على الارض ، كما الانهر
ويعلو حول عين القسطل صليل السيوف ورنين المجن
ولست آبهة بروحي وبجمع الرجال هؤلاء ،
غير ان الناس يقولون اسفا فلك الكرد ، مي آلان ،
قضى نحبه في بلاد الجزيرة دون ظهير ، من اجل امرأة
فديتك ، اصغ الي ، ادر وجه حصانك بتؤدة
اذهب الى باب حسن وجكو قره تاجين ،
فهم الذين يرون بعد الله لعلتنا دواء»

* * *

قال مم «اواه ، يازين ، انا لااعرف اصادقة انت معي ام كاذبة ؟
فانت كالحصان الكميت ذي الركاب الذهب ،
ففي اعماقي نار تستعر ، يصعد منها الدخان ، افلا تبصرين ؟
الا تقولين ، ان علي ان اتوجه الى مم اولا مرة
واقول انت جريح الفؤاد !
اذا اردت ، فأنت قادرة على اخماد هذه النار في قلبي واعماقي
وان تزيحي هذا الخمار من العينين السوداوين البلقاوين
والطلعة البهية المضيئة
وعندما تذهبين ، فانت خطيبتي ،
وعلى كل حال ، فانت لاتقدرين على نزع هذا الخاتم من اصبعي ( )
فان لم تفعلي ذلك ، فهل انت قادرة على ان تسيري بي
أمام ألف ومائتين من فتيات الجزيرة
وان تضحكي الناس على ضيفك في الليل ، مي آلان ،
فارس الاشهب العداء
تعالي واسمعيني ، وارفعي طرف الخمار مرة
وأظهري العينين البلقاوين السوداوين ، والجبهة المضيئة من اجلي
تعالي الى النبع ، وأخرجي الكأس الفضة من محزمك
واملئيها من نبع الورود ، وضعيها أمام الأشهب العداء

وارفعي عينيك ، وانظري في عيني ، وارفعي الكأس بيدك اليمى
واسكبي بيدك الماء على رأسي ، وحققي املي ، انا الغريب
واطفئي هذه النار في اعماقي مرة واحدة !»

* * *

قالت زين «اواه ، يامم ان قلبي جريح ومفعم بالالم
فما دمت تتجاهل اقوال الناس
فقد كان الناس يعتبروننا نحن النساء ناقصات عقل ،
اذ كانوا يقولون النساء من الضلع الاسفل ، ويجلبن العار للابوين
تعال وضع يديك في يدي وأردفني على صهوة الاشهب العداء
يمم وجهك شطر بلادك ، مدينة المغرب ، ليسير بنا الحصان كلينا ،
ويوصلنا الى اصحابه وننجو ونتخلص من لوك الالسن والاقاويل
اذ ذاك لن يساورنا خوف من الرجال
ولن يسيل من اجلنا دم احد
وعندما نبلغ مدينتكم ، مدينة المغرب
اذ ذاك ، وبين ابناء بلادكم تشيع الاحاديث والاقاويل ،
وتشيع الاخبار بين الكبار والصغار
انهم يقولون هاقد عاد ممي آلان ،
وجلب مع نفسه تحفة وهدية تليقان بالملوك
اذ جاء بفتاة من بلاد جزيرة بوتان ،
يقال ان اسم الفتاة هو زين الزينات
اذ ذاك ياتى بنكين ، شقيقك بالروح ،
ويجمع فتيات مدينة المغرب جمعاء وعرائسها
فيقلن جميعا هاهو زواجها ! ويباركن لنا ويدعون لنا كثيرا ،
انهن يقلن اذا جاءت الاقدار ، فلتأت ،
بورك العروس والعريس لاهلها ؟»
قال مم «ايتها الظالمة ، آه من صنيع مدينتكم اللعينة
من هذه الازقة والدروب

في هذه الوهاد والوديان وحولها ، وفي هذه الفيافي والحقول والاحراش
عندما يغدو المرء رفيقا للنساء ، فسيكون بين الايادي و امام الاعين دوما
انا طلبت منك شيئا صغيرا ، ولكنك تعرضين قضية ،
هل تريدين تجربتي بأكاذيبك
كنت اقول لك تعالي ، وازيحي طرف الخمار والحجاب مرة
من فوق الجبهة النيرة والعينين
تعالي وناوليني كأسا من الماء ، كي ينطفئ ما في فؤادي واعماقي من نار
فان قدر الله لنا الامر ، فسنرحل معا ،
وتصبحين انت العروسة وانا العريس»

* * *

قالت زين: «ياهم ، ان قلبي جريح ومفعم الما ، ويحزه الفراق
ماحدث لي اليوم على يديك ، اتمنى ان لايحدث لكافر او مسلم !
ألم أقل نحن النساء من الضلع الاسفل سنأخذ دوما ،
برؤوس الرجال، سننكس رؤوس اهلنا بين الناس ،
مادمت لاتسمع قولا وحديثا ، وتغدو سببا لقطع رأسينا نحن الاثنين ،
تعال ، اجلس معك على نبع القسطل ، نبع الورود ،
ترجل من صهوة هذا الحصان ، اتركه بين الخضرة والمروج
تعال ، لنجلس ركبة الى ركبة ، لينظر بعضنا الى بعض طويلا ،
لكي نزيل هذه الحسرة من قلبينا ، نحن الاثنين .
انا اقول لعل هذا احسن لك من شرب كأس ماء من يدي»
قال هم :« ياحسنائي التعسة ، ان قلبي قد تشوش
ها أنت تشغلينني منذ ساعة بالقول والحديث وتلهبين مني المشاعر والعقل
ان ماتقولينه ، اي ان يجلس بعضنا جنب بعض ركبة الى ركبة ،
لايليق بالامراء والملوك في اي مكان»
قالت زين «ماذا قلت لك ؟
هيا انظر مرة خلفك الى مدينة جزيرة بوتان .

لم يبق في المدينة ، عظماء او نبلاء
صعدوا جميعا اسطح قصورهم ومنازلهم ، جلسوا على كراسيهم
انت تقول الآن ان عين القسطل بعيدة عن المدينة كثيرا ،
ولن يرى أحد المرء
وعلى كل حال فانهم وضعوا الآن النواظير على اعينهم ،
انهم ينظرون الى طرف عين القسطل والى حشد الفتيات
عندما نبقى هنيهة على هذه الحال ، وفي هذه المرابع
فسنجلب لنا ، كلينا ، عارا عظيما

* * *

قال مم «انا مم ، انا مثل جمرة نار
هاهي اشهر ستة ، وانا اتبع هذا الامر ، وتركت عرشي وتاجي ،
ترى هل اجهل انني لااعود الى دياري مرة اخرى ،
فلتعلمي يازين ، ان حسنا وجكو وقره تاجين قد غدوا معي اخوة ،
فلا الجأ الى احد بعد
اتريدين ان اسحب سيفي من غمده مرة واحدة ؟
انا لااخشى امر عظماء رجال الجزيرة وكبارهم ،
بل اخشى ان تسيل معهم دماء الفقراء والمساكين والابرياء
فان طاوعتني الآن ، فسآتي ، وازيح هذا الخمار من فوق عينيك ،
وسأناولك كأسا من الماء ، ثم اتناولها منك ، وسأنال منك مأربي قسرا»

* * *

قالت زين «يامم واحر قلبي
لم اكن اخال اني سأسمع منك هذه الكلمات والاقوال
اتريد ان ترعبني بالسيوف ؟
ان مددت يديك الآن الى الضفائر السود ،
فستضع جسدي في حد السيف اللاهوري البتار ،
وتقطعه اربا اربا وترميه امام حوافر الاشهب العداء
ولكنك لاتقدر على ان تزيح الخمار من وجهي
اذ لاترى مثل هذا في قانون بلاد جزيرة بوتان» .

قال مم «انت لاتعرفينني ، انا مم مثل جمرة نار
انا كطائر على الاكف دامي المخلب ، ذهبي العنق والريش
وانا لست تركيا ولاتاجيكيا ،
انا كردي فولاذي الجسد ، يابس الرأس ، جريح الفؤاد
انا لم آت من عين القسطل ، الى غمرة جموع الفتيات ،
كي اضحك الناس عليّ
سأدفع مالا وفيرا ، واشتري عين القسطل من الاخوة الثلاثة
ها اني اجاهد منذ ايام ثلاثة كي آخذ الوثائق بحكم المال
هذا هو السند في جيبي وفيه يستقر
انا جئت كي ارى اطراف عين القسطل الاربعة وماحولها من املاك
ذلك قانون مدينة جزيرة بوتان ، فكم من الفتيات انتن
فمادمتن اتيتن دون اذن مني الى ملكي هذا ،
فلي ان اعاقبكن عقابا شديداً»

* * *

ثم ، يمم مم وجهه شطر معشر فتيات الجزيرة ،
قال «ايتها الفتيات ، لاتخفن ، انا لااريد أن أعاقبكن وأغرمكن
عندما يذهب قوم مع سيدهم الى المدينة ويجلسون في مقهى
فشرب القهوة نصيب الجميع ودفع النقود من حق السيد
وانتن اتيتن اليوم مع زين ، الى عين القسطل ، الى نبع الورود ،
فانها تدفع امامكن جمعا ، الغرامة»
وعاد مم مرة اخرى الى زين وقال «يازين ، انا عاقل ، ولست مجنونا !
انا امد يدي الى مقبض سيف لاهوري واسله ،
ولكنني لااريد ان اخضب سيفي بدم النساء ، بغير حق( ) ؟
ألا تعرفين اني سآخذ منك كأسا من الماء قسرا !»
رأت زين ان خيال مم خيال واهٍ ، ومرامه صعب المنال ،
ماله من دواء وعلاج
عندما قدم مم لتوه ، كان قد قال . عمتن صباحا

فردت زين السلام على الرحب والسعة
وازاحت من رأسها الخمار كدأب بنات المدينة ،
اضحت كرئيس لقبائل الكرد
حملت كأسا من الماء ، ووضعتها على كفها ناولتها لمم ،
فتناوله منها وشرب من نبع الورود

* * *

قالت زين «يامم مهلا ، مهلا انت اليوم كشاهين ،
بلل الرذاذ ريشه وجناحه
خرجت من بلادك ، من مدينة المغرب ،
وجئت الى مدينة الجزيرة وحللت على عيني معشوقتك حبيبتك»
آنذاك اخرج مم رجليه من الركاب
ترجل عند عين القسطل ، كطائر رمى بنفسه على رف اليمام
فيطير اليمام ، وتبقى يمامة واحدة في ذلك المكان
أمسك بزين وجلس على نبع القسطل ، نبع الورود
فعلا الصراخ من سمراوات الجزيرة وشقراواتها ، وولين فرارا
ولم يبق في مدينة الجزيرة لصوص افاقون
الا ومدوا ايديهم الى مقابض السيوف ،
وتوجهوا نحو مم وزين من اجل قتلهما
حيث كانا يهربان معا من عين القسطل ، نبع الورود
لنعد الى حسن وجكو وقره تاجين ، الاخوة الثلاثة
توجه حسن الى الاخوين ،
قال «ياخوي ، نحن ارسلنا ضيفنا الى عين القسطل ،
الى نبع الورود
كي يذهب الى جموع الفتيات
ثم ليحدث مايحدث ، ولينغمر في لجة الصعاب ؟
لم يذهب بنفسه ، بل كان ذهابه برغبتنا نحن الثلاثة
اذا قيل عن مم اليوم قول سئ ، ففي ذلك منيتنا
انهضا واحملا الدروع

وضعا على العنق حمائل السيف البتار ،
وامتطيا صهوة الخيل ،
وتوجها الى طريق عين القسطل ، نبع الورود ،
فمدينة الجزيرة تضج بالرجال الفاسدين السيئين ،
فمن كان وحيدا ، يواجه منهم بالسوء والافتراء
ثم اننا لم نرسل مم للطرب والتنزه
بل ذهب من اجل زين ، سيدة احدى واربعين جارية
فليس من الممكن ان لايغدو في مدينتا اضحوكة الاطفال
ايها الاخوة ، مايقع لضيفنا اليوم ، سيقع عليكما كليكما
ان مد بعضهم اصابعه الى مم ، فابتروا ايديهم بالسيف .
ومامن احد بقادر على التفوه بشئ
زين اخت زوجتي ، خطيبة جكو ، المدفوعة الصداق ،
وابنة عمنا نحن الثلاثة ،
قولوا لمم ان حسن يبعث لك سلاما كثيرا ،
ان كنت ترغب في زين، فلا تتبع عادات الدنيا ودأبها مثل الملوك ،
وخذ برقبتها وضعها على ردف الاشهب العداء
واقدما الى منزلنا ، وسنعقد لكما النكاح في المساء.
وان اردت ان تتبع الدأب والعادات فاترك زين وعد معنا الى الدار .
فسنقيم لكما الاعراس بعد ثلاثة ايام

* * *

توجه جكو وقره تاجين الى طريق عين القسطل نبع الورود
فنظرا فاذا الافاقون يخرجون جموعا من المدينة
متوجهين الى نبع الورود ،
وأيديهم على مقابض سيوفهم
أدرك جكو انهم متوجهون لقتل مم ، ملبين نداء الفتيات .
ناداهم مرة فمرتين ،

قال «ايا جموع اللصوص والافاقين ، مالكم وهذه المرابع
هل عهد اليكم بحفظ شرفنا نحن الامراء ؟
أفلا نأبه بكم وانكم تضعون انفسكم موضع الرجال والأبطال ؟
هيه ، انها ابنة عمي ، وهي مدفوعة الصداق منذ ثلاث سنوات
والآخر ضيفنا ، ملك الكرد
فبأي رغبة تذهبون لقتلها ؟
ترى هل نسيتم الخوف منا نحن الجلاليين ؟
الا ترون ان في ايذاء مم حتفكم جميعا ايها اللصوص والافاقون
فعندما ، تنشب حرب بين العشائر والدول ،
فستختفون انتم من ساحة الرجال قطعا
ستولون الادبار جميعا ، وتخفون انفسكم خلف المتابن
ولكنكم غدوتم اليوم رجالا لقتل امرىء ضيف .
ان مد واحد منكم اصبعه نحو مم ، فسأقطع يديه
هدأ اللصوص والافاقون في مواقعهم ، وقالوا جميعا
ترى مالنا نحن وما لشرف الامراء ،
فادامو هم راغبين في ذلك ، فلسنا آبهين بهذا الامر
هبوا ، لنعد ، قبل ان يطرق هذا سمع حسن ، كبير الاخوة
هو رجل ظالم لم يرأف بأحد أبدا فسيقدم ، وسينهال علينا بسيفه .»
عادوا جميعا الى المدينة ، وانتشروا في المقاهي

* * *

جاء جكو وقره تاجين الى عين القسطل ، نبع الورود
نظرا ، فإذا بمم قد وضع زين تحت ابطه كطائر يصطاد فريسته
ويمسكها بأنامله ، وينقرها رويدا ، رويدا بمنقاره
فهو قد وضع زين جنبه وجلس عندها على الرخام ،
وينحدث اليها رويدا رويدا وهو غافل عن هجمة اللصوص والافاقين
وكأنه جالس في قصره ، في مدينة المغرب .

لاخوف من قتل عليه ولا تثريب من أحد
اقترب جكو وقره تاجين منهما فلم يسمعا قرقعة حوافر الخيل قط ،
كانا يضعان رأسيهما بعضهما جنب بعض ويتسامران ويتهازحان

* * *

نادى جكو ، قائلا «ياضيف ، واحر قلبي !
لقد تاخرت شيئا في هذه المرابع »
قال حسن «مازال مم غريبا ، وقد يضجر ان بقي وحيدا
اذهبوا اليه ، وبلغوه عني سلاما كثيرا
قولوا له عني اذا كان لايود اتباع القوانين والعادات ،
فليمسك بزين ، ويضعها على ردف الاشهب العداء ليأخذها ،
ويأت بها الى منزلنا ، فسأعقد لهما الليلة نكاحا»
لا ، بل اذا اراد زوجته على دأب الملوك ، وعاداتهم
فليترك زين ، وليعد الى الدار .
واذا لم نقدر على إرضاء الامير أزين بمال الدنيا ونقودها ،
فآنذاك نمد ايدينا الى مقابض السيوف
قبل أن تمضي بعون الله أيام ثلاثة.
واذ ذاك اقيم العرس ، وأجد لجرح قلب ضيفنا دواء وعلاجا .»
نظر مم وزين فاذا بالأخوين خلفهما ، يقفان كأسدين
وكانا يودان من الخجل ان تنشق الارض ، ويسقطا الى الطبقة السابعة.
نهضا قائمين خجلين خجلا كبيرا
نهض مم ، وامتطى الاشهب العداء
وتوجه الى منزل حسن وجكو وقره تاجين ، الاخوة الثلاثة

* * *

كان حسن في الدار ، على احر من الجمر ينتظر ،

فإذا بعمي آلان يعود مع الآخرين
وعندما رأى الثلاثة يعودون بعضهم الى بعض ،
لم يبق لديه شك ان عم يهوى خطيبته جكو زين الزينات
قال: اذا لم اخرج لاستقبال عم ،
فسيقول: «لعلهم استاءوا من ان حبيبتي هي ابنة عمهم
وقد استاء مني حسن من أجل هذا ،
فلم يخرج لاستقبالي واستقبال الاخوين»
قام حسن وخرج ، واستقبل عم وأخويه .
عندما رأى عم الأخوين قادمين اليه ، خجل كثيرا من جلوسه عند زين ،
خطيبة جكو ، مدفوعة الصداق منذ ثلاث سنين
عشرات المرات قال مع نفسه: ياليت الارض قد انشقت ، ونزلت الى طبقتها السابعة
اصفر وجهه واضحى كوجوه الموتى
وكان الناس يقولون كأنه قد خرج توا من اعماق القبور .

* * *

تقدم حسن نحوه وقال «ياأخي ، لم تبدلت سحنتك ،
واضحت كسحنة الموتى ؟
أسئمت من غدو اللصوص والأفاقين ورواحهم
أم تكدرت من اقوال الناس، ترى أنال اشرار من قلبك بقول او مزاح ؟
نظر عم فاذا بجميع الناس قد فهموا الامر ،
فلا حاجة للتستر ، وقال مع نفسه «الصدق شيمة الرجال»
قال «ياأخي ياحسن ، واحر قلبي !
تبدل سحنتي لم يكن بسبب هذه الأمور .
ولا من غدو اللصوص والأفاقين ورواحهم
ولا من ضرب السيوف والرماح
اليوم جاءتني فرصة فأهملتها بنفسي ، فندمت على ذلك .

لايغدو الحظ حليف المرء مرتين أو تقع الفريسة في شباك الرجال
فالخالق انما يمنح المرء الحظ مرة واحدة ،
فما لم يكن حريا به ، استعاده ، واعطاه غيره
اليوم ، كنت قد ذهبت الى عين القسطل، الى عين الورود ،
من اجل التنزه والتفرج ووقفت ردحا امام جموع الفتيات ،
كي ارى ، ما اذا كانت زين الزينات ، سيدة الحسان واقفة
كنت قد رأيتها في حلمي في مدينة المغرب
وكنت قد تركت عرشي وتاجي من اجل هذا الهم في قلبي
فكانت اليوم كحمامة تقع بين أنامل طائر صياد ،
فلم أردفها على الاشهب العداء
لقد تركتها ، فذهبت ، فعدت خالي اليدين ، وأنا نادم على ذلك ،
أنا اخشى ان لاتقع في يدي فرصة مرة اخرى ،
ولا أرى زين بعيني
حرام علي الدنيا كلحم الخنزير من غير رؤيتها ،
وهذا ما بدل سحنتي ، وجعل وجهي كوجوه الموتى

* * *

قال حسن «يامم ، ياأخي ، واحر قلبي
لايحزنك هذا ، ولا تندم على فعلتك
هذا أمر سهل المنال ، لايستدعي هما وضجرا
ان من أخذت بلبك ، هي من بيتنا ، وليست غريبة
ان زين هي ابنة عمنا ، نحن الاخوة الثلاثة
هي اخت زوجتي ، أخت ستي من امها وأبيها
هي تأتي الى بيتنا كل يوم ، تزور أختها ، مرتين أو ثلاثا
فتى ما اردت ، فليس من العسير رؤية زين ، بل انه أمر يسير..»
وضع يده في يد مم ، وانزله من صهوة الاشهب العداء ،
وصعدا معا الى المنزل العلوي ، وفرشا فيه الفرش والوسائد

وجلس هم بين الاخوة الثلاثة
وطفقوا يتحدثون ويتسامرون

* * *

عادت زين من عين القسطل ، نبع الورود
وكانت قد ندمت على فعلتها ، كمثل ندم هم
كانت قد ذهبت برفقة الف ومائتين من بنات العظماء والامراء والنبلاء
ولما عادت لم يكن معها غير احدى وأربعين جارية
فعلمت انهن قد هربن وتوارين عن الانظار وعدن الى دورهن
وسيلكنها ويلكن هم بمختلف الاقاويل
عادت بعدهن الى الدار ، برفقة احدى وأربعين جارية ،
وهي تحمل عارا عظيما
وكانت تود ايضا ، لو تنشق الارض ،
فتنزل تحت سبع طبقات مع جواريها
ولا تسمع اسمها واسم هم بسوء على الافواة
عادت ، وذهبت للدار ، ودخلت قصرها ،
ووضعت رأسها على الوسائد ، فلم يبق لها متسع للتكلم مع احد
طردت الجواري ، وأسلمت نفسها للاوهام
كانت تقول لعلي احلم حلما آخر ، وأنجو من هذه الديار»
فلم تكن تريد ان ترى وجه احد بعد هذا

* * *

لا وضع الله فعال المرء وأقواله في افواه السلطاء والمشردين
فهم لايخجلون ولا يفكرون في عرض احد وشرفه
ويودون تلفيق الفرية ، فعندما يسمعون شيئا ، أو يرونه بأعينهم ،
يلفقون ويزيدون كما يشاءون
فعندما صارت الفتيات يصرخن ويتوارين ،

وكان اللصوص والافاقون قد مدوا الايدي لمقابض السيوف ،
وتوجهوا الى درب عين القسطل ، نبع الورود ،
وسمعوا كل شيء من افواه الفتيات
وعندما اعادهم جكو وقره تاجين ، جاءوا الى المدينة والمقاهي ،
آنذاك ، ضخموا الحديث ، وجعلوا الحبة قبة
فصار المرء يخجل مما يقولون
ولم تمض ساعة على الأمر حتى أخبر لص لئيم بكو الشيطان بالأمر ،
وحدثه عن كل شيء ، وعد له الامور ، كعده حبات المسبحة
بل زاده أضعافا فكان بكو كشيطان كبير ،
يداعب شعرات لحيته الكوسج
لم يكن يحب حسن وجكو وقره تاجين ، الاخوة الثلاثة قبلا
وها قد سنحت له فرصة شيطانية
وكان مم قد حل ضيفا على هؤلاء ،
كان بكو يفكر كالابالسة
ويريد ان يجد وسيلة كي يفني بها مم والجلاليين
لم يكن يجرؤ على التحدث مع الأمير زين صراحة
كي يقول له ان مم وزين يحب بعضهما بعضا ،
فمم ملك المغربيين.
كان بكو يقول لعل الامير لايصدق ،
فيقول لي آنذاك انت تفتري على اختي
فسيذبحني ، ويرمي رأسي للكلاب»
فكر طويلا حول هذه الأمور .
ثم اتجه الى ديوان امير بوتان
ذهب بكو الشيطان الى الأمير أزين ، قال «واحر قلبي ياأميري
إياك واولاد عمك حسن وجكو وقره تاجين ، الاخوة الثلاثة
انهم يجلبون لك المصائب والبلايا
لقد وضعوك على شجرة ويريدون قطع الساق من تحتك .
انهم أناس سود القلوب ، سيئو النوايا ،

فقد جاء بقال من بلد ، وحل عليهم ضيفا
وهم يسمونه بمى آلان ، ملك الكرد
يدعون انه ابن ملك المغرب
يريدون خلعك من الامارة ، وتنصيبه هو أميرا وحاكما لمدينة جزيرة بوتان
لقد اقسمت بحق الآباء والاجداد لأكونن صادقا معكم ،
وما أن سمعت مثل هذه الأقوال ، حتى هرعت وجئت اليك
لاسألك عن الامر والعمل ؟»

* * *

أثرت اقوال بكو الشيطان في الأمير ازين كثيرا ،
فكر ساعة او ساعتين حقا لقد قابله الجلاليون بخشونة احيانا ،
انهم يبحثون عن مقتل الرجال وخطف النساء
في أحيان كثيرة ، لم يكن أحد يأتي الى الأمير ،
بل كانت امور الناس تحل عند الاخوة الثلاثة
وعندما كانوا يضجرون ، لم يكونوا يحسبون للأمير حسابا
وكان الأمير يسأم من أعمالهم هذه ثم يعود الى رشده ويقول
هم ابناء عمي فلهم الحق
وكان يخشى احيانا ان يأتي يوم من الأيام
يستعر فيه رأس الاخوة الثلاثة غضبا
فيخلعونه من امارة مدينة جزيرة بوتان
فعندما قال بكو ان ضيفا قد جاءهم ، اسمه مى آلان ، ملك الكرد
هال الوهم عند الأمير وتضخم
فرفع رأسه بعد ساعة وخرج من بحر التفكير
قال «ها انت تروي هذه الأقوال
ان كان في اقوالك الصدق ، فسأرفعك الى منزلة الكبير والشيخ
وان كان كذبا ضربتك بحد السيف ،
وقطعت جسدك اربا اربا ورميته امام الكلاب»

قال بكو «ياميري ، هل رأيت من يكذب على أميره ؟
وها اني قد بلغت الخامسة والسبعين من العمر ،
ولم تسمع مني ما تشم منه رائحة الكذب
حقا ، لم يكن الأمير قد وقع في شك من بكو الشيطان الى ذلك اليوم
قال «سنعالج الأمر ، تعال وجد علاجا ودواء»
قال بكو «ليدع الامير لي الامر ، فما اسهله
فهذا مما تأتيه يداي من أفعال
فأنصت لي ، فان لم أفلح ، فأرسلني الى المشنقة»
قال الأمير «عجبا ؟ تعال وقل لي بماذا تشير علي ؟
فان كانت مشورتك حسنة ، عملنا بها ، كما كنا دوما
وان لم تكن حسنة ، وجدنا بانفسنا علاجا ودواء»
قال بكو «اليوم انحر كثيرا من النعاج ، أخبر اهل مدينة جزيرة بوتان
وقل ان في داري وليمة عظيمة
ادع حسن ، ان يأتي مع جكو وقره تاجين ،
ليأت الاخوة الثلاثة الى الدعوة ليروا بأنفسهم ضيفهم ممى آلان
وسندعو القادة وامراء الجيوش
فعندما ياتون ، ويجلسون للغداء ،
سأكتب فرمانا باسم الأمير ، مخبرا اياهم ان العجم قد رفعوا رؤوسهم ،
وسيهاجمون مدينة جزيرة بوتان
فعلى من يقوى على حمل عصا ،
من ابن الرابعة عشرة الى الشيخ في الخامسة والستين ،
ان يرفع السلاح ولا يتخلف من ذلك حتى الاعمى والاعرج ، والامير، والغريب
ليتركوا المدينة للنساء. ليركب الفرسان وعليهم بلوغ قمم الجبال ،
في مثل هذه الساعة من يوم غد
ومقابلة العدو ، وايقاف تقدمه ومنعه من دخول مدينة جزيرة بوتان
كي لايدوس اعراضنا وعيالنا تحت الاقدام
فسأتلو انا هذا الفرمان عليهم
آنذاك ستقول لهم «ليس لدينا وقت للانتظار ، هيا ، تحركوا ،

ولا تلبثوا لحظة في هذه الديار ، واخرجوا جميعا الى قمم الجبال
احفروا المتاريس والخنادق. أما أنا فاعهد الي بالخبز والارزاق
فسأضع سم سليمان في خبز مم ، فلا يمكث ساعتين ، حتى يموت ،
ولن يعرف احد سبب موته
وسنتخلص بهذه الوسيلة من شر هؤلاء»

* * *

استحسن الأمير ازين تدبير بكو ، فأمر الغلمان ، وقال
«اسرعوا وهاتوا مثل الذئاب بقطيع نعاج ولا ترفقوا بها
واذبحوها ، فلدي اليوم وليمة عظيمة»
وقام وكتب رسالة الى حسن وجكو وقره تاجين الاخوة الثلاثة
وقال «انا أقمت اليوم وليمة ، ليأتوا وليتناولوا عندي لقمة خبز»
وليأتوا معهم بضيفهم ممى آلان ،
فيقال انه قد جاء الى مدينة جزيرة بوتان منذ أيام ،
وحل ضيفا على ابناء عمي الثلاثة
انا لم ار للآن هذا الضيف الغريب ، امير المغرب
انا ارغب في ان يأتي ويتناول في بيتي لقمة خبز
وصلت رسالة الأمير ازين الى الجلاليين .
فمن أجل زين وضيفهم المبجل ،
قبلوا رسالة الأمير ووضعوها على رؤوسهم وأعينهم
ففي يد الأمير ازين أمر زين ، عقدها ونكاحها ،
وكالوا متلهفين لوسيلة يأخذون بها مم الى الامير أزين ، ليتعارفا
ففرحوا بهذا كثيرا ، وما كانوا يدرون ان في الامر مكيدة
توجه الأخوة الثلاثة الى بيت الامير ، واصطحبوا ضيفهم ممى آلان .
فعندما بلغوا عتبة دار الأمير ،
اشار له بكو بممي آلان
وقال «باميري ، انظر الى هذا الذي

يريد ان يغدو اميراً على جزيرة بوتان بديلاً عنك»
وعندما رأى الامير ازين مم ، ورأى نسق الملوك وجالهم
دارت الارض به ، كأرجوحة اطفال وفقد رشده ، وطار صوابه
قال «يابكو ، قد صدقتك آلان فهذا الفتى يشبه الملوك
علينا ان لاندع رجليه تطآن التراب هنا اكثر من يومين
فاذا رآه اهل الجزيرة عشقوه نساء ورجالا
اذ يدوس شرفنا تحت الاقدام
أسرع ، واعمل ما تشاء ، ولا تزد يومه هذا يوما آخر»
نهض بكو من عند الأمير وقال «ياميري ، سمعا وطاعة»

* * *

قام بكو من مجلس الامير ، وخرج ، واتجه نحو موضع صحراوي
وجلس بين صخرتين وعلى ما اتفق عليه مع الأمير ازين ،
كتب رسالة ملؤها الكذب والتلفيق وختمها بالشمع كالفرمانات
وامتطى حصانه وتوجه الى دار الأمير أزين وهو يلكز حصانه بمهازة
مازال الامير ومن في مجلسه ، مع ممي آلان جالسين على الصخرة ،
ولم ينهوا الغداء ،
جاء بكو من خارج المجلس وقال «أمانا ، ياميري اسرع ، ومر الجيش ،
فان طال الامر فترة ، فسنرى اعراضنا وعيالنا تحت حوافر خيول العجم .»
فتح الأمير الظرف مسرعا واخرج منه الفرمان نظر اليه مرة ، وقربة من عينيه
ثم نهض ، ووقف قائما وتوجه الى المجلس ،
والى الامراء والنبلاء وصار يتحدث اليهم بصوت عال
كان يقول «ليصل صوتي الى جميع رجال الكرد وأبطالهم
فعلى كل امرىء غيور على شعبه ان يعرف كيف حال شعبه
فلقد رفع العجم رؤوسهم ويريدون احتلال بلادنا ، جزيرة بوتان
وسيأتون الى حربنا ، بجيش لجب
وحفر الكرد المتاريس ،

ولكن الكرد لن يقووا على الصمود ، فجيش العجم كبير ،
انهم الوف الالوف، سيأتون الى الكرد كامواج البحار.
فاستنجد الكرد بنا ، فان لم نستجب اليوم لهم ،
فغدا تبلغ هذه الحرب أبوابنا
أنا اطلب من ابن الرابعة عشرة الى ابن الخامسة والستين
ان يمتطي اصحاب الخيول منهم صهوة الخيل ، ويتوجهوا الى الحدود ،
فغدا ، هو يوم الرجال الاشداء»
ثم امر الخدم مسرعا ، وقال
«احضروا حصاني ، واسرجوه ورتبوا طاقمه»

* * *

قال حسن «ياميري ، الوذبك ،
فضيفي قد قدم من طريق طالت ستة اشهر وتعب كثيرا في الدرب
فليس من العدل ان تاخذوا الضيف والغريب لمقابلة الاعداء ،
ثم ان القانون لايوجب عليه امرا ، فلم يبلغ نهاية الرابعة عشرة
قال بكو «ياحسن لاتشيع مثل هذا الامر بيننا ياحبيبي !
فإن لم يأت ضيفكم ، تهرب الناس كذبا وتلفيقا.
افلم يحسب ضيفكم نفسه من الامراء والملوك ؟
افليس استخدام السلاح من عمل الرجال ؟
لقد سمعنا ان بيته بيت طهر ، فهم بنفسه ابن اخت سادة
ولعلنا نقوى ببركته على كسر شوكة هذا العدو الكبير ، المقتدر»
ولم يكن حسن قادرا ، بسبب زين ،
على ان يترجى الامير بنفسه
فركبوا جميعا ، ودخل حسن وجكو وقره تاجين ، برفقة هم بينهم
وعندما ركبوا ، لمح الأمير أزين بعينه ، مشيرا الى بكو الشيطان:
ان ما تحدثت عنه ، كان سما او دواء
اسقنا واستعد في تلك البقاع

ركب بكو ، وحمل معه كيسا من دقيق القمح وقارورة من سم الثعابين
وسبق الفرسان جميعهم ، وتوجه الى البراري
وقال مم مع نفسه من جديد ، سنحت فرصة لرؤية زين الزينات ،
خرج الناس اجمع من المدينة ، ولم يبق غير النساء
وما من احد في بيت الامير أزين ، بيت الاخوة الثلاثة
فلو لم اكن مع هؤلاء الفرسان ، لقضيت مع زين لحظات عظيمة »
خرج من بين الفرسان ، وجاء الى حيث حسن ، كبير الاخوة ،
جزار الرجال ، قاد حصانه الى جانبه ، حتى تلاصقت ركاب سرجيهما
أدنى رأسه الى رأس حسن وهمس في اذنه
قال «اخي حسن ، واحر قلبي
انا اريد ان اقول لك كلمتين. لاتظن ان قولي مبعثه خوف او وجل
ففي بيتنا لم يدر احد ظهره قط للاعداء
كان ذكر الخوف حراما في بيتنا ، كلحم الخنزير عند الرجل المسلم ،
انا متوعك اليوم واشعر بمرض يلقي بثقله علي وغدا رأسي كصخرة طاحونة
وصار ظهري ، كمطرقة حداد
وعظام ظهري قد انحلت كمناخل مدورة وعيناي تسودان ولا تبصران شيئا
وانا لا اتمالك نفسي على صهوة الاشهب العداء
فكيف اقدم على حرب العدو ، حرب العجم ،
وانا بمثل هذا الحال ؟
ترى هل يقنع امير بوتان ان يأذن لي بالبقاء»

* * *

نمعن حسن ، فرأى ان سحنة مم ليست بسحنة المرضى والعاجزين
فعلم انه يطمح بالعودة الى الجزيرة تحايلا وتفننا
كان يفكر ، وهو يبتسم من تحت شاربيه
قال «يامم ، ياأخي ، لاتظن اني لا اصدق لك قولا ،
لكن عاداتنا لاترضى بأن يعود الانسان المريض من السفر
غير ممدود في التابوت.

وشكرا ، انك سليم ، معافى على صهوة الاشهب العداء
عندما اقول ذلك للامير ، سيقول ان مثل هذا لم يحدث
في قانون جزيرة بوتان، فما عاد للدار الا من جرحته السيوف
ودون هذا لن يكون في عودتك امل أو رجاء»
راى مم ان كلام حسن مقبول ،
فخرج من بين الفرسان وأخرج السيف اللاهوري البتار من الغمد
وضرب به من على السرج رجله
جرح رجله ، فسال عليه الدم القاني
وعاد الى حسن وقال «ياأخي ، ماذا تقول الآن» ؟
رأى حسن ان طرفا من رجله قد جرح ، جرحا بليغا
فاتجه الى الأمير أزين ، قائد جيشهم ، أمير بوتان
قال «ياأميري ، لقد حدثتك عن ضيفنا ممي آلان
الذي يصول ويجول الآن في سوح القتال
فلم يمض اسبوع ، اذ قدم من مدينة المغرب وجسده نحيل ،
لايقوى على التحمل والتعب. لقد ربى في القصور مثل الملوك
اطال الله بقاءك ، انك لاتقبل رجاء الرجال الخلص
بل تسمع مشورة بكو الشيطان فانظر ،
فقد جرحت رجله بضربات السيوف
ويسيل الدم القاني ، على السرج والركاب
الا ترى في هذه المرة ايضا ، للأمر معنى»

* * *

نظر الامير ازين في وجه حسن ، كبير الاخوة الثلاثة ،
والكلمات تنطلق من فيه ، كالشرر المشتعل في اشجار بلوط .
ورأى انه سيعيد ضيفه الى جزيرة بوتان ،
حتى وان رفض الامير ذلك
وسيخلق ذلك بينهم فجوة وبونا كبيرا

واذا قال «فليذهب» لم يعد هناك معنى لقدوم هذا الجيش اللجب.
غرق في بحر التفكير لحظة وقال «انا اجيز لم ،
وسيجد بكو الشيطان الى حين وصولنا له دواء وعلاجا آخر
هذا هو الافضل ، فإن قلت لا ، استاء حسن كبير الجلاليين»
رفع الأمير أزين رأسه ، وقال «لاتنشغلن قلوبكم انت وأخويك بشيء
كان سبب رفضي اذ ذاك قانون جزيرة بوتان
اما الآن ، فللجريح ان يعود الى داره
اذهب وقل لضيفك ممي آلان ، هناك امر بعودته»

* * *

عاد حسن الى ممي آلان ، وقال له
«ياأخي لقد اعطاك الامير اذنا وامرا ويمكنك العودة الى الدار»
فحول مم رأس الاشهب العداء ويمم صوب مدينة الجزيرة ،
يلكز الحصان بركابه حتى ترجل في بيت الاخوة الثلاثة ،
فرأى ان الديار قد خلت من الرجال، قال «لن أجد فرصة كهذه ،
ما بقيت حيا.
سأتوجه الى قصر زين ، الى طرف الزقاق
فإن منحني الله فرصة ، فأنا والموت، وما الموت الا مرة واحدة
لأذهب وأرى ماذا حدث لزين ، سيدة الجواري الاحدى والأربعين
بعدما عدن من نبع الورود ، ترى هل علم أخوها ،
الامير أزين بهذه الأمور ؟»
سحب الاشهب العداء بقوة ،
واتجه نحو دار الأمير ازين ، قصر زين ، طرف النساء

* * *

عندما عادت زين من عين القسطل ، نبع الورود ،
دخلت منزلها واحكمت اقفال الباب على نفسها
لم تكن تقدر على النظر في وجه احد ،
وحتى وصيفاتها الجواري من شدة الخجل

كانت تقول لنفسها اذا سمع الامير بما اتياه من سوء الفعال
فسأمحى عن الوجود خلال ساعتين ،
وعندما سار الأمير أزين في رحلته الكبرى ، تنفست الصعداء شيئا
وفتحت الباب للجواري وجلست عند النوافذ
وراحت تفكر في ذهاب مم ، وتقول لنفسها
«ذهب الامير الى حرب العجم ، ويمكث ستة اشهر
باليته لم يأخذ مم معه ، وأبقاه في هذه الديار !
فيكون به لها سلوى القلب»
كانت تستعيد امام الاعين مشهد جلوسها مع مم قبل يومين ،
كانت منشغلة بذلك ، عندما سمعت في ظهر البيت قرقعة الحوافر
قالت لعلها وقع اقدام الجواي فنظرت ، كي تعلم من مهن هناك
فرأت فاذا بمي آلان ، ملك الكرد يدخل، فتنبهت زين ،
ونهضت قائمة فنسيت الخجل والخوف اللذين ساوراها قبل يومين
قالت «جئت خيرا وبعافية، على الرحب والسعة !»
مد مم يده الى زين ، وقال «اجلس ، ياست، فديت عينيك ،
من أجل ان اصل اليك ، لجأت الى سبيل الاكاذيب ،
وارتديت ثوب الجبناء ووضعت رجلي تحت ضربات السيوف»
فقامت زين كالطبيبات ، واتت بالضماد والدواء وكوت جرح مم ،
وداوته بالسماق وشدته باللفائف
قال بعضهم لبعض «ان لم يعد الامير حتى خمسة اشهر أو ستة ،
فإن هذا، والفضل من الله ، هو دواء داء العاشقين»
جلس احدهما جنب الآخر ، وصارا يتسامران ويتمازحان ، ويتحادثان ويتعاتبان

* * *

لنعد الى رحلة الامير أزين وبكو الشيطان ،
كان بكو يعد لهم الغداء فوضع في غداء مم سم الثعابين
وعندما جاء الامير أزين مع الفرسان ، نظر بكو الى الجميع
فرأى مي آلان غائبا. بقي حائرا. اسرع بالذهاب ، الى أمير بوتان قال :

«ياأميري ، اين مي آلان؟»
قال الأمير : «يابكو ، لاتنبس ببنت شفة
حدث لي ما اوقعني بين نهرين، فعندما انقطعت عنا ، وغدوت بين الفرسان ،
زلق سيف مم فوقع على رجله وأحدث له جرحا بليغا
وجاءني حسن ، كبير الاخوة ، قال جرح ضيفي مي آلان
ومن سحنته علمت ، ان الاخوة الثلاثة متألمون كثيرا
فلم اقل شيئا خوفا منهم، لم أرد ان ننشق على خصام ونحتكم الى السيوف،
لقد قالوا ليعد مم الى المدينة ويضمد جرحه
ولكي لايشك بنا أحد ، قلت ليذهب ،
ورجاؤك مقبول ياحسن ، على العين والرأس»
عاد مم الى المدينة ، الى منزل الاخوة الثلاثة
قال بكو «ياأميري ، اين ما اتفقنا عليه ، حقا انك تثير الخصام ؟
الم يكن هذا تدبيرا دبرناه لقتل مي آلان ؟
فاذا عاد مم من حيث اتى ، فلماذا توجه هؤلاء الفرسان الى حدود ايران
ثم قال «ياأميري تعالوا رويدا رويدا وسأسبقكم في الذهاب بساعات
سأكتب امرا وآتي به وأقول هذا أمر من قائد جيش الكرد
أن لم يعد هناك قتال ، ولكم الراحة ثلاثة اشهر.
فان عدنا بغير ذلك ، فسيكون حسن وجكو وقرة تاجين عنا في ريب»

* * *

رضي الامير بتدبير بكو الشيطان.
ساق بكو حصانه مسرعا ، يطوي البراري
وجعل بينه وبين الفرسان تلالا ووهادا
وعلى صهوة الحصان ، كتب امرا مستعجلا ،
ووضع تحته ختم قائد جيش الكرد
متى ما توقفت حرب العجم ثلاثة اشهر
فليعد كل من كان مشتركا ، فيها الى بيته.

وضع الامر في جيبه وعاد مسرعا الى الفرسان
اخرج الامر من جيبه ، واعطاه الى الامير امامهم
قال «بشرى لكم ، لقد أتيتكم بإذن الاستراحة لثلاثة اشهر
ليعد كل واحد الى داره واصحابه»
فتح الامير أزين الامر وتلاه بين الفرسان وقال
«صدق ما قاله بكو ، فالحرب قد توقفت، وحلت الراحة لثلاثة اشهر
وفي أدنى الأمر ختم قائد جيش الكرد
اذن ، فليعد الجميع الى أصحابهم
فليتوجه الجميع شطر مدينة جزيرة بوتان وقراها
وقف بكو الشيطان الى جانب الامير ازين ، في مقدمة الفرسان
وهو يفكر ، ماذا يدبر لمى آلان
بقي حسن وجكو وقره تاجين في مؤخرة الفرسان
وصاروا يتحدثون بهدوء
ودار الكلام عن ضيفهم الكبير مى آلان
كانوا يقولون «كيف نجد لدائه علاجاً؟»
قال حسن «يامعشر الاخوة ، واحر قلبي!
لن يوحي لي امر مى آلان بالهناء
أنا اعرف شيمه ،
كما يعرف كل واحد منا نحن الاخوة الثلاثة شيم الآخرين
انه امرؤ عاشق ، وهو في وداعة الاطفال وبراءتهم ،
انه رجل طيب ، ولن يعرف الخوف الى قلبه سبيلا
ولايعرف ان يحسب لاحد حسابا واعتبارا
وعندما عاد الى الجزيرة لم يعد على اي حال الى دارنا نحن الاخوة الثلاثة
انه يقول آلان هم في رحلة كبرى وطويلة وشاقة
ولن يعودوا قبل ستة أشهر على أحسن حال
آلان قد ذهب الى دار الامير ازين ، الى قصر زين ،
ووقع في الغرام
وسيعود الامير ازين وبكو مقبلين عليهما ، مباغتين اياهما

اذ ذاك سيقوم بيننا وبين الامير ازين خصام عنيف
وسيفنى في ذلك الخصام ، حشد من الناس ،
لايتمكن المرء من اخذ جثثهم
وستداس مدينة الجزيرة تحت الاقدام
اخشى ان يرتاب منا بكو ان ارسلت واحدا قبلنا
واذا وقع الامير من حديثه في شك
فسيقع فساد عظيم ايضا.
اقبلا وتناقشا
ليقل كل منكما ، ان حصاني اسرع عدوا ثم تشاجرا وسلا سيفيكما
وسآتي لافض الخصام
ثم ابعث شخصا لايشك فيه أحد .»
انقطع عنهما حسن وذهب الى جنب الامير ازين وصار يمشي معه

* * *

قال جكو «حصاني اسرع عدوا ، فيمكن للمرء ان يصيد به الغزلان
ولم يقع حصان مثله في يد احد
أنا قادر على ان اقول ان حصانا مثله لاوجود له في اصطبلات الملوك»
قال قره تاجين «ماأكذبك ! حصانك لايعادل عجلين .
انا وجدت بغالا مثله في مزاد مدينة جزيرة بوتان»
ثار جكو ، مد يده الى مقبض السيف ولكز حصانه بركابه
قال «ياهذا ، يافتى ، ياتاجين اتقول لي انني كاذب ؟
الا تدري اني سأقطع رؤوس الرجال؟ .»
وقف قره تاجين امام جكو ، كالشبل
قال «ياهذا ، يافتى ، ياجكو ، أتريد ان تزيحني عن الميدان خوفا»[1]
اتُشهرُ عليّ السيف وتهذي؟
أتحسبني من افاقي مدينة جزيرة بوتان!»
ومد هو أيضا يده الى مقبض السيف البتار

رأى حسن ان الفرسان قد تلاطموا ، وتعالى الضجيج
ويسمع بينهم صراخ جكو وقره تاجين ، كأنه زئير اسدين
فقاد حصانه ودخل المعمعة بينهما
قال «هيه أيها الفتيان ، مادمتما متخاصمين من أجل الخيول
فتسابقا وليبعد احدكما بحصانه ويلحقة الاخر
حتى تصلا مدينة جزيرة بوتان
منها يلمحكما ، ومعه الأمير أزين وجمع الفرسان ،
وهو الذي يحكم بالخسران على اي من الحصانين

* * *

كان بكو يفهم كل شيْ مثل الشيطان
قال «على كل حال هذه حيلة دبرها الجلاليون»
لقد أنقذوا هم منا بحيلهم والاعيبهم ،
وارسلوه الى زين كي يتسلى معها وينغمر في لجة المحبة
والآن ، اذ يريان اننا عائدون الى منازلنا ،
يهرعان مسرعين هكذا كي يخبرها ممي آلان»
توجه نحو حسن ، كبير الاخوة
قال «ياحسن ، أيحصر السباق بين الاخوين وحدهما؟
حمداً الله فقد منحنا جميعا ثلاثة أشهر من الراحة
وسنعود معاً سالمين الى دورنا واهلنا
وكل منا يريد ان يعجل في العودة الى أطفاله
فعيون النساء جمعاء على الدرب الآن
فليقودوا خيولهم ويتجهوا الى جزيرة بوتان»!

* * *

كان الامير ازين قد علم ان في كلام بكو سرا وليس هو بكاذب
لم يسمح لحسن بأي كلام
قال «صدق بكو ايها الفرسان الكزوا الخيول بركابها»
وقاد بنفسه الحصان وهو يطوي الارض ، ومعه بكو الشيطان .

فلما رأى الفرسان ان الامير يجري تراصفوا معه كسرب من الغرانيق
قال بكو «ان الحصن تجري الان مع بعضها
وسيتبين الحصان الأكحل في الميدان»!
تعالت صرخات الفرسان على صهوات الحصن الكحلاء والنجدية
وكان الامير ازين وبكو يجريان في المقدمة
ويبقى الفارس المتثاقل على جنب ،
ولم تكن العيون تميز المقدمة والمؤخرة بين الفرسان
حتى بانت لهم مدينة جزيرة بوتان

* * *

عندما احتال بكو بهذه الحيلة ، على الاخوة الثلاثة حسن وجكو وقره تاجين
ولم يبق لديهم حل من أجل مم وزين انضموا الى صفوف الفرسان
ومهما حرضوا الحصن ودفعوها
لم يقدروا على بلوغ المدينة والمنازل قبل الأمير ازين وبكو.
جاء الامير ازين وبكو قبل الجميع ، وترجلا عند البرج الابلق ،
امام عتبة الباب ، حيث النساء ، ربط بكو حصانه مسرعاً
وصعد مع الأمير ازين الى الطابق العلوي
قال بكو «ياميري ، كنت قد توجهت في رحلة عظيمة شاقة
وكانت اختك زين قد بقيت مهمومة
فعليك ان تذهب قبل كل شيء الى قصرها ،
وتجلس عندها بضع دقائق
فقد كانت مريضة ، وغشيها السأم والضجر
فاذا ذهبت الى قصرها ، باحثاً عن حالها
فستفرح كثيراً ، وستشفى من اسقامها وعللها
وأمسك بيد الامير وسارا نحو طرف زين حيث العاشقان

* * *

منذ ان وصل مم الى مخدع زين ، كان قد جلس معها ركبة بركبة
وكان يهمس في اذنيها

وهما في مسامرة شيقة
لم يكونا يسمعان شيئاً ، حتى وان تهدمت السوق
وصار عاليها سافلها
فوجئ مم ، اذ سمع وقع أقدام رجال عند عتبة باب زين ،
ولاحت صور الرجال امامه ،
فوضع زين تحت فرو عباءته ،
رأى مم ان الأمير ازين قادم مع بكو الى غرفتهما
قال مع نفسه اذا نهضت فستنكشف زين ،
وان لم انهض للأمير ازين اجلالا ،
فسيكون ذلك خلافا عظيما للآداب
كان مم قد جاء دون اذن من الأمير الى ناحية البيت ، الى حرم النساء
وكانت زين قد لملمت نفسها تحت عباءة مم كالبغام

* * *

جلس الأمير ازين مع بكو ، ولم يسلما على مم
وتغير وجه الامير ازين ، وصار كوجوه جلادي الرجال
وكان مم يفكر مع نفسه حائراً
ويقول :ترى ماذا يصيبنا نحن الاثنين؟
قال بكو «انظر ، ياميري ، الم اقل لك ان كذبة مم ، هي كذبة الخائنين .»
كنت تقول «كان جريحاً ، فأرجعته كي يضمد جراحه ،
اذن ماحسبه في طرف الحرم ، بين النساء؟
ان هذا يأتيك بعار عظيم
فعندما يسمع الناس بذلك في المدينة ،
لن يبقى لنا أمل واعتبار عند أهل هذه الاحياء الخمسة والعشرين
نوجه الأمير ازين الى ممى آلان ،
قال «يامم ، واحر قلبي
على المرء ان لايحسن في الدنيا عملا وان لايثق بالجهلة والغرباء ،

انت قلت لي ان عندي جرح سيف
فقلت لك اذهب الى دار حسن وجد لجرحك ضمادا
فجئت انت الى مدينة الجزيرة ، ولم تتوقف في مكان ما
ولم تجد لجرحك دواء
بل جئت الى البرج الابلق رأسا الى طرف الحرم ، قصر النساء
وليس هذا بشيمة الرجال والاخيار»

* * *

قال مم «ياأميري ، واحر قلبي
أنا ارى ان ماتقوله ليس بقول الحكام والامراء وليس هذا بدأب الحكام
فهم يسألون اولا ، عن اسباب الاشياء ثم ينطقون بالحكم
وفق عادات البلاد وقوانينها، فاسأل اولا كيف جئت الى هذا المكان
فعندما جئت نزلت في دار الأخوة الثلاثة وسألت عن الاطباء
لعن الله اشرار جزيرة بوتان وكذابيها
اذ قالوا لي لن تجد طبيبا عند الجلاليين، فاذا اردت موضع الاطباء ،
فاذهب الى البرج الابلق وجد لجرحك ضمادا
وأنا كما تعلم غريب لااعرف عادات البلاد ،
وقد قال الاسبقون الغريب كالأعمى ، لايبصر شيئا ولايفقه
فقد قمت، وتوجهت الى البرج الابلق ، موقع الحكماء
جئت الى هذه الغرفة ،
ولاادري في طرف الرجال هي ام في طرف النساء .»

* * *

نظر مم الى وجه الأمير ازين واثرت هذه الاقوال فيه
فكأن الامير ازين ، قد قُدّ من صخر ، ولايسمع كلاما
تبدل لونه واصفر كلون القتلة
وتضاءل حتى لم يكن يبدو منه شيء

قال لنفسه مادام موتنا قد أزف ، فلا أزف دماءنا تذهب هدرا
وحتى اذا كان الأمير ازين أبي ففي الأمر سوء وعار
فاذا أمرني الرجل الآن ان أخرج من بيته
فسيان أمر النهاية ، انها موتنا ، كلينا
اذن لايجوز ان لاأنهض، وان نهضت فستلمح زين تحت العباءة
فلن اتركها في مكانها مثل الغزلان
ان روحا وهبها الله ، سوف تقبض في هذه المرة ،
واليوم أفضل الايام لذلك
رأى ان الأمير ازين وبكو يفكران في ذلك
مدا يديهما الى مقبض السيف
وأدخل مم بيده اليسرى ضفائر زين والعذار القطراني تحت العباءة
ومد يده اليمنى الى مقبض السيف ، ونهض على ركبتيه

* * *

لنعد الى دار حسن وستي ، بنت عم الجلاليين
خرجت من القصر ونظرت الى طرف الغرفة ، موقع الضيوف
نظر فاذا بالاشهب العداء في وسط الغرفة مقيد بلجامه
مرت ، وجاءت الى طرف الغرفة ، فلم تر مم
كان هناك اطفال يلعبون فسألهم عنه
فأجابوه «لقد رأينا فارساً جاء على حصانه وترجل منه قبل ثلاث ساعات
توجه نحو البرج الابلق ، وصعد الى الطابق العلوي ، الى طرف النساء»
أدركت ستي ان مم قد توجه الى زين شفاء لغرام في القلب
قالت «في ذلك اليوم ، ذهب مم الى زين ،
عند نبع القسطل، نبع الورود
وشاعت بين أهل الجزيرة اقاويل عظيمة ، ووصل الأمر الى أفوه الافاقين
أنا سأذهب لاعيد مم الى الدار ، واقطع دابر الاقاويل
فتأتينا زين وترى مم عندنا ولن يسمع احد عن الأمر شيئا .

بلغت ستي باب الدار ، فرأت الأمير ازين قد ترجل مع بكر النمام
نظرت الى قصر زين ، حيث مم وزين يجلسان معا
قالت ستي «تعسا لنا ، فأمرنا في قبضة الخصوم ،
فسيقتل ضيفنا وسبلق زين عنده ،
وستلوكها الالسن ويلحقنا العار والشنار
صعدت خلف الأمير ازين الى الطابق العلوي
نظرت فاذا بمم جالس ، ملتفاً بعباءته
فعندما رأى مم ستي ، وأشار من كم عباءته الى ضفيرة زين
عادت ستي لتوها ، ورأت حسن قادما مع أخويه

* * *

قالت ستي «ياحسن تعساً لنا ، فمي آلان في حرج عظيم
جاء الى هنا ولم يخبرنا بل ذهب الى بيت الامير ، الى طرف النساء
وجاء الأمير ازين الآن في صحبة بكر الشيطان
وباغتاهما فأخفى مم زين تحت عباءته
اليوم وقعت روح ضيفكم في التهلكة ، وتحت الاقدام ،
فعليكم اما ان تردوا الضيوف ، او تتحملوا اعباءهم كالرجال
فضيفنا يولغ في بركة دم ، هيا انفروا لتخليصه من مأزقه كما ينفر الرجال
فمن جهة ، نرى ضيفك في ضيق عظيم ،
ومن جهة ظلت اختي تحت عباءته
فاذا لم نجد مخرجاً ، فسيصيبنا عار عظيم
أسرع فاذا وجدت في الأمر حاجة لقتل أخي ، فاقتله ،
فعليك ان تنقذ زين من هذا العار والشنار الكبيرين»
ترجل حسن ، واعطى ستي زمام حصانه وقال
«لاتقولي مثل هذا للاخوين» ثم توجه الى البرج الابلق
الى الطابق العلوي ، طرف الحرم والنساء
ورأى بعينيه مأزقاً فيه مم وزين
اذ كان الامير زين ومم يتخاطبان
وكان مم قد مدّ يده الى مقبض السيف نهض على ركبتيه

* * *

عندما رأى ممى آلان حسن ، عرف انه قادم لاغاثتها
وسيدبر على كل حال للأمر علاجا
فترخى قليلا امام الامير وبكو الشيطان ،
واكتفى بأن يُرى حسن طرفا من عذار زين من كم العباءة
عاد حسن للدار ، وحمل السيف اللاهوري البتار وقال
«ابعدي ياستي الخيول والبغال فسأشعل الدار ناراً»
اذهبي واستنجدي بالامير ازين لعله يبتعد عنها قليلا
فان لم يغادر موقعه ، فعودي لعلنا نفعل شيئا غير ذلك ،
حتى وان لجأنا الى قتل الرجال
انهال حسن على الخيول والدواب والبغال بالضرب
هرعت ستي الى الأمير ازين وقالت «ياخي ، انهض
فقد جن ابن عمك ، وانهال بسيفه على الخيول والبغال
انت اعرف به منا ، فسينهال على رقاب الرجال
تعال ، لعلك تجد له حلا وعلاجا كشأنك دائماً»
حاول الامير ان ينهض فأمسك بكو الشيطان امامه بعباءته
وقال «ادامك الله ! لاتصغ لما تقوله النساء
اجن حسن حتى يقتل الخيول والبغال ؟
ثم ان أمير مدينة المغرب يجلس امامك
ويتكلم معك في بيتك بفجاجة كما هو شأن الاطفال
فهل تريد ان يعود مم غدا الى بلاده ويبدأ بالطعن والتجريح
او يقول انهزم الامير أزين ، امير جزيرة بوتان أمامي في بيته
انصاع الامير لاقوال بكو.

* * *

رأى حسن ان الامير لم يأت فأشعل في القصر والمضيف نارا
فتعالى اللهيب والدخان
ضربت ستي كفا بكف ونادت «ياخي ، تعال وانظر اي دخان هذا؟
لقد أشعل حسن النار في القصر والمنازل

لم اصبحت قاسياً ولاترأف بأحد؟
علم بكو ان في هذا التدبير شيئا تململ الأمير مرة اخرى ليهض ،
فمد بكو يده الى كم العباءة
وهمس في اذن الامير قائلا «لا وفق الله هؤلاء الناس
الذين جعلوك اميراً لجزيرة بوتان
وأنت تنصاع لأقوال النساء
لعل النار قد اشتعلت في متبهم ،
ويريدون منك تحابلا وتفننا ان تهرب أمام ممي آلان
كي يتهكموا علينا غدا قائلين ولى الامير امام ممى آلان.
اجلس في مكانك ، مهيبا كصخرة راسخة»
قعد الامير مرة اخرى ، اذعاناً لقول بكو الشيطان

* * *

خرجت ستي من قصر زين واشارت بيدها الى حسن ان الامير لايأتي
والمسبب هو بكو الشيطان فأخذ حسن بعنق ابنه الصغير ،
ورماه بين الحطب المشتعل ناراً ،
فغدت ستي تصرخ بصدق هذه المرة وقالت
«ان قلبك ايها الامير كالصخر ، لقد رمى حسن بابني جلال في النار ،
فهل أبقى في هذه الديار؟»
هرعت ونظرت الى النار ، واذا بحسن قادم من هناك ،
وهو يشير اليها ان اغربي عن وجهي!
قفلت ستي راجعة جاءت الى الأمير وقالت
«اشعل الله النار في منازل الاشقياء فما في قلوبهم أثر للرحمة والايمان
لقد رمى حسن بابني الى النار ، وها قد أتاني شاهرا سيفه
هبْ وانظر ، انه يقف امام البرج الابلق كالجلاد
تململ الامير مرة اخرى لينهض فسحب بكو كمه ،
فعيل صبر الأمير ، ووضع كفيه على عينيه .

رمى بكو نفسه على الارض مستلقيا على وجهه ، وكأن البرق قد مسه
وخرج الامير الى حسن كي يسأل ، أي عمل هذا وأي اعاجيب
فوجد مم آنذاك فرصة ، فترك زين ،
فهرعت من الشباك الى غرفة الجواري
عندما سمع بكو وقع اقدام زين ، رفع رأسه ورفع يده من على عينيه
فرأى ان امرأة قد خرجت من تحت عباءة مم وذهبت الى غرفة الجواري
فصار يصرخ ويولول عاليا فالتفت اليه الامير ازين ،
فرأى طيفا في شكل امرأة خرجت من غرفة كان فيها مم
وهربت الى غرفة الجواري ،
واذ كانت ملابس زين وزوجة الامير من قماش واحد ،
لم يميزها الامير والتبس الامر عليه
عاد الى بكو قائلا «أرأيت فعال الأخوة الثلاثة ،
انهم يُقوِّدونَ في بيتي من أجل ضبيفهم»
سل سيفه ، وجاء الى ممي آلان امير المغرب
فسل مم سيفه ووقف امام امير بوتان
كان بكو يعلم ، ان شيئا قد حدث لمم ،
ولن يقدر على انقاذ نفسه من يد الاخوة الثلاثة
فجاء يتوسطهما

* * *

فلما رأت ستي الامر بأم عينيها ،
هربت وذهبت الى حسن قائلة «لم انت قابع في هذا المكان؟
لقد حرقت بيتك ورميت ابنك في النار ، فلم يجدك نفعاً
عندما خرجت زين هاربة ودخلت غرفة الجواري
أخذ بكو يولول ويصرخ ، فالتفت الأمير فرأى امرأة تخرج من الغرفة ،
فلم يتبينها ولم يتعرف عليها من لبسها
ويبدو مما يقول انه قد وقع في ريب ، من امر زوجته اختك
وهذا ابشع من كل ماحدث في القضية

لقد احتكم مم والامير آنئذ الى السيف
وبكو النمام يتوسطهما
فاذهب لعلك تدبر للامر حلا وعلاجا

* * *

هرع حسن مقبلا على هؤلاء الثلاثة
قال «ياأميري الوذ بك وبالرحمن، لقد احرقت داري بنار من حطب
ورميت فيها ابني وكان حبيبا في أعين الوالدين
كل هذا كي لاتستاء انت ولم يجدنا ذلك عندك نفعا
فبتَّ تشك وترتاب في شرفنا فمادام الامر قد بلغ هذا الحد ،
فلن نقول لك الا الصدق ، والله يحب الصادقين
ان ضيفي هذا ، هو أمير المغرب ،
ورأى زين في المنام وهو في بلاده
فأحب زين ، خطيبة جكو ، ابنة عم الأخوة الثلاثة
فتغاضبنا عن حقنا من أجل ضيفنا مى آلان،
وما الامر الا مايراه ويأمر به أمير مدينة جزيرة بوتان»
عندما فهم الامير المسألة ، اعاد سيفه الى الغمد وفعل مم مثله ،
وخرج بكو النمام من بينهما
قال الامير «هيا، نحث الخطى : ياليتنا قد ذهبنا الى دار حسن لترونا
عسى ان لم ينل منها الحريق كثيرا ، فنقدر على اخماد النار»
قام الثلاثة ونهضوا معا
وجاءوا الى دار حسن ، حيث يتصاعد لهيب النار من الحطب
لم تبق الجدران والغرف ، اذ انهارت كلها
نظروا فاذا بستي تتجول وتمطر سيل الدموع على خديها
سأل مم الحضار والغلمان ،
قائلا «لماذا تذرف ستي الدموع؟»
قال احدهم «امسك حسن بابنها الصغير جلال

ورماه بين الحطب المشتعل نارا
عرف مم ان كل هذا قد جرى بسبب منه ومن زين
فصار يصرخ ويستغيث بالأولياء والانبياء وعمر بك شيخ القرشيين
ورمى بنفسه في الحطب المشتعل نارا
جال في النار برهة ، ثم خرج وهو يحمل ابن حسن على يديه
لم يحدث له شيْ ، ولم يحترق منه حتى الملابس
حمله واعطاه الى ستى قائلا «ياختي هاك ابنك ها هو ذا»
فحار اهل الجزيرة من هذا
وصاروا يكبرون ويسبحون معا
وخمدت النار في مكانها.
أما دار حسن فلم يبق فيها حجر على حجر
وعاد الجميع الى دورهم
وبقي مم والاخوة الثلاثة هناك.

* * *

قال مم «ياخي انا اريد ان اقول لك كلمة او كلمتين»
قال حسن «قل ياخي ، فعلى الرحب والسعة»
قال مم «واحر قلبي ياخي أنا أعرف اني سببت لكم كل هذه المصاعب
فمن اجلي احرقت دارك ومنزلك
وعادتنا نحن أهل المغرب ، أن اعوض عن أضرار الدار والمنزل»
قال حسن «ياخي لاتنطق بمثل هذا الكلام مرة اخرى
اذا جاءنا اي ضيف ، وتعاملنا معه بمثل هذا ،
فعلينا ان لاندخل اي مجلس للناس
انت مسحت عنا عارا كبيرا »..
قال مم «انا لا اقصد ان اقابل رجولتكم ومروءتكم بشيْ
ايها الاخوة الثلاثة ، فاذا وهبتكم اموال مدينة المغرب وخزائنها كلها ، من أجل ذلك
فلن اقابل مابذلتموه من رجولة في ساعتين فقط .

فعندما جئت من بلادي ، كنت قد ملأت حقيبتي جواهر ثمينة
فهل أعيدها مرة اخرى الى خزائن امير المغرب
لقد أتيت بها كي تغدو لآلامي وهمومي ذات يوم علاجا
لقد قلت لي ، انك بعد اليوم اخ رابع لنا
اليوم احترقت دارنا ، وبقينا في العراء والخلاء
افلا يقضي الواجب ان نعيد بناء بعض القصور والمنازل؟
وحسن فظ صعب المراس لايصغي للكلام قط
قال «ان مددت يدك الى شيءٍ ما
فسأثور عليك اي ثورة ومهما حاول فلم يجد له حلاً وعلاجاً

* * *

في تلك اللحظة بلغهم ان جيش العجم قد خرق حدود الكرد
وان لم تدركوه ، فلن يمضي بضعة ايام
حتى يدوس الاعراض والعيال بحوافر خيله
أرسل الأمير ازين خبراً ،
الى حسن وجكو وقرة تاجين الاخوة الثلاثة
قال ان العدو خرق بجيش لجب حدودنا نحن الكرد ،
والعبء الثقيل ، كان دوماً على عاتقكم انتم الاخوة الثلاثة
لقد اخبرت الفرسان ان لا ينتشروا ولايعودوا الى دورهم ،
فليركبوا مسرعين ، وليأتوا ان الفرسان ينتظرونكم انتم الاخوة الثلاثة
فأمر حسن اخويه مسرعاً ان يحملوا الدرع الداودي
ويحزموا خصورهم متمنطقين ويضعوا حمائل السيوف على اعناقهم
ليذهبوا الى اصطبل الامير ازين ويأتوا الي بثلاث حصن كحل عادية
ويسرجوها ويشدوا احزمتها لكي تلحق بالفرسان وتتقدمهم
والتفت الى مم قائلا «ان حلت الفروض فعليك ترك النوافل
اذن ها انت ، وهذه الدار ، لقد قلت مرة واحدة اننا اخوة
قال مم «انتظروا دقيقتين ، كي امتطي الاشهب العداء»
قال حسن «ياأخي ان مجيئك عار عظيم لنا
ففي المرة السابقة ، حجزونا في الغرفة كالاغبياء

اما في هذه المرة ، فلن ندعك تأتي لاي حرب»
سار الثلاثة في الدرب وبقي هم حيث كانوا ،

* * *

وفي الصباح ، نهض الامير ، وتوجه الى الرواق
مر امام الغلمان وجاء الى الديوان ،
وجلس على عرش امير جزيرة بوتان على العرش المذهب الفضي ،
المرصع بالجواهر ، وبلل شفتيه بالشاي من فنجان فغفوري
قال ارفعوا المائدة فلست اشتهي قوتا او شرابا
لم يدع الامير الغلمان ولم يسأل عن القضية ولم يجرؤ احد ان يذهب اليه
فقد عرفوا ان الامير عليل وضجر
فذهبوا اليه ونهضوا معه مغادرين الايوان
واخيرا ، جاء بواب وهو شيخ محترم وتقدم اليه
واشعل غليون الامير ، ووضع جمرة على النار ،
واخذ يدور حوله ومد يده الى وسادة ، وهو يسعل ويتحرك
فلم يعره الامير اهتماما ،
فحار الشيخ في امره وخرج مديرا ظهره الى الباب ،
وعاد الى الغلمان ، ساكتا أصم
سأله الغلمان قائلين « هل قال لك الأمير شيئا ، ياعم؟»
لم ينطق بشيْ ، هز رأسه ، وكالأخرس قال «لا»

* * *

كان الأمير يفكر عميقا ، وهو حائر في امره
كانت الوساوس تدور في رأسه ،
وكان مهموماً لم يقرب النوم عينيه
كان الأمير يفكر في شيْ ويحار في جوابه :

لماذا لم يذهب مم مع الامير للحرب والسفر؟
بقي في المدينة ، وعندما جاء الأمير مع الرجال من خارج الغرفة
لم يقم ممي آلان من مكانه ، ولم يتحرك ،
بقي على الارض منهوكاً ، ولف نفسه بعباءته

* * *

بكو ، بكو النمام ، هو كلب امير بوتان
كان يقف خلف الباب
وهو يفكر بما كان يفكر فيه الامير
كان يقرأ مافي قلب الامير ، وقال هذه هي فرصتي ،
مقبلا الارض ، ذهب الى الغرفة ، قال للامير : «ياأميري ، ياسيدي»
ألم يكن القصد ان نفتح خزائن القلوب؟
ليذهبوا وينادوا ممي آلان من عند رفاقه فلاتطاول واقل
انا عبد الامير ، جربه وتعامل معه
بلل ثوبه ، وارفعه ، وضعه امام ضوء الشمس
لاتتركه ، ارفعه ، اقعده ، اوقفه الى النهاية فأنت ترى كل شيْ بعينيك
هكذا كان بكو يقول «كن معه متجبرا ولاتعر للامر بالا»
جاء بكو ، قامْ وقعد وحرك شفتيه وقربهما من الامير وحدثه
صدّق الأمير تلك المشورة ، وقال للغلمان والخدم
«اذهبوا ونادوا لي ممي آلان وحده ،
انا لااريد اليوم ان اري في حضرتي اولاد العم وابناء العمومة
ليذهبوا ويفرشوا ساحة البيت ويهيئوا لعبة الشطرنج
ويدعوا عظماء بوتان ونبلاءها وكبار رجالها»

* * *

كانت الشمس تقارب الضحى ، وتلقي بضوئها على سور البرج الأبلق
وكان ضيوف الامير يأتون زرافات ووحدانا

وجاء مم آلان فرحا وأطل على المجلس
كان مم يقول «لقد غفر لي الامير ، وغض النظر عن الاساءة
فتلك هي عادة الامراء والحكام»

* * *

انهال الضيوف على خوان من المشوي والمقلي والمحشي
فمنهم من يذخن غليونه ، ومنهم من يسمع قصصا
قال الامير لمم «ياضيفي العظيم ، المكرم !
أنا ارغب اليوم في ان العب على شرط ما
هذا هو الشطرنج ، تفضل وتقابل معي في شرط واحد بسيط ،
من يخسر فليعهد بنفسه الى مهرجي الساخر
وسيخرج معه ويلعب معه كما يهوي برهة»
قال مم «سمعا وطاعة ياسيدي ، لما يأمر به امير بوتان اليوم»
نهض وأتى ، جلس عند الشطرنج وجمع الشاه والفيل والملك
كان مم لاعباً ماهراً ولم يكن الامير يعرف ذلك وجال الامير ومم جولة معا
وعرف المتفرجون ان مم آلان مقتدر
ولن يقدر الامير ازين على رفع الاحمال والاثقال
انهال بالرماح والنبال والعصي[1] على جنود الأمير
وخرق الصف الاول ، وسار الى الميمنة ثم دخل الميدان
وأطاح بالفرسان من على الخيول ، وداس المشاة تحت حوافر الفيلة
اخذ احمال الضرائب من العدو وساقها امامه
تقرب من الشاه وأسر الرخ[1] والملك
رأى بكو ان خديعته فاشلة
فلم يعط مم فرصة ، وانتصر على الأمير في ثلاث جولات ،
رأى بكو سوء الختام وفشل الامير وانتصار مم جولة بعد اخرى
وكان قد وعد الامير ان يمسك بمم متغلبا عليه ،
وقع نظر بكو على زين ، كانت جالسة عند النافذة خلف مم ،

ومن الأعلى ومقابل الأمير تطل على الفناء
ضحك بكو فرحا وقال للأمير:
«ياميري ياسيدي ، ان حظ الرجال في اللعب يأتي احيانا من اماكنهم
فوجب ان يتبادل الامير مع مم مقعديهما
ليجلس مم مكان الامير ويجلس الامير في مقعد مم»
تبادل اللاعبان مقعديهما
وجلس مم امام معشوقته الحبيبة ولكنه لم يرها
نهض بكو مرة اخرى ، فتح فاه وقال للجالسين
«قد يكون برجنا هنا برجا قديما ، زين بنقوش عجيبة»
فرفع مم آلان ، عفو الخاطر، رأسه ، باستحياء
فوقع عين العاشق على المعشوق
غاب عنه رشده ، وفقد القلب احساسه
وكانت الروح ظامئة ، فذهبت وطارت
كانت يد مم تأتي وتروح على رقعة الشطرنج ،
فلم يعد مم يعرف ما اللعب ، وماذا يعمل الامير
وكيف يلعب
كان يعطي فيله وحصانه بصمت[1] او مقابل جندي ما وكان ملكه يؤسر
وجنود الامير يأخذون فرسه مثل بغلة أسيرة. كان بكو يقول
«ياميري ياسيدي ، ألم اقل لك ان اللعب مفرح ومعقد!»
كان الامير ازين يصدق ، ويعكف على الصولة والجولة ،
لم يطل اللعب كثيرا.
فقد مم طاقته وربح الامير ست جولات
رفع الغلمان والخدم رقعة الشطرنج
أمر الامير ان يتوجه كل واحد الى رواقه
وصعد الامير الى طرف الدار

* * *

تفرق الجميع ، وغدت ساعة الدار منهم خالية
ونهضت زين وتركت ناقذتها

قام بكو، وتقرب من مم وقال له: «ياأبن الملوك ،
نفذ الشرط بينك وبين الامير ، فتفضل وأطلق يديك ورجليك»
قال مم «وليكن ولأر ماهي لعبتك»؟
ذهب بكو وأتى بحبل شد به وثاق مم
قام مم وتحرك من مكانه قليلا
فتقطع الحبل اربا اربا
آنذاك توجه بكو الى مبنى البرج وأتى بسلسلة
ولم ينطق ممى آلان مرة اخرى بكلمة وأرخى يديه ورجليه
وشد بكو بشدة وثاق ضيفه وربط الحلقات والعقد بعضها ببعض
حار مم هنيهة ، وكأن جمرة حارة تخرج من فمه نفخ بها على السلسلة
احمرّ الحديد ، ذاب وتململ ووقع على الارض فصار ثعباناً ضخماً
هرب بكو امام الثعبان وتنحى جانباً ، وتغوط على نفسه
ضحك مم ، ثم صفر فنظر وتخدر الثعبان وصعد الى السطح
بلغ الثعبان قمة البرج، نظر بكو فاذا به يلتف حول مم
صار بكو يتوسل ويقول لمم ياسيدي ترى متى أتمكن منك ،
عليك ان تسمح لي بنفسك
قال مم ظاناً مع نفسه «لعل كل الامر لعب ومزاح»
قال مم للنمام «ياهذا اذهب للاصطبل
وأت بخصلات من شعرات ذيل الاشهب وعرفه
واربط بها خصلات من شعري ، فسيغشى علي وسأبقى ساعة مغمى علي»
لم يقصر بكو ، اذ أتى بخصلات من شعر الاشهب
وجز من شعر مم خصلات
شدها بعضها مع بعض وصنع منها خيطا رفيعا أنيقا
وربط بها اصابع مم ويديه
لم يتماسك مم. تخدر ثم اغمي عليه ، واضحى حملا خفيفا
كان بكو قد أرعبه هذا الحال العجيب
ثم تذكر الأمير ، فحمل مم آنذاك مسرعا
ذاهبا به الى مبنى البرج ، وأنزله في زنزانة عميقة ، مظلمة

* * *

لم ينم مم تلك الليلة في الزنزانة حتى بلغت الشمس الضحى
كان يفكر دوما في نذالة الامير ازين وبكو الشيطان
وكان يقول مع نفسه: «لن يحدث شيٌ دون تقدير من الله
لقد طرت عاليا وهبطت منخفضا بين ايديهما
عندما كنت اغضب من أحد ، كنت أرميه مثلهم في قعر زنزانة
لم أكن افكر ان فوقي رب العالمين ملك الملوك
من يدري ، لعل آهات الفقراء والمساكين ومظالمهم
قد اوردتني هذا المصير»؟
عاد اليه وعيه، فقال «تعساً لي أليس فيّ عصب من رجولة؟
عندما يبتغي المرء امرا فلابد له من ان يتوقع الصعاب
انا تركت ابويّ وعرشي وتاجي
من اجل العيون السود ، البلق ، التي لانظير لها
اليوم وقعت وحدي في المأزق فتراودني افكار خسيسة
اذا سجنت ورميت في السجن فما ذلك الا من أجل زين الزينات
وعندما خرجت من بلادي كنت اضع هذا نصب عيني
المرء يجهل كيف يفتح الله له ابواباً»
ليقبع مم في تأملاته هذه في قعر زنزانة ، ولنذهب معا الى سنى ،
اذ حلت محل الأخوة الثلاثة

* * *

عندما ذهب مم الى الأمير ازين ، لم يكن قد اخبر ستي بذلك
حل المغرب ، وحان وقت العشاء
نظروا فرأوا مم غائباً قالوا لعله لبى دعوة ما لوليمة
انتظروه الى الساعة الرابعة ، ونصفها والخامسة
لم يأت مم
نهضت سنى قائمة

نادت العزاب والغلمان الصادقين
قالت «يافتيان ها قد مضى الليل ولم يعد ضيفنا مى آلان
اذهبوا وابحثوا في كل مكان ، تظنونه فيه ، الا وفتشوا فيه عنه.
ترى اين هو ، قولوا له ان اختك ستى قلقة عليك
امسكوا به وأتوا به للقصر ، آنذاك اتمكن من النوم ،
اذ لا انام خوفا من حسن واخويه»
انتشر الغلمان في الأزقة والدروب
لم يبق مكان ، ظنوه فيه الا وفتشوا فيه عنه
على اي باب وقفوا رأوهم نياما فلم يحتاجوا لحديث وسؤال
عادوا خائبين الى ستى ، أخلاء الوفاض من أثر او خبر
قالوا «ياسيدتي لم يبق باب امير وسيد ونبيل
وطرقنا ابواب التجار .
كل غارق في مسراته ، وباتوا في الليل نياماً
والمرء يخجل ان يطرق ابواب ذوي الشهامة بعد منتصف الليل»
سهرت ستي للصباح ، ولم يطرق الكرى جفنيها كالمعلولين
وعند الصباح كان الغلمان في طرف ، وكان الدلالون في طرف .
لم تبق مكاناً في مدينة جزيرة بوتان الا وبحثت عنه فيه
وعندما يئست ستى من رؤية مم ، اقامت في الدار مناحة عربية كبيرة
كانت تعلم ان حسن واخويه ، سيثوران اي ثورة[1] عندما يعودون

• • •

لنذهب الى زين ، صاحبة الهم الاكبر في القلب
عندما سمعت بغياب مم وضياعه في مدينة جزيرة بوتان
كانت تعلم انها كارثة فادحة وبلية كبرى
وكعهدها وقفت خلف الباب ، تسكب الدموع ليلاً ونهاراً .
وفي كل ساعة تبعث الى ستى بجاريتين او ثلاث
كانت تأمل ان يجدن مم آلان امير المغربيين

وكلما عادت جارية ما سألتها «ترى الم تلق مم آلان ، ملك الكرد ؟»
وعندما تجيب الجارية «لا» كانت ستى تذرف الدموع مرة اخرى
كانت ترفع يديها وتتوجه الى الله ملك الملوك وتقول
«رباه ! أهلك المسببين ، الذين اوقعوا في قلبي وفي قلب مم حسرة كبرى»
بقيت زين على هذه الحال الى اليوم الثالث ،
لم تكن تأكل او تضع رأسها على فراش ووسادة
وكانت عيناها ترنوان الى الخارج ، وفكرها منصبا على حديد النوافذ

* * *

بقي مم في الزنزانة ثلاثة ايام لم يحمل اليه احد ماء ولم يعطه احد لقمة خبز .
لم يكن لديه قطعة من فراش ولا سرير
لم يكن بقادر على ان يحني رأسه ويقضي وطرا من نوم
وعندما يحل موعد الصلاة يصلي خمسا ويرفع رأسه الى الله
ويقول رباه ! انت اعلم بحالي ، قدري في يد الانذال المارقين .
رموني في هذه الزنزانة دون ان يعطوني ماء ولقمة خبز !
وبعد صلاته كان ينهض قائما
سئم في اليوم الثالث من نفسه ، وبقلب محترق رفع رأسه الى ربه
وقال «رباه ، انت رب كبير ، أسألك ان تخلصني من براثن هؤلاء»
والا ، فاقبض روحي وانقذني من هذا العذاب
سيان عندي طول العمر وقصره
فارض القبور افضل عندي من هذه الحال
قد يوقع الله عباده[1] في مأزق
ولكنه عندما يتوجهون اليه يستجيب للدعاء
قربت هذه الاقوال النوم من عيني مم .
لم يكن بقادر على ان يقف على قدميه
في ركن من الزنزانة وضع رأسه تحت ردائه وكأنه نائم في فراش وثير
راح في سبات عميق .
لنبق مم نائماً ، ولنعد الى ابنة بكو الشيطان

* * *

عندما بلغ مم في الزنزانة يومه الثالث جاءت ابنة بكو برمانة
وثقبتها برأس مخرز ودست فيها سم ثعبان كاشاني
لم يكن الموسم بموسم رمان ، ولم تكن تجده في مدينة جزيرة بوتان
وضعت الرمانة في جيبها ، وجاءت الى زين مسليا اياها
لم تأذن الجواري لها بالمرور
قالت ابنة بكو «انا جئت ببشارة تزيل مافي القلب من الم»
وعندما اخبرن زين بذلك ، قالت «لتأت ، نرَ ماعندها من اخبار»
جاءت ابنة بكو واثقة ، كامرئ في جيبه أمر
عندما اتت الى زين ، انحنت وقبلت كميها
وانفجرت عن سيل من الكلمات والأقوال ، مثل ابيها الشيطان
قالت «فديناك انا وبكو الشيطان
انا سمعت انك واقعة من جديد ، في حزن اعمى
انا افهم مابك من علة وقد بحثت ووجدت لك دواء
انا وجدت لك دواء بين قرون تنينين
تعساً للأمير ازين ولأبي بكو النمام
فقد قاما بتآمرة كبرى فخدعا مم ووضعاه في شباك
لعلك تتذكرين عندما امر الامير ازين الغلمان قبل ثلاثة ايام
وقال اذبحوا ، عدداً من الانعام
وبعث برجل الى دار حسن ، ليدعو ممى آلان
قال له ، هناك وليمة فليتفضل الى دار الامير ويتناول لقمة خبز
انت تعلمين ان حبك قد اصاب مم بالبله ،
فقد قام دون ان يخبر اختك ستى ، ويخبر الجلاليين
وبعد الغداء ، بدأوا يلعبون الشطرنج الى الساعة الرابعة
واحتالوا على مم مراراً وتكراراً
وفرضوا شروطهم عليه وسجنوه وشدوا وثاقه
وبعد ان شدوا يديه ، رموه ارضا ، وسحلوه على قدميه
وفي الطابق الارضي من مقر الأمير أزين ، رموه في قعر زنزانة ،
ها قد مضت ايام ثلاثة بلياليها ، ولم يعطوه قطرة ماء او لقمة خبز .

اليوم قص عليّ ابي بكو الشيطان قصته
وكنت اعلم ان الهموم لاتدعك تنامين ، فنهضت وجئت ،
وأتيت اليك بهذا الخبر..»

* * *

توقفت ابنة بكو قليلاً بعد هذا الحديث ، ثم واصلت
«ياسيدتي ! سمعنا ان مم ملك الكرد لم ير في عمره صعاباً ،
جسده رقيق ، كاوراق الورد وقد اوهنه الالم ، في هذه الايام الثلاثة
واخرجت من جيبها الرمانة وقالت أنا جئت له بهذه الهدية فتفضلي..»
قامت زين وقبلت عيني ابنة بكو ، وقالت
«اذا منحني الله فرصة فلن انسى خير احد»
تناولت منها الرمانة ، وانتظرت المساء كي تذهب الى ممي آلان
وعندما دبرت ابنة بكو هذا الامر ، عادت الى دار ابيها الشيطان

* * *

لنعد الى نوم ممي آلان
عندما غالبه النوم في قعر الزنزانة بعد حزن والم
رأى في الحلم انه جالس مرة اخرى على عرشه ،
ذي القوائم الأربع في مدينة المغرب
وفي طرف بعيد يجلس اخوه بنكين ، مع ابناء الشجعان
وامه العجوز والأب الشيخ ، والعمين الأجلين
جاء الى مجلس عمر بك ، خال مم شيخ القرشيين وقال
يامم لاتحزن ، فلن يبقى ملك الدنيا لأحد
ان بقي المرء عشرات السنين ، او عاش آلاف السنين
فلا فرق بينهما للعقلاء من البشر.
اليست الدنيا بنفسها مثل حلم
بقيت من حياتك ساعتان او ثلاث ساعات
انك سترحل من هنا وتذهب الى الآخرة الى حضرة ملك الملوك
وسنأتي نحن ذات يوم ونحل عليك ضيوفاً
فبعد لحظات ، تأتيك زين الزينات .

ستأتي وفي يدها هدية ، اعطتها اياها ابنة بكو الشيطان
وقد ملأوا الرمانة الهدية بسم ثعبان كاشاني
وزين لاتعلم بهذه المكائد والحيل
ان زين صادقة معك ، قلباً وروحاً
عندما تأتي بالرمانة اليك ، فخذها وكل بضع حبات
فأنت ميت ، حتى وان لم تأكلها ، فالك من حل وعلاج
هناك قول صادق ، يقولون عندنا نحن الكرد
ان رأساً حان اوان قطفه لايفدى بأي مال
جاء أجلك ، ان تموت بأيدي الظالمين وان تبلغ مراتب الشهداء والأولياء
وستموت زين بعدك بسبعة ايام ، وسيحقق الله آمالكم في الآخرة ،
وسط اعراس الحور ، وستقومان بالعرس وسط الجنة»
كان مم يسمع هذا الكلام ، عندما فتح عينيه واستيقظ من نومه
فلم ير عمر بك ، ولابتكين ، ولا الأم العجوز و الأب الشيخ
ورأى انه راقد مرة اخرى ، في زنزانة ، في جزيرة بوتان
تحت دائرة الأمير ازين ، امير الجزربين .
ومارآه ، ان هو الا حلم ليل
تعساً للسجن ، فلا يميز فيه المرء الليل عن النهار ،
غير ان هناك حجرا من جوهر في سلسلة ساعة مم ،
ينير كالسراج فعر الزنزانة

* * *

عندما عم المساء ، خلعت زين ملابسها ، ولبست لباس الجواري
حملت في جيبها رمانة أتت بها ابنة بكو الثمام
كانت تسير الهوينا ، وكانت تخشى ان ترفع صوتها
توجهت نحو طرف الزنزانة ماشية
ولم ير احد من غلمان الأمير وحراسه زيناً
جاءت الى مدخل الزنزانة ، فنظرت ، فاذا بمم آلان جالس فيها .
وكانت جوهرة في سلسلة الساعة تشع كالسراج ضياء .
كان مم جالساً ، يفكر .

نادت زين ، قائلة «يامم واحر قلبي !
الا قاتل الله الأمير ازين وبكو الشيطان اذ سجناك ،
ورميا بك في الزنزانة ، ألا تباً لهما من قاسيين لئيمين .
وبعدك ، اظلمت الدنيا في عيني ، كوجوه الاشرار
ما كنت اعلم ان أهل جزيرة بوتان ، لؤماء مؤذون الى هذا الحد
ومن لؤمهم انهم يظهرون الرجولة امام الغرباء
ويرمون في قعر زنزانة بمعى آلان ملك الكرد
ولايعطونه فراشاً او قطرة ماء او لقمة خبز»

* * *

قال مم «يازين واحر قلبي ما ألقاه من اجلك خير في خير
ان من لايلقى الصعاب من اجل حب في قلبه ليس برجل
الله وهب الرجال للموت ، ونصيب الكباش هو السكين دوماً
لاتحملي هماً من اجلي ، نعم انهم لم يعطوني قوتاً وشراباً منذ ثلاثة ايام
ولكنني شبع بفضل الله دوماً
انا وانت كنا متحابين بقلب صاف ، والله فوقنا وهو يرانا»

* * *

قالت زين «يامم ، فديتك برأسي ، ماهذه المصيبة التي اصابتنا
الشمس تشرق على الدنيا ، ولكنها لم تشرق علينا
لاتحمل في قلبك هماً ، فعندما يصل الخبر الى الجلاليين
فاعلم ان الشمس قد اشرقت علينا
دونك هذه الرمانة ، وكلها ، حتى اعد لك غذاء شهياً ، دسماً

* * *

فتح مم عباءته فرمت زين الرمانة فيها ، تناول مم الرمانة ،
وقال «يازين ياقلبي المحترق ، ياحر قلبي
قبل ان تأتي كنت مستلقياً نائماً هنا ، وصرت احلم
ورأيت اني جالس على عرش ذي قوائم اربع في مدينة المغرب .
وحولي جلس الأب الشيخ ، والام العجوز ، مع العمين الأجلين .
كنا نتجاذب اطراف الحديث معاً .

فرأيت عمر بك ، خالي ، شيخ القرشيين مقبلاً علينا قال لي
«يامم لاتحمل في قلبك هماً لهذه الدنيا ، هذه الدنيا فانية ،
ولن تخلد حتى للأنبياء والاولياء
وسيان عند العاقل المؤمن ، اعاش عشرة أعوام ام الف عام
بداية الدنيا ونهايتها كاذبة ، كحلم كاذب في ليل
ان رأساً حان أوان قطافه ، لن يفدى بالمال ابداً
ان زين ستأتيك بعد ساعتين
هناك رمانة ملأتها ابنة بكو الشيطان سماً واعطت زين اياها ،
وتحملها زين اليك ، ولكنها لاتعرف السر.
زين صادقة معك ، روحاً بروح يافتى ،
قد جاء اجلك ، فعليك ان ترحل الى ارض القبور.
انت تموت وان لم تاكل الرمانة وهذا قدر من الله
ولكن خذ بضع حبات ،
ولاتهب الموت كالرجال ،
الخوف من الموت ، شيمة الجبناء والرجال الخسيسين
سيحقق الله املكما ، انت وزين وسط اعراس الحوريات
وستموت زين بعدك بسبعة ايام
يازين ، مامن منة للعباد علينا بعد ،
املنا سيتحقق في الآخرة بأمر رب العالمين ملك الملوك»

* * *

قالت زين «يامم فديت رأسك ، لاتأكل هذه الرمانة
انا لم اكن اعلم انهم قد احتالوا علينا ووضعوا فيها سم ثعبان كاشاني
ان كنت تموت ، فلا تمت بهذه الرمانة انما جئت بها اليك كهدية
ولكنها ستغدو على قلبي حملاً ثقيلاً يامم ،
اتوسل اليك ، ان لاتحملني هذا الوزر
ان مت على يدي ، فستغدو لي الدنيا جحيماً وسجناً
فديتك ، هل رضيت بالموت ، اثر رؤية حلم في الليل
ثق ان هذا ليس من شيمة الرجال

فديتك ، اسمعني ولاتاكل من سم الرمان
انا سأجلب لك الماء والغذاء ليلا
وسأخبر ستي ، كي تكتب رسالة الى الجلاليين
فعندما يسمعون بلؤم الأمير ازين وبكو النمام لن يهنأ لهم بال ،
بل سيأتون كالذئاب وسيخرجونك من قعر الزنزانة
لعل الله يحقق املنا ونذهب معا الى مدينة المغرب»
قال مم يازين ، لن اقبل بعد هذا في هذه الدنيا منة من أحد ،
ولا اريد ان يعود الجلاليون كي يقتلوا من اجلي الرجال
انا اريد ان اموت ، واصل ارض القبور
ان هذه الرمانة ، هي لي خير دواء»
فقطع مم الرمانة ، وملأ كفه بحباتها
قالت زين «استحلفك بحسرات في القلوب ان لاتأكل هذا الرمان
كي لا اغدو بيدي سبباً في هذا الأمر
مادام هناك موت ، فاستعدي لتتلقفيني ،
فسأرمي بنفسي وآتيك ، الى قعر الزنزانة
كي اضع رأسك عند الموت على ركبتي
لنمت معاً في الزنزانة
فأنا لااريد ان ابقى في الدنيا بعدك وارى احداً»

* * *

قال مم «انت طيبة يازين
انت دواء لقلبي ، لألمي وجرحي
لقد كتب الله الموت لكل انسان في حينه ولا رادّ لمشيئته
اترمين نفسك في الزنزانة ، اترين حالي ؟
الم أقل لك انك ستموتين بعدي بسبعة ايام وستلحقينني
ان قمت بهذا ، فستتركين لنفسك ذكراً سيئاً
وستتركين بعدنا اقاويل الناس حولنا
ها قد بلغت الساعة الثانية والنصف ، واعصاب جسمي مخدرة ،
كأنها في لحظة الاحتضار .

هيا القي في فمي بضع حبات من الرمان ،
لتبقى الدنيا الحقيرة للئام»
رفع مم يده ، ومد حبات الرمان الى فمه ، وامرها من بين شفتيه وأسنانه
اغمض عينيه ، والتهم الحبات مرة واحدة وبلغ السم احشاءه
زاغ بصره ، وفقد حياته ، واسلم روحه الى بارئها

* * *

عندما رأت زين ان مم قد مات ، أخذت تلطم وجهها
وتصرخ وتستغيث
وفي لمح البصر اتت بمقص واخذت تقص العذار البنفسجي
ورمته على جسد مم ، في قعر السجن والزنزانة
عادت الى القصر ، وصرخت في الاماء وقالت
اركضن ، واذهبن الى دار الجلاليين . قلن لأختي ستى
«ليبق عز دار أبيك في قبضة الاعداء
لقد قبضوا على ضيفكم ، ورموا به في قعر زنزانة
لقد مات في السجن رجل مثل ممى آلان ، ملك الكرد ،
وانت مازلت في مأتم ، وتسألين دلالي جزيرة بوتان ،
فابعثي الى حسن الخبر مسرعاً ، والى جكو وقرة تازين ، الى الاخوة الثلاثة
لعلهم يأتون ، ويخرجون جسد ضيفهم من الزنزانة
وانا سأموت بعد مم بسبعة ايام ..»

* * *

ركضت جارية ، ويممت وجهها صوب دار الأخوة الثلاثة ،
اوصلت كلمات زين الى ستى ، وزادت عليها بضع كلمات
وساد في بيت حسن مأتم كبير . لم تكن ستى تخاف اي مخلوق
ان الذي قد مات ، هو ضيفهم الوسيم ، ممى آلان
ذهبت ستى ، وفتحت حقيبة مم ، واخرجت منها كسوة الملوك
وزينت في تلك الليلة التابوت ، وبعث في اثر الغلمان
وقالت «اذهبوا ، وأخرجوا لي الاشهب العداء من اصطبل الخيول»
ذهب غلام الى الاصطبل ولم يكن الحصان قد نال علفاً منذ ثلاثة ايام

عندما رأى الغلمان ، نهض على قوائمه
وكان صهيله يرتفع الى عنان السماء السابعة ،
والمرء يظن انه قد علم بموت صاحبه
اخرج الغلمان الاشهب من اصطبل الخيول
ومن طرف آخر ، جمعت ستى حولها فتيات جزيرة بوتان
حملت بيديها التابوت ووضعته على ظهر الحصان
علا الصراخ والنحيب ، وبلغ عنان السماء
كان الجميع يبكون من اجل مم ، وهم حزانى
وعندما اصبح الصباح ، كانت ستى في مقدمة المأتم ، تدور حول المنزل
نهضت ستى صباحاً ، وذهبت الى دار ابن عمها الأمير شم ،
وقالت «يااابن عمي واحر قلبي
لقد رمى الامير زين بضيفنا في زنزانة ، بنميمة من بكو النمام
ولقد مات هناك الليلة ، ووضع رأسه على ارض القبور .
ذهب حسن الى رحلة العجم ، ولايعرف عن الامر شيئاً
املي ان تذهب الى الامير ازين ، وتأخذ منه جثة ممي آلان
هاهو حصانه الاشهب العداء في الاصطبل انه لن يتوانى ، فهو قوي ،
يعرف الدروب ويطوي مسيرة ايام بساعات .
ليمتط احد ظهر الحصان ، ولنبعثه الى حدود العجم
سأكتب رسالة ، كي يعود حسن
ويمسح من جبينه لطخة هذا الاثم وهذا العار»
قال الأمير شم «فديتك يااابنة العم ماقام به الأمير ازين ،
تجاه ضيفكم ممي آلان ، انا لم ار مثله ، ولم اسمع به من فم احد .
الا قاتل الله الامير ازين ، اذ اتخذ لنفسه من بكو النمام وزيراً
الا تعرفين ان قدمي لم تطئا عتبة داره منذ ستة اعوام
انا لا اذهب الى دور اللئام ابداً
ولكي لاتقولي ان الأمير شم ، لايلزم نفسه بعهد النساء ولايتحمل لنا عبئا فسآخذ
رسالتك وسأوصلها الى حدود العجم الى الجلاليين»
كتبت ستى رسالة الى حسن وبينت له امر موت مم

وأحرقتها من احدى زاوياها ، علامة الموت.
حمل الأمير شم رسالة ستى في جيبه ،
واتجه نحو جبال العجم ، حيث الاخوة الثلاثة
لندع الأمير شم في الطريق ، ولنذهب معاً الى الجلاليين الثلاثة

* * *

كان مساء ، وكانوا جالسين ، فرأوا من بعيد غباراً ودخاناً
وفي غمرة الغبار لاح فارس من على حصان اشهب
نظروا فاذا بالحصان هو الأشهب العداء صاح حسن شباب بوتان ،
قائلا «انهضوا واخرجوا للتحية ، لاستقبال اخينا ممى آلان !»
رأى حسن ان الامير شم قادم ، وهو يركب الاشهب العداء
تغيرت سحنته ، وغدت كسحن القتلى
قال حسن «ماهذا العجب العجاب ؟»
ورأى ان الامير شم يبكي ، ويضع رداءه بيده على عينيه
وبيده الاخرى اخرج رسالة ستى وقدمها اليهم
فعندما فتح الرسالة ورأى الظرف المحروق ، اخضلت عيناه بالدموع
وفي اليوم المقبل ، اسرعوا لنيل اجازة تطول اشهراً ثلاثة
وركب الامير شم وسار امامهم ولحق بهم الأخوان ،
يرافقهم خمسمئة من شباب الكرد
لم يكن حسن يدعهم يأخذون قسطا من الراحة
حتى وصلوا مدينة جزيرة بوتان
فلما بلغوها ترجلوا ، فنظر حسن فاذا بتابوت ممى آلان
فانكب عليها باكياً
جاءت اليه ستى وقالت
«ألا تعساً لكم ، تحسبون انفسكم رجالاً
اجئتم لتبكوا مثل العجائز ؟
ان البكاء حصتنا نحن النساء.
ها قد مضت ايام ، وماتزال جثة مم في الزنزانة»

* * *

قال حسن «ياخوتي اسرعوا
البسوا الدروع واعقدوا صدرة الدرع على الصدور
ومدوا ايديكم الى السيوف.
احملوا اسلحتكم وتوجهوا نحو دار الأمير ازين ،
فسنموت اليوم او نستولي عليها !
واريد منكم ، ان تنثروا جثث الرجال على الارض
كأمواج من اوراق اشجار الخريف»
حمل اهل الجزيرة سلاحهم اجمع ووقفوا عند دار الأمير ازين
ومد الجلاليون الثلاثة ايديهم الى مقابض السيوف
رأت زين ، ان الاوضاع تتردى ، فوقفت امامهم
قالت «ياحسن اني الوذ برجولتكم لقد فقدت مم ،
فلا تحرقوا قلبي مرة اخرى بمقتل اخي
انتم تعرفون ان الأمير ازين من ثمار سبع أرومات
وليس هو بالمذنب في الامر
ان بكو النمام هو الذي اتى علينا بهذه المصائب
استشهد مم بسم وضعته ابنة بكو في الرمان
وسأموت انا بعد مم بسبعة ايام»
أخذ تاجين وجكو برقبة حسن ،
وأتيا بزين من اجل الترجي الى السجن وقالوا
«ياحسن ها هنا مم. هذه هي الزنزانة»
وصلوا الزنزانة ، وأتوا بجثة مم ،
وكأنها جسد من غطّ في نوم عميق
حملوها الى الدار ، وغسلوها وبأرض الجزيرة دفنوا ممي آلان ، ملك الكرد

* * *

بعد وفاة مم ، غلقت زين الأبواب على نفسها ،
وهي تبكي ليلاً ونهاراً
واقسمت لاتمس فمها لقمة من خبز
وكانت بنات العظماء يلتففن حولها ولايفارقنها

كن يردن لآلام زين زوالاً برفقتهن
ولكن زين لم تكن ترفع رأسها من بين يديها
وكانت عيناها تسكبان الدموع كالمطر المنهمر .
ولم تكن تود التكلم مع احد
امضت اياماً سبعة على هذا المنوال
وفي اليوم السابع ماتت زين وهي بين جموع الفتيات .
فتعالى صراخهن وانينهن واستغاثتهن
وكان اهل الجزيرة كباراً وصغاراً ينهالون على جثة زين
ويقولون معاً
«ماتت زينة السيدات ، اخت الامير أزين ، زين الزينات»
واخرجوا جثتها وسط الزغاريد الصاخبة
وسار معها كبار جزيرة يوتان وعظماؤها ،
اخذوها الى جنب مم ، وحفروا لها التراب ،
وأودعوها أرضا باردة وقبرا مظلما كظلمة ليل
وبعد ليلة ، رأى الامير ازين اخته زين في الحلم مرتين او ثلاثا
كانت تقول اخي انت لم تعرفني حقاً ،
ولم تعرف ممي آلان ، ملك الكرد .
اكنت تظن اننا كالآخرين ، قريبان من الشيطان وبعيدان عن الله ،
اراك خجلاً من اجلي ،
لاتستطيع ان تنظر الى احد فمن اجل ان ترى كل شيْ بعينيك ،
تعال انت الى المقبرة ، في يوم الجمعة ،
عندما يخرج الفرسان لسباق الرماح
وقف بين ضريحينا نحن الاثنين
آنذاك ، لن تعاتبني بعد»

* * *

استيقظ الامير ازين مرتين ، وهو يرى الحلم نفسه ،
حتى انه رآه مرة ثالثة
نهض من مكانه ، وقال : «غدا الجمعة ،

وسأذهب على اي حال الى مثواهما لأرى ماذا يقول لي هذا الحلم
في صباح اليوم المقبل امتطى حصانه ، وخرج للتفرج على سباق الفرسان
جاء ، ووقف عند قبري زين وممي آلان فرأى ثقباً ظاهراً في قبر زين
انحنى ونظر فيه ، فرأى يدها في يده. ارتفع صوت من زين ينادي
«هل رأيت ايها الامير ما في قلبينا نحن الاثنين»
وساوره ، في مكانه ندم ، على ماجناه بحق مم
عاد الى الدار ، وبعث بالمنادين جميعاً وبالدلالين الى مدينة جزيرة بوتان
قال «انا لم افعل ذلك بحق مم ، بل خدعني بكو النمام
ان من يقتل بكو ، سأملأ عينيه ذهباً ونقوداً»
اخبر بعضهم بكو ان الأمير ازين قد اصدر بحقه أمراً
فهرب بكو وهام في البراري

* * *

ذات يوم ، كان بستاني ، يسقي بستانه
فرأى ان المتسبب في موت مم وزين ، بكو النمام يرقد تحت شجرة
قال البستاني الم يصدر الأمير بحقه أمراً ،
ان من يقتله ، سيملأ عينيه ذهباً ونقوداً
حمل مجرفته ، وانهال بضربة منها على رأس بكو النمام
فانشق رأس بكو ، وسال منه الدم ونهض وهرب ،
واتجه نحو البيوت ، لحقه البستاني حتى اوصله الى القبور .
ومر بكو بين قبري زين وممي آلان
وكانت قطرات من دم بكو قد نزلت ،
وسقطت مابين ضريحي العاشقين .
يقال ان شوكة كبيرة ، نبتت من ذلك الدم وفرقت بين ايديهما
فكما فرق بينهما في الحياة ، كان لهما كذلك في القبر
ها لحق البستاني ببكو الشيطان وانهال عليه مرة اخرى بضربه بمجرفته
قتله هناك ، وحمل جثته ورماها في وهدة
جاء الى الأمير ازين وقال «لقد نفذت امرك، قتلت بكو الشيطان»
نادى الامير أزين الغلمان والخدم وقال :

«خذوه ، واعطوه مايريد من ذهب ونقود»

* * *

وبعد موت بكو ، نادى حسن اخويه
قال «حل مم علينا ضيفاً وأمامنا قتل ، ولم يكن لدينا لأمره علاج
تعالوا ، لنرسل فارساً الى مدينة المغرب ، الى ابيه الشيخ
ليوصل اليهم ، سيف مم ولباسه ، مع الاشهب العداء»
قال جكو «اخي ان بلاد مم تبعد عنا ستة اشهر
ولايعرف أحد في بلاد بوتان لها درباً
ابن عمنا الأمير شم ، فارس شهير ، ليمتط الاشهب العداء ،
هذا الحصان من الغيب وهو سيوصله الى اصحابه
ارسل حسن في طلب الامير شم وبلغه بالمأرب: ردّ الأمير شم سمعاً
اتوه بالأشهب العداء وعلقوا على ردفه ملابس مم وسيفه
توجه الأمير شم نحو مدينة المغرب
وقطع طريق ستة اشهر في خمسة عشر يوماً
عندما اقترب من المدينة كان الفرس يصهل
خرج حي عمر بك قائلين
لعل مى آلان قادم
ولكنهم رأوا ان الحصان هو الاشهب العداء ،
اما الفارس فليس بمى آلان
امسكوا به واخذوه الى عمر بك شيخ القرشيين
اخرج الأمير شم رسالة حسن من جيبه
تلا عمر بك الرسالة وفيها خبر موت مى آلان
وعندما سمع الناس الخبر اخرجوا ملابس مم ،
ووضعوها على صهوة الاشهب العداء وعلا الصراخ والبكاء والعويل
لم يبق في المدينة احد ، بل اتجه الجميع الى دار عمر بك ، الى محلة السادة
كان في مقدمتهم بنكين ، سيد الف ونصف الف من الفتيات الكرديات
ثم اتى الأب الشيخ ، والأم العجوز والعمان الأجلان
ومن جديد اقاموا مناحة عربية كبيرة .

قصت الفتيات والعروسات عذارهن ، ورمين بها على ملابس ممى آلان
ودامت المناحة ثلاثة ايام بلياليها

* * *

بعد ثلاثة ايام ، هدأت المناحة ،
فأمر بنكين شباب الكرد فأتوا واشعلوا ناراً في المدينة
ودقوا في اطراف المدينة اوتاد الخيام
وسار كل من تمسك يداه السيف والسلاح
وجاءوا جميعاً الى بنكين وقالوا «قل بم تأمر وما العمل ؟»
نظر بنكين الى الخيام ،
وفي اليوم الثالث امر فنزعت اوتادها وطويت اسبابها
ركب الامير شم الاشهب العداء وصار دليلاً يتقدم الركب
جاءوا حتى بلغوا بلاد بوتان عبروا النهر ، ووصلوا الى طرف القسطل ،
ودقوا اوتاد الخيام
كان الأمير شم يدلهم ، ويقول
«انظروا ، ها ان قبر مم يقع جنب قبر زين»

* * *

وكان اهل الجزيرة يحضرون
الى موقع جيش بنكين ، ويتفرجون
نهض بنكين مع جيشه ، وسار نحو ضريح ممى آلان
وقفوا عند القبر وعقدوا حلقة حوله ادوا مراسيم الفاتحة ،
ثم عادوا الى الخيام امر بنكين ان انتشروا حول المدينة واحفروا الخنادق
فسننتقم لمم من هؤلاء اللؤماء القساة.
واتهد ظهر اهل الجزيرة خوفاً
فجاء حسن وجكو وقره تازين الى جمع المغربيين
فرأوا بينهم شاباً خفيف الظل كأنه ممى آلان
سألوا فاذا به ابن خالة مم ، ابن اخت عمر بك شيخ القرشيين .
اتوا اليه ، وتعارفوا ، فتقدم اليه الاخوة الثلاثة واحداً بعد آخر .

كانوا يقولون «نشم فيك رائحة ممي آلان»
فاذا بالأمير ازين قد قدم الى خيمة جيش المغربيين ايضا
خرج بنكين اليه ، واتى به الى الخيام
اشار الى جنوده «ان اهدموا القصور والمنازل»
ثلاثة ايام بلياليها كانت جزيرة بوتان كيوم الساعة
كانوا يقتلون من يرون ، انتقاماً لممي آلان ، ملك الكرد
وفي هذه الأيام الثلاثة ، كان الأمير ازين والأمير شم مع الجلاليين الثلاثة
قد سجنوا في الخيمة عند بنكين .
وفي اليوم الثالث ، لم يبق في الجزيرة بيت عال
بل سويت جميعاً مع الأرض بيد الشباب الكرد
امر بنكين جيشه فخرجوا جميعا من مدينة جزيرة بوتان
اذ ذاك ، اذن بنكين للأمير ازين ، والامير شم والجلاليين الثلاثة
فسلم اليهم المدينة المخربة ، وجاء الى قبر ممي آلان وخاطبه قائلا
«يامم ، لتعلم اني قد ثأرت لك من اللؤماء»
ثم امتطى بنفسه صهوة الأشهب العداء وحمل جيشه الخيام
وسار وتوجهوا نحو بلاد المغرب لكي يكافحوا من اجل وحدة الكرد

* * *

قصتنا بلغت الجبال والبراري
رحم الله اباء السامعين وامهاتهم

الهوامش

(١) كناية عن شدة الرأفة بهم إذ أن اسلام الكافر شبه محال.
فهذا التعبير الكنائي في الكردية شائع
(٢)في نسخة ليسكو، وبتكين في عدد من الروايات الكردية المترجم.
(٣) يمكن ترجمته بفرس البحر، او ابن البحر، وفضلنا عبارة مهر البحر
(٤) يترجم ليسكو اسم الفرس ، بل نقله حيثما ورد بنفس العبارة الكردية (بوزى دريان) كأسم علم للحصان ولكننا آثرنا ترجمته بالاشهب العداء.
المترجم
(٥) ملك الجان او الجان الخيرين- (بهرى)
(٦) الست الشمس
(٧) الست القمر
(٨) الست النجمة او الكوكب
(٩) في النص زين زيدان والرنا ترجمتها للسلاسة بزين الزينات.
(١٠) برجا بلك اي المنقش او (الأبيض والأسود) والرنا ترجمة بالابلق
(١١) في طبعة ليسكو ثلاثة عشرة
(١٢) في طبعة ليسكو اربعة عشرة
(١٣) هذا البيت غير موجود في نسخة زازا
(١٤) مسدسين.
(١٥) او لا زبة في نسخة او ترجمة ليسكو
(١٦) هذا البيت مدون في نسخة ليسكو ولم نجده في طبعة زازا.
(١٧) في طبعة ليسكو: من مدن المغرب
(١٨) حشود او موكب
(١٩) هكذا في طبعة ليسكو، و(حصان الامراء) في طبعة زازا
(٢٠) يمكن ترجمة كلمة(سيلدين) الكردية هنا بالمغرب او العشاء
(٢١) في طبعة ليسكو - ثلاث عشر ركعة.
(٢٢) بكو في الروايات الفولكلورية، و(بكر) عند عاتق المترجم
(٢٣) آثرنا ترجمة كلمة (عوان) بالتمام، في حين ترجمها ليسكو بالسن (MAUais) أو الردئ - المترجم.
(٢٤) في نسخة ليسكو: إصطبلت البراري بلون دماء الرجال
(٢٥) في نسخة زازا: وردت (دجلة).
(٢٦) تضاف في نسخة ليسكو «سيكون جسدي قوياً كالأفاعي والأسماك، لونها طائلة، لايبلى لغير الوارثين».
(٢٧) كلمة بيكاران - يمكن ترجمتها بالغرباء، أو الغرّاب ولستخدم في الكردية المتداولة الآن بمعنى العاطلين.
(٢٨) مثل كردي.
(٢٩) حرفياً كه بشوّ - الفخ وتأتي أحياناً للدلالة الرشيقة المتكاملة
(٣٠) ترجمة ليسكو ب (bride) أي العنان.
(٣١) في النص مجيدي وهي عملة عثمانية المترجم.
(٣٢) أي اعمدة أخشاب اربعة، وقد ترجم في النص الفرنسي بأخصان اربعة.
(٣٣) في النص زنطين، وقد ترجمه ليسكو بـ(Pimitres)
(٣٤) في طبعة ليسكو وردت.. ثلاث جبولي، بدلاً من «جبل جودي» الوارد في طبعة زازا.
(٣٥) حرفياً ماتقر واحد
(٣٦) أي الأثافين
(٣٧) حرفياً وصل السكين العظم.
(٣٨) اي سأثير حولك ضجة عظمى.
(٣٩)في طبعة زازا : قلنسوة سرحدية - بدلاً من «قفال المراني

(٤٠) أسرة سيلديين، في طبعة ليسكو.
(٤١) حرفياً طاو.
(٤٢) في طبعة ليسكو وجلالي جزيرة بوتان.
(٤٣) في طبعة ليسكو من أصبحت.
(٤٤) هذا السطر غير موجود في طبعة زازا.
(٤٥) يمكن ترجمة (Kew) بالفيج أو الحجل او الحمام.
(٤٦) هذا السطر غير موجود في طبعة زازا
(٤٧) حرفياً يزيدون مئات والوف المرات.
(٤٨) في طبعة ليسكو الى الوراري.
(٤٩) في طبعة ليسكو من (قول أوردو) وهي ربة عسكرية.
(٥٠) في طبعة زازا بالظاهر.
(٥١) في طبعة ليسكو وسألساله عن حسن والآخرين.
(٥٢) حرفياً ولمسه يابس.
(٥٣) الرخ القلعة.
(٥٤) في طبعة زازا حزاق نادمين.
(٥٥) حرفياً سيقيمون اي قيامة
(٥٦) لم ينقل زازا هذا السطر
(٥٧) مثل كردي.
(٥٨) حرفياً دائرة دار او نقوة دار
(٥٩) حرفياً نعطي أو ناعد
(٦٠) حرفياً اوجاق أي موالد
(٦١) جريدبازي (في النص)، سباق الخيل أو الرماح او المزاريق
(٦٢) في طبعة زازا إلى عشر يوماً
(٦٣) انا نجد في طبعة ليسكو سطراً يبدو أنه قد أقحم في النص متأخراً وهو حملوا مدافع هاون على ظهور البغال، وصناديق عتاد.
(٦٤) هذا السطر غير موجود في طبعة ليسكو.

* * *

ملايين عشقوا واحسوا وتنعموا بالوصال، فنسي حبهم ونسيهم الناس. اما الذين حاد الدهر عليهم بالهجر فخلدوا وخلد عشقهم الى الأبد. اهذا هو سر خلود التراجيديات العالمية؟ ام ان الشعب والتاريخ يصبان حرمان ومشاق العصور في اسطر ملاحم تراجيدية ليخلدا الأمل والمحبة السرمدية ؟.

«ممي الآن» او «مم وزين» قصة خالدة اخذت بجدارة موقعها بين تلك التراجيديات. وماوردتا مم وزين الاّ وردتان في بستان الحب الابدي والعشق الانساني تصارعان الشوك مادام على الأرض عذال واشواك.

الدكتور
عز الدين مصطفى
رسول

سبق وان طبع ونشر هذا الكتاب باللغة
الكردية سنة ١٩٧٢
من قبل المجمع العلمي الكردي في بغداد

تصميم الغلاف الفنان اسماعيل خياط
الاخراج الفني عبد القادر علي مردان

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٠٩٥ لسنة ١٩٨٥

السعر: دينار واحد